

معهد الدراسات العليا الدينية واللغوية / النجف الأشرف

The Institute of Higher Education in Linguistics and Religious Studies

سلسلة الرسائل العلمية / ٣

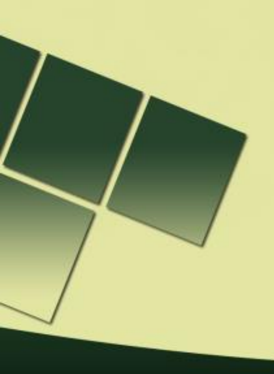
التصور السني للمهدي المنتظر بين العقيدة والنصوص

بحث مقدم الى

معهد الدراسات العليا الدينية واللغوية

وهو جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في العلوم الدينية واللغوية

عبدالرزاق هاشم محمد الديراوي



عام ١٤٣٧ هـ

٢٠١٦ م

المحتويات

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآل محمد الأئمة والمهديين وسلم تسليماً كثيراً.

أهم سمة يتميز بها التصور السني للمهدي المنتظر هي أنه تصور لم تشكله النصوص، بقدر ما شكلته المنظومة العقدية المسبقة، والواقع التاريخي. فالمنظومة العقدية السنية – التي تشكلت لتبرر الواقع التاريخي لنظام الحكم الذي أعقب النبي (صلى الله عليه وآله)، وتشرعن له – لا تعترف لشخص بعد النبي بدور يماثل دور النبي، من جهة كونه خليفة لله، على الناس أن يؤمنوا به ويطيعوه، ويأخذوا منه دينهم وأحكامهم، ويسلموا له تسليماً، وهو، في الوقت نفسه، متّبع للنبي (صلى الله عليه وآله)، يدين بدين الإسلام، ولا يتميز عن غيره من المسلمين إلا بما خصّه الله به من العلم، وبما فضله على كثير من العالمين. هذه المنظومة العقدية، بالإطار الضيق الذي حشرت نفسها فيه، لم تستطع استيعاب الصورة التي تتضمنها النصوص الحديثية للمهدي المنتظر، فعمدت إلى قصقصتها، وتشويه ملامحها، بل استبدال صورة أخرى بها تلائم الإطار العقدي الضيق.

الواقع التاريخي، من جهته، دفع بكثير من الدعاوى، والحركات المهدوية الكاذبة – التي استغلت الثغرات الكبيرة في التصور السني للمهدي – الأمر الذي حفز العقل السني (أي العقل المؤطر بثوابت ومعطيات المنظومة العقدية السنية) على تنظيم دفاعات، أو عقائد دفاعية، همها الوحيد منع تكرار الدعاوى الكاذبة. فشهدت الساحة الفكرية والعقدية كثيراً من الترقيعات، والتخرصات، غيرت أكثر ملامح الصورة النصوصية للمهدي المنتظر، وأخفت بريقها. وكان من نتيجة هذين العاملين، وما أفرزاه من أفكار وعقائد، ما نشهده في وقتنا الراهن من تراجع خطير للفكرة المهدوية، ولمسألة الترقب والانتظار، حتى لقد كتب بعض المحسوبين على أهل العلم رسالة بعنوان "لا مهدي ينتظر بعد الرسول محمد

خير البشر"، وعدّ البعض الآخر مسألة الإمام المهدي من المسائل الثانوية، بل التَّرفيّة، التي لا يجب أن ينشغل بها إلا من يجد في وقته فراغاً.

من أجل كشف حقيقة التصور السني للمهدي، ومعرفة مدى قربه، أو بعده من النصوص الحديثية، تبنّى البحث منهجاً يقوم، عموماً، على أساس مقابلة ما تنطق به النصوص الحديثية مع ما تقرره كتب العقيدة السنية ذات الصلة، ورصد النتائج المترشحة عن هذه المقابلة. وكان البحث حريصاً على عرض صورة المهدي المنتظر المتفق عليها بين علماء السنة، ومن خلال أقلامهم تحديداً، إن أمكن ذلك، وبموازاة ذلك يعمل على استجلاء الصورة التي تتضمنها الأحاديث والآثار المروية من طرقهم، ليبرز من خلال المقارنة بين الصورتين الفرق الشاسع بين الصورة الواقعية، كما تبرزها النصوص المروية، والصورة التي تعمل الأقلام السنية على تكريسها في الأذهان والأفئدة.

وقد قسمت البحث إلى فصول ثلاثة، ولكل فصل مباحثه التي حاولت جعلها تغطي أهم الأسئلة المطروحة في الساحة. في الفصل الأول عالجت مسألة الاعتقاد بالمهدي المنتظر، وأبرزت الخلاف القائم بين الموافقين والمخالفين، وحاولت النفاذ من خلال ذلك إلى تحديد المضمون الحقيقي لإيمان السنيين بالمهدي المنتظر. أما الفصل الثاني فقد خصصته لعرض صورة المهدي المنتظر كما تعرضها النصوص، وموقف العقل السني منها. وكرست الفصل الثالث لعرض أفكارهم عن مدى معرفة الناس بالمهدي، ومدى معرفته هو بحقيقته، وعرضت للكيفية التي يتصورون أنها يمكن أن تعرفهم بالمهدي المنتظر، وخلصت من كل ذلك إلى نتيجة مفادها إن العقل السني عاجز عن التعرف على المهدي، بصورة قطعية طالما بقي محاصراً بمنظومته العقدية الضيقة المتخلفة عن مواكبة الواقع النصوصي. إن قصور المنظومة العقدية السنية، من جهة، وضرورة تحديد طريق يقيني صحيح للتعرف على المهدي، من جهة أخرى منحانا المسوغ الكافي لتقديم أفكار ومقترحات تقرب التصور السني من النصوص التي يفترض به أن يكون متطابقاً معها، ومن أهمها المقترح المتعلق بالكيفية التي ينبغي أن نتعرف من خلالها على المهدي.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتفضل عليّ بقبول هذا الجهد القليل، إنه ولي الإحسان، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآل محمد الأئمة والمهديين وسلم تسليماً كثيرا.

الفصل الأول

الاعتقاد بالمهدي المنتظر بين الرفض والقبول

هل يؤمن السنّيون بمهدي يخرج في آخر الزمان، وهل يعدون خروجه عقيدة دينية ملزمة لا يسع المسلمين إلا الاعتقاد بها ؟

وإذا علمنا أن مفهوم الاعتقاد متفاوت من حيث السعة، والعمق، والمنطلقات، والمضمون، فما طبيعة اعتقادهم بالمهدي، وما هي المنطلقات التي يترشح منها، وما مدى سعة هذا الاعتقاد، وعمقه، أو بكلمة واحدة ما هي حدود اعتقادهم بالمهدي، وما هو المضمون الحقيقي لهذا الاعتقاد؟ وهل ثمة من يشكك منهم بهذا الاعتقاد، أم إنهم مطبقون عليه جميعاً؟ وإذا كان ثمة مشككون بينهم، فهل ينطلقون، في تشكيكاتهم، من قناعات ذاتية، لا تمت بصلة لجوهر المنظومة العقدية السنية، ولا تكشف عن حقيقة إيمانهم، ومضمون هذا الإيمان، أم إنها وليد طبيعي لهذه المنظومة، ومقياس صالح للكشف عن مضمون اعتقادهم ؟ وما هي الذرائع، أو الأدلة التي يشيدون عليها تشكيكاتهم؟

كل هذه الأسئلة سنحاول الإجابة عليها في هذا الفصل، ومن خلال عناوين متعددة.

التشكيك بأصل المسألة:

يُعد عبد الرحمن بن خلدون صاحب المقدمة المعروفة أشهر من شكك من القدماء بمسألة الإمام المهدي، فقد كتب في الفصل الثالث والخمسين من مقدمته، تحت عنوان: "في أمر الفاطمي وما يذهب إليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك" ما يأتي:

(اعلم أن في المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من اشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره. وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله ويأتم بالمهدي في صلاته، ويحتجون في هذا الشأن بأحاديث خرّجها الأئمة، وتكلم فيها المنكرون لذلك، وربما عارضوها ببعض الأخبار، وللمتصوفة المتأخرين في أمر هذا الفاطمي طريقة أخرى ونوع من الاستدلال وربما يعتمدون في ذلك على الكشف الذي هو أصل طرائقهم. ونحن الآن نذكر هنا الأحاديث الواردة في هذا الشأن وما

للمنكرين فيها من المطاعن وما لهم في إنكارهم من المستند، ثم نتبعه بذكر كلام المتصوفة ورأيهم ليتبين لك الصحيح من ذلك إن شاء الله تعالى، فنقول إن جماعة من الأئمة خرجوا أحاديث المهدي ... بأسانيد ربما يُعرض لها المنكرون كما نذكره، إلا أن المعروف من أهل الحديث أن الجرح مقدم على التعديل، فإذا وجدنا طعناً في بعض رجال الأسانيد بغفلة، أو بسوء حفظ أو ضعف أو سوء رأي تطرق ذلك إلى صحة الحديث وأوهن منها ...الخ) [١]. ثم يذكر بضعة أحاديث [٢]، على أنها كل ما ورد في الباب، ويضعفها واحداً واحداً، ليخرج بالنتيجة الآتية: (فهذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان، وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل، والأقل منه. وربما تمسك المنكرون لشأنه بما رواه محمد بن خالد الجندي عن أبان بن صالح بن أبي عياش عن الحسن البصري عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "لا مهدي إلا عيسى بن مريم"..الخ) [٣].

لم يكن ابن خلدون أول من أنكر خروج المهدي، فقد سبقه إلى ذلك أبو محمد بن الوليد البغدادي، كما ذكر عبدالمحسن العباد في محاضرة له بعنوان "عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر" [٤]، كما أن ابن خلدون نفسه أشار في النص المقتبس من كتابه إلى وجود منكرين تكلموا في الأحاديث، وهناك من روى عن مجاهد، والحسن البصري اعتقادهما بمهدي غير الذي تثبته النصوص الصحيحة. فقد (روى ابن أبي شيبة عن مجاهد أنه قال: "المهدي عيسى بن مريم". ولكنه لم يثبت عنه، ففيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف كثير الاضطراب وكان قد اختلط ولم يتميز فترك حديثه. وروى نعيم بن حماد عن الحسن البصري أنه قال: "المهدي عيسى بن مريم (عليه السلام)". ولم يصح إسناده أيضا كما سيأتي. ونعيم بن حماد نفسه لا يحتج به وراوي كتابه عنه ضعيف أيضا. وروي

١. مقدمة ابن خلدون. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: الاستاذ خليل شحادة. دار الفكر – بيروت/ لبنان ١٤٢١هـ ٢٠٠١: ٣٨٨ – ٣٨٩.

٢. ينظر: نفسه: ٣٨٩ وما بعدها.

٣. مقدمة ابن خلدون: ٤٠١ – ٤٠٢.

٤. كتب ورسائل عبدالمحسن بن حمد العباد البدر: مج ٤. دار التوحيد – الرياض. ط ١ ١٤٢٨هـ: ٣١٧.

عنه أيضا أنه قال: "ما أرى مهديا فإن كان مهدي فهو عمر بن عبد العزيز". وهذا مع كونه معارضا لقوله الأول لم يصح إسناده عنه) [١].

بذور التشكيك التي استنبتها ابن خلدون وجدت، في العصر الحديث، تربة مناسبة في عقول، وتصنيفات بعض المعاصرين، حتى ليمكن القول إنهم، عموماً، ترسّموا الطريق التي اختطها ابن خلدون، واعتمدوا الذرائع التي اتكأ عليها في تشكيكاته، فكان العصر الحديث، بتأثير كتاباتهم أكثر العصور تشكيكاً، وانكاراً لمسألة خروج الإمام المهدي.

ولعل أول هؤلاء العصريين، وأكثرهم دوراناً على الألسن صاحب تفسير المنار، الذي زعم أن مسألة المهدي، في الأساس، مذهب سياسي كُسي ثوباً دينياً، والشيعة، بزعمه، هم المتهمون بوضع الأحاديث الواردة في شأنه، وهي أحاديث روج لها الزنادقة تمهيداً لسلب سلطان العرب، وإعادة سلطان الفرس [٢] !

وكتب: (وأما التعارض في أحاديث المهدي فهو أقوى وأظهر والجمع بين الروايات فيه أعسر، والمنكرون لها أكثر، والشبهة فيها أظهر، ولذلك لم يعتدَّ الشيخان بشيء من رواياتها في صحيحيهما وقد كانت أكبر مثارات الفساد والفتن في الشعوب الإسلامية. إذ تصدى كثير من محبي الملك والسلطان، ومن أدعياء الولاية، وأولياء الشيطان لدعوى المهدوية في الشرق والغرب...الخ) [٣].

وقال في فتاواه: (ليس في متن البخاري ذكر صريح للمهدي، ولكن وردت فيه أحاديث عند غيره. منها ما حكموا بقوة اسناده ولكن ابن خلدون عني بإعلالها وتضعيفها كلها. ومن استقصى جميع ما ورد في المهدي المنتظر من الأخبار والآثار وعرف مواردها ومصادرها يرى أنها كلها منقولة عن الشيعة) [٤].

أما محمد فريد وجدي فقد زعم أن الناظرين، في أحاديث المهدي المنتظر (من أولي البصائر، لا يجدون في صدورهم حرجاً من تنزيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من

---

١. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة: الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي. المكتبة الملكية/ دار ابن حزم – مكة المكرمة. ط١ ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م: ٣٠ – ٣١.

٢. ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): ج ٩، السيد محمد رشيد رضا. دار المنار – مصر. ط٢، ١٣٦٧هـ :٤٨٢.

٣. نفسه: ص٤٩٩

٤. فتاوى الإمام محمد رشيد رضا: ج١، د. صلاح الدين المنجد، يوسف. ق. خوري. د.ت: ١٠٧.

قولها، فإن فيها من الغلو والخبط في التواريخ والإغراق في المبالغة والجهل بأمور الناس والبعد عن سنن الله المعروفة ما يُشعر المطالع لأول وهلة أنها أحاديث موضوعة ... وقد ضعف كثير من أئمة المسلمين أحاديث المهدي واعتبروها مما لا يجوز النظر فيه) [١].

وعلى المنوال نفسه نسج أحمد أمين، فقد نسب الفكرة إلى الوضع، وزعم أن ابن حجر قال إن أحاديث المهدي لم تثبت عنده، وهو زعم مجانب للصواب، كما سيتضح. كما أن أحمد أمين لم ينسَ أن يشيد بكتابي البخاري ومسلم اللذين لم يسمحا – برأيه – بتسرب أحاديث المهدي إليهما [٢].

وقال: (وأنا ممن يرى رأي ابن خلدون في ضعف هذه الأحاديث المهدوية ... ولئن كانت الأحاديث المروية عن المهدي قد ضعفها ابن خلدون لسندها فهناك وجه آخر لتضعيفها، وهو عدم ملائمتها للعقل، إذ كيف يُعقل إمام معصوم يخرج في زمان قد حدد وأنه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً) [٣].

وقال كذلك: (زاد القول بالمهدي وانتشر وخاصة بين الشيعة، ووضعت فيه الأحاديث المختلفة، ولم يروِ البخاري ومسلم شيئاً عن أحاديث المهدي، مما يدل على عدم صحتها عندهما ... على الجملة انتشر في جو العصر الأموي فكرة المهدي المنتظر، وكان أكثر دعاة المهدي من الشيعة) [٤].

ونقل محمد ناصر الدين الألباني لوناً آخر من التشكيكات قاله الشيخ الأزهري محمد فهيم أبو عبية، ورد فيه:

(ثم سرنا مع القائلين بأن ظهور المهدي ونزول عيسى (عليهما السلام) هما رمزان لانتصار الخير على الشر، وأن الدجال رمز لاستشراء الفتنة، واستيلاء الضلال فترة من الزمان) [٥]. فالمهدي، بالنسبة له، رمز لفكرة انتصار الخير، وليس شخصاً معيناً، كما تصوره النصوص.

---

١. دائرة معارف القرن العشرين: مج ١٠. دار الفكر – بيروت. د.ت: ٤٨٠ – ٤٨١.
٢. ينظر: المهدي والمهدوية. دار المعارف – مصر. سلسلة (إقرأ) عدد ١٠٣. أغسطس ١٩٥١: ٤١.
٣. المهدي والمهدوية: ص١١٠ – ١١١.
٤. ضحى الإسلام، أحمد أمين. مكتبة النهضة المصرية. ط٧/ القاهرة ١٩٦٤: ج٣ ص٢٣٧ – ٢٣٨.
٥. قصة المسيح الدجال. المكتبة الإسلامية – عمان/ الأردن. ط١ ١٤٢١هـ: ١٤.

وقال شيخ أزهري آخر هو الشيخ محمد أبو زهرة: (وقد تكلم بعض السنيّين في ظهور المهدي في آخر الزمان، ومنهم من اعتنق تلك العقيدة، وأثبتها بعض من كتب في العقائد، وقد جاء ذكره في بعض كتب السنة، كسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، ولكن لم يجئ ذكر للمهدي في الصحيحين؛ صحيح البخاري وصحيح مسلم، ولقد تكلم علماء السنة في إسناد الأخبار التي روت ذكر المهدي وفندوا إسنادها، ولذلك نقول إنها ليست عقيدة متقررة عند السنيين) [(١)].

وذهب الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور إلى أن القول بالمهدي (قال به بعض أهل السنة، وبعض الصوفية استناداً للآثار المروية دون تمحيص؛ وذلك مما لصق بهم من أقوال الرافضة والإمامية حين اختلط العلم، وليس اعتقادهم ذلك بشيء عظيم؛ إذ رضوه لأنفسهم فإن اعتقاد مجيئه واعتقاد عدم مجيئه سواء) [(٢)].

وقال في موضع آخر: (نبتت قصة المهدي من عصف هشيم قصة الامام المنتظر عند الشيعة) [(٣)].

وقد صور التويجري رأي سعد محمد حسن في العقيدة المهدوية، الوارد في كتابه "المهدية في الإسلام"، بما يلي: (إن عقيدة المهدي حِيكَت في المجتمع الإسلامي، وأن حَاكَتَهَا هم الشيعة على يد ابن السوداء اليهودي المتمسلم الغالي في تشيعه الموهوم، وزعم أيضًا في صفحة (٦٩) أن الشيعة اختلقت الأحاديث الكثيرة، ووضعتها مؤيدة لوجهة نظرها، ورفعت إلى النبي لتصبغ هذا المعتقد بصبغة إسلامية رسمية؛ من ذلك قولهم: "لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورًا"، وقال أيضًا في صفحة ١٧٤: "ونحن لا نشك في أن عقيدة العامة من أهل السنة، بل وكثير من الخاصة إنما هي أثر شيعي تسرب إليهم فعملت فيه العقلية السنية بالصقل والتهذيب)[(٤)].

---

١. الإمام الصادق حياته وعصره، آراءه وفقهه. مطبعة أحمد علي مخيمر: ص٢٣٨ – ٢٣٩. متاح على: https://ia٨٠١٨٠٣.us.archive.org/٢٧/items/abouzohra/sadeq.pdf

٢. تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة. ط٢ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ط٢: ص٥١.

٣. نفسه: ص٥٢.

٤. الإحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر: حمود بن عبدالله التويجري. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض/ المملكة العربية السعودية. ط١ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م: ص٣٣.

الطريق الذي سلكته أقدام الدارسين المصريين في العصر الحديث سلكته أقدام كثيرين غيرهم، من قبيل الشيخ القطري عبدالله بن زيد آل محمود الذي ذهب، في خطبة رسالته، إلى أن عقيدة المهدي المنتظر ليست من عقائد السنة، وإنما هي عقيدة شيعية، ولكنها سرت إلى السنة بطريق المجالسة والمؤانسة والاختلاط، على حد تعبيره [١].

فكرة الأصل الشيعي للعقيدة المهدوية ردد أصداءها آخرون، لا أريد الإطالة باستقصاء أسمائهم، وكلماتهم، فاكتفي بالإشارة إلى محمد عبدالله عنان في كتابه "مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام"، وعبدالكريم الخطيب في كتابه "المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل" [٢].

وينقل ابن محمود عن رسالة لأبي الأعلى المودودي عنوانها "البيانات عن المهدي" أقواله الآتية: (إن الأحاديث في هذه المسألة على نوعين؛ أحاديث فيها الصراحة بكلمة المهدي، وأحاديث إنما أخبر فيها بخليفة يولد في آخر الزمان ويعلي كلمة الإسلام، وليس سند أي رواية من هذين النوعين من القوة حيث يثبت أمام مقياس الإمام البخاري لنقد الروايات، فهو لم يذكر منها أي رواية في صحيحه، وكذلك ما ذكر منها الإمام مسلم إلا رواية واحدة في صحيحه، ولكن ما جاءت فيها أيضًا الصراحة بكلمة المهدي. وقال لا يمكن بتأويل مستبعد أن في الإسلام منصبًا دينيا يعرف بالمهدوية يجب على كل مسلم أن يؤمن به، ويترتب على عدم الإيمان به طائفة من النتائج الاعتقادية والاجتماعية في الدنيا والآخرة، وقال مما يناسب ذكره بهذا الصدد أنه ليس من عقائد الإسلام عقيدة عن المهدي، ولم يذكرها كتاب من كتب أهل السنة للعقائد) [٣].

وأخيراً، هناك عالمان يحظيان بشهرة واسعة، وحضور إعلامي مرموق، هما الدكتور يوسف القرضاوي، والدكتور عدنان إبراهيم، أدليا بدورهما بما يعزز جبهة التشكيك في عصرنا الحاضر. فقد زعم القرضاوي، في برنامج تلفزيوني أن قضية المهدي لا أصل لها؛ لا في القرآن، ولا في حديث صحيح [٤]، وادعى عدنان إبراهيم، تبعاً لابن عاشور، كما ذكر في

---

١. ينظر: لا مهدي منتظر بعد الرسول محمد خير البشر، الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود: ٢٣١. رسالة منشورة ضمن كتاب: مجموعة رسائل الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود. مج١ (العقائد). ط٣ الدوحة ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٢. ينظر: فرق الهند المنتسبة للإسلام في القرن العاشر الهجري وأثرها في العقيدة/ مج١ ١٤٢٢هـ/ ١٩٩٩م: هامش ص٣٠٢. متاح على:

http://b٧oth.com/?goto=https٪٣A٪٢F٪٢Farchive.org٪٢Fdownload٪٢FAQIDAH-theses-٠٣٪٢F٠٢٦٩-١.zip

٣. لا مهدي منتظر بعد الرسول محمد خير البشر: ص٢٣٦ – ٢٣٧.

٤. الشريعة والحياة/حول أحاديث الفتن: د. يوسف القرضاوي. متاح على: https://www.youtube.com/watch?v=sftiYhCvudE

محاضرة له، أن المهدي ليس من مسائل الاعتقاد، ولا من مسائل الآداب، ولا حتى من مسائل الأحكام الشرعية الفرعية، ولو عاش إنسان ومات، دون أن يؤمن بالمهدي، فلا ينقص ذلك من دينه شيئاً [١].

هذا القدر يكفي، على ما أظن، لإعطاء فكرة عن وجود مساحة شك في التصور السني لمسألة المهدي المنتظر. فمما لا شك فيه، أن هؤلاء العلماء ما كان لهم أن يشككوا، ويزعموا المزاعم التي ذُكرت لو أن التصور السني للمهدي ما كان ليسمح بمثلها، أو أنه لا يقبل استيعابها. فالتشكيكات الصادرة عن هؤلاء العلماء ليست تشكيكات عابرة، وليست خطرات ذاتية بلا رصيد موضوعي، وإنما هي وليد طبيعي للمنظومة العقدية، والفكرية السنية.

لا أريد الآن استعجال النتائج، فلا زال في الصورة كثير من الفراغات التي لابد أن تمتلئ قبل اقتطاف الثمرات، وإطلاق الأحكام.

دعاوى المشككين والجواب عليها:

مما تقدم، يمكننا استشفاف أهم الدعاوى، أو الذرائع التي أسند عليها المشككون قضيتهم، وكما يأتي:

- ضعف الأحاديث.
- عدم رواية البخاري ومسلم لها.
- عدم ذكر المهدي في القرآن.
- عقيدة المهدي من وضع الشيعة.
- المهدي هو عيسى.

هذه الدعاوى أجاب عليها علماء السنة في كثير جداً من مصنفاتهم، سأنقل هنا ما يمثل أجوبتهم على هذه الدعاوى، كلاً على حدة.

١. ينظر: المهداوية ودعاوى التمهدي. متاح على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=a٨XS٢٦ZFths

صحة الأحاديث وتواترها:

قال بصحة أحاديث المهدي، وتواترها كثير من العلماء السنيين، فيما يلي بعض منهم، وهم وإن كانوا كثيرين نسبياً، إلا أنني تعمدت نقل هذا المقدار الكبير من الأسماء والكلمات لأُشير إلى أن رأي هؤلاء يمثل الرأي الغالب:

١- الحافظ أبو الحسين محمد بن الحسين الآبري السِّجزي صاحب كتاب مناقب الشافعي، قال: (وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر المهدي، وأنَّه من أهل بيته) [(١)].

٢- قال محمد البرزنجي في الباب الثالث في الأشراط العظام والأمارات القريبة التي تعقبها الساعة: (وهي أيضاً كثيرة، فمنها المهدي وهو أولها، واعلم أنَّ الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر) [(٢)] وقال كذلك: (قد علمت أنَّ أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان وأنَّه من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة (عليها السلام) بلغت حد التواتر المعنوي، فلا معنى لإنكارها، ومن ثم ورد من كذب بالدجال فقد كفر، ومن كذب بالمهدي فقد كفر) [(٣)]، وقال في ختام كتابه المذكور بعد الإشارة إلى بعض أمور تجري في آخر الزمان: (وغاية ما ثبت بالأخبار الصحيحة الصريحة الكثيرة الشهيرة التي بلغت التواتر المعنوي وجود الآيات العظام التي منها، بل أولها خروج المهدي، وأنَّه يأتي في آخر الزمان من ولد فاطمة يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً، وأنه يقاتل الروم في الملحمة، ويفتح القسطنطينية) [(٤)].

٣- الشيخ محمد السفاريني الحنبلي، قال: (وقد كثرت بخروجه [يعني المهدي] الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عُدَّ من معتقداتهم، وقد روى الإمام الحافظ ابن الاسكاف بسند مرضي إلى جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كذب بالدجال فقد كفر، ومن كذب بالمهدي فقد كفر" ... وقد روي عمَّن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات

١. المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ابن القيم الجوزية. ت: يحيى عبدالله الثمالي. دار عالم الفوائد: ص١٤٠.
٢. الإشاعة لأشراط الساعة. مكتبة الثقافة – المدينة المنورة. د.ت: ص٨٧.
٣. نفسه: ص١١٢.
٤. نفسه: ص١٨٩ – ١٩٠.

متعددة، وعن التابعين مَن بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدوَّن في عقائد أهل السنة والجماعة) [١].

٤- القاضي محمد بن علي الشوكاني، قال في كتابه "التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح": (والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً، فيها الصحيح، والحسن، والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرِّحة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً لها حكم الرفع؛ إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك) [٢].

وقال في "الفتح الرباني": (الذي أمكن الوقوف عليه من الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر خمسون حديثاً، وثمانية وعشرون أثراً – وقال بعد سردها – وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر، كما لا يخفى على من له فضل اطلاع) [٣].

٥- قال المحدث صديق حسن خان القنوجي: (الأحاديث الواردة فيه – أي المهدي – على اختلاف رواياتها كثيرة جداً تبلغ حد التواتر، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد) [٤]. وقال كذلك: (لا معنى للريب في أمر ذلك الفاطمي الموعود المنتظر المدلول عليه بالأدلة، بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغة إلى حد التواتر) [٥].

٦- الشيخ محمد بن جعفر الكتاني، ينقل عن الحافظ السخاوي، والشيخ جسوس، وأبي العلاء إدريس بن محمد بن إدريس الحسيني العراقي، وآخرين قولهم بتواتر أحاديث

١. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية/ ج٢: ٨٤. متاح على:
http://ia٨٠٢٧٠٦.us.archive.org/٢٨/items/lawme٣/labsaa٢.pdf
٢. المهدي: محمد إسماعيل المقدم. الدار العالمية للنشر والتوزيع – الاسكندرية/ مصر. ط١١ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م: ص٩١.
٣. المهدي: ص٩١.
٤. الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة. ت: مسعد عبدالحميد السعدني. مكتبة القرآن - القاهرة: ص١٦٦.
٥. نفسه: ص٢١٧.

المهدي [١]، ثم يقول: (والحاصل أنَّ الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، وكذا الواردة في الدجال وفي نزول سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام) [٢].

٧- الشيخ عبدالمحسن العباد ألف رسالة بعنوان "عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر"، ذكر فيها أسماء خمسة وعشرين صحابياً رووا أحاديث المهدي [٣]، وست وثلاثين عالماً، ومصنَّفاً خرّجتها [٤]، وأتبعهم بذكر أسماء عشرة مؤلفين صنفوا في شأن المهدي تحديداً [٥]، وعرج على ذكر بعض من حكوا تواتر الأحاديث [٦]، ليختم بالقول: (إنَّ المهدي الكثيرة التي ألَّف فيها مؤلفون، وحكى تواترها جماعة، واعتقد موجبها أهلُ السنة والجماعة وغيرهم من الأشاعرة تدلُّ على حقيقة ثابتة بلا شكٍّ هي حصول مقتضاها في آخر الزمان، ولا صلة البتة لهذه الحقيقة الثابتة عند أهل السنة بالعقيدة الشيعية) [٧].

٨- قال أبو جعفر العقيلي في كتابه الضعفاء، عند ترجمة علي بن نفيل الحراني: (في المهدي أحاديث جياد ... وقال في موضع آخر: وفي المهدي أحاديث صالحة الأسانيد) [٨].

٩- قال البيهقي: (الأحاديث في التنصيص على خروج المهدي أصح إسناداً..الخ) [٩].

١٠- قال ابن تيمية في "منهاج السنة": (إنَّ الْأَحَادِيثَ الَّتِي يُحْتَجُّ بِهَا عَلَى خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ أَحَادِيثُ صَحِيحَةٌ رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم) [١٠].

---

١. ينظر: نظم المتناثر في الحديث المتواتر. دار الكتب السلفية – مصر. ط٢ د.ت: ص٢٢٦.
٢. نفسه: ص٢٢٩.
٣. ينظر: كتب ورسائل عبدالمحسن بن حمد العباد البدر: مج٤ ص٢٧٩.
٤. ينظر: نفسه: ص٢٧٩ وما بعدها.
٥. ينظر: نفسه: ص٢٨١ وما بعدها.
٦. ينظر: نفسه: ص٢٨٤.
٧. كتب ورسائل عبدالمحسن بن حمد العباد البدر: مج٤ ص٣٢٨.
٨. أشراط الساعة في مسند أحمد وزوائد الصحيحين: خالد بن ناصر بن سعيد الغامدي. دار الأندلس الخضراء – المملكة العربية السعودية – دار ابن حزم – بيروت، لبنان. ط١ ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م: مج١ ص٢٧٦.
٩. نفسه: ص٢٧٧. وقد نقل المؤلف كلمات لآخرين لم نذكرهم، وقال ص٢٨٠: (وبعد فهذا غيض من فيض في نقل كلام أهل العلم).
١٠. منهاج السنة النبوية (٤/ ٢١١). نقلاً عن: المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة: ص٥٠.

١١- قال محمد شمس الحق العظيم آبادي: (اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر الأعصار أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي) [١].

١٢- قال المحدث الناقد أبو العلاء السيد إدريس بن محمد بن إدريس العراقي الحسيني في تأليف له في المهدي ما نصه: (أحاديث المهدي متواترة - أو كادت - وجزم بالأول غير واحد من الحفاظ النقاد) [٢].

١٣- قال محمد ناصر الدين الألباني: (خلاصة القول: إن عقيدة خروج المهدي عقيدة ثابتة متواترة عنه صلى الله عليه وسلم يجب الايمان بها لانها من أمور الغيب، والايمان بها من صفات المتقين كما قال تعالى: {الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب}. وإن إنكارها لا يصدر إلا من جاهل أو مكابر) [٣].

١٤- قال عبدالله بن الصدّيق الغماري الحسني: (يعتقد كثير من الناس – فيهم علماء وأفاضل – أن لا مهدي، جاهلين بما ورد من الأحاديث القاضية بظهوره في آخر الزمان، وقد أخبرت عن بعض العلماء المدرسين بالأزهر أنه جرى بمجلسه ذكر المهدي (عليه السلام) فأنكره، وقال: إن أحاديثه ضعيفة ... وأحاديث المهدي (عليه السلام) متفق على تواترها بين حفاظ الحديث ونقاده) [٤]، ثم ينقل القول بتواترها عن كثيرين [٥].

١٥- قال د. محمد أحمد المبيض: (من المسلم به عند أهل السنة والجماعة ثبوت خروج رجل من عترة النبي في آخر الزمان، يعم الرخاء على يديه. والتسليم بأمر، أو عدمه مرجعه إلى الأدلة، والأدلة تشهد لهذا الأمر، أو لأصل الفكرة لدرجة بلغت التواتر، مما يرتقي بها إلى درجة القطعيات. وأنا عندما أقول إن ظاهرة المهدي بلغت حد التواتر،

١. عون المعبود شرح سنن أبي داود: ج٦ ص٢٤٣. نقلاً عن: العرف الوردي في أخبار المهدي: جلال الدين السيوطي. ت: أبي يعلى البيضاوي. دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان. ط١ ٢٠٠٦م: ٣.

٢. الموسوعة العقدية - الدرر السنية (٤/ ٢٣٠، بترقيم الشاملة آليا). نقلاً عن: المفصل في أشراط الساعة وعلاماتها: علي بن نايف الشحود. ط١/ ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م: ٣٩٨. متاح على: http://www.saaid.net/book/open.php?cat=١١٦&book=١٢٣٦٤

٣. مقالات الألباني. جمعها وصححها واعتنى بها: نور الدين طالب. دار أطلس للنشر والتوزيع - الرياض- المملكة العربية السعودية. ط١ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م: ص١١٠.

٤. المهدي المنتظر. إصدار جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية - فلسطين: ص١٠. متاح على:
http://www.aslein.net/attachment.php?s=٩ad٦٤٢ba٥٦a١٨٣٤b٢١ca٤٢٥٥٧٩e٩c٢٩e&attachmentid=١٩٥١&d=١٢٤١١٢٥١٠١

٥. ينظر: نفسه: ص١٠ وما بعدها.

أقصد فقط أصل الفكرة، وهي خروج رجل من أهل بيت النبي في آخر الزمان يكون صلاح حال الأمة على يديه) [١].

١٦- قال الشيخ محمد حبيب الشنقيطي: (اعلم أنه من المتواتر عند المحدثين وكافة العلماء المجتهدين أن المهدي غير عيسى، وأن الرواية التي في سنن ابن ماجة أنه لا مهدي إلا عيسى إسنادها ضعيف، وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواياتها عن المختار صلى الله عليه وسلم بمجيء المهدي، وأنه من أهل بيته) [٢].

١٧- قال ابن حجر الهيتمي: (الذي يتعين اعتقاده ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة من وجود المهدي المنتظر) [٣]. ونقل عن بعض الأئمة الحفاظ قوله: (إن كونه – أي المهدي – من ذريته صلى الله عليه وسلم قد تواتر عنه صلى الله عليه وسلم) [٤].

١٨- قال يوسف الوابل، بعد ذكر جملة من أحاديث المهدي: (ما سبق أن ذكرته من الأحاديث وغيرها مما لم أنقله هنا – خشية الإطالة – يدلُّ على تواتر الأحاديث في المهدي تواترًا معنويًا، وقد نص على ذلك بعض الأئمة والعلماء) [٥].

١٩- قال محمد بن صالح العثيمين: (أحاديث المهدي تنقسم إلى أربعة أقسام: القسم الأول: أحاديث مكذوبة. القسم الثاني: أحاديث ضعيفة. القسم الثالث: أحاديث حسنة لكنها بمجموعها تصل إلى درجة الصحة، على أنها صحيح لغيره. وقال بعض العلماء :إن فيها ما هو صحيح لذاته وهذا هو القسم الرابع) [٦].

٢٠- قال الشيخ عبدالعزيز بن باز: (المهدي المنتظر صحيح وسوف يقع في آخر الزمان، قرب خروج الدجال وقرب نزول عيسى عند اختلاف يقع بين الناس عند موت خليفة، فيخرج المهدي ويبايع ويقيم العدل بين الناس سبع سنوات أو تسع سنوات، وينزل في وقته

---

١. الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة. ط١ ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٦م: ص٥٩٦.

٢. رسالة الجواب المقنع المحرر في الرد على من طغى وتجبر بدعوى أنه عيسى أو المهدي المنتظر. دار الشروق - جدة: ص٣٠.

٣. اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود بن عبدالله التويجري. مطبعة المدينة – الرياض. ط١ ١٣٩٦: ج٢ ص٢٢.

٤. القول المختصر في علامات المهدي المنتظر. دراسة وتحقيق وتعليق: مصطفى عاشور. مكتبة القرآن – القاهرة. د.ت: ٢٢.

٥. أشراط الساعة. دار ابن الجوزي: ٢٢٤. متاح على:
http://www.ktibat.com/download-%D٨٪A٣٪D٨٪B٤٪D٨٪B١%D٨٪A٧٪D٨٪B٧_%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٨٪A٧٪D٨٪B٩٪D٨٪A٩-١٥٠٣-٢.html

٦. فتوى بعنوان "هل أحاديث خروج المهدي صحيحة أم لا؟" متاح على: http://ar.islamway.net/fatwa/١٣٣٤٥

عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، هذا جاءت به الأحاديث الكثيرة ... أما المهدي المنتظر الذي جاءت به الأحاديث الصحيحة فإنه من بيت النبي صلى الله عليه وسلم من أولاد فاطمة رضي الله عنها واسمه كاسم النبي صلى الله عليه وسلم: محمد وأبوه عبد الله، هذا حق وجاءت به الأحاديث الصحيحة وسيقع في آخر الزمان) [١].

وقال تعقيباً على محاضرة عبدالمحسن العباد المعنونة "عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر": (أمر المهدي أمرٌ معلوم، والأحاديث فيه مستفيضة بل متواترة متعاضدة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها، كما حكاه الأستاذ في هذه المحاضرة وهي متواترة تواتراً معنوياً لكثرة طرقها، واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، فهي بحقٍّ تدل على أنَّ هذا الشخص الموعود به أمره ثابت وخروجه حق ... وقد اطَّلعت على كثير من أحاديثه فرأيتها كما قال الشوكاني وغيره، وكما قال ابن القيم وغيره: فيها الصحيح وفيها الحسن، وفيها الضعيف المنجبر، وفيها أخبار موضوعة، ويكفينا من ذلك ما استقام سنده سواء كان صحيحاً لذاته أو لغيره، وسواء كان حسناً لذاته أو لغيره، وهكذا الأحاديث الضعيفة إذا انجبرت وشدَّ بعضها بعضاً فإنَّها حجة عند أهل العلم، فإنَّ المقبول عندهم أربعة أقسام: صحيح لذاته، وصحيح لغيره، وحسن لذاته، وحسن لغيره، هذا ما عدا المتواتر، أمَّا المتواتر فكله مقبول سواء كان تواتره لفظياً أو معنوياً، فأحاديث المهدي من هذا الباب متواترة تواتراً معنوياً، فتقبل بتواترها من جهة اختلاف ألفاظها ومعانيها وكثرة طرقها وتعدد مخارجها، ونصَّ أهل العلم الموثوق بهم على ثبوتها وتواترها، وقد رأينا أهل العلم أثبتوا أشياء كثيرة بأقل من ذلك، والحقُّ أنَّ جمهور أهل العلم بل هو كالاتفاق على ثبوت أمر المهدي، وأنَّه حق، وأنَّه سيخرج في آخر الزمان، أمَّا مَن شذَّ عن أهل العلم في هذا الباب فلا يلتفت إلى كلامه في ذلك) [٢].

٢١- قال أحمد بن محمد بن الصدّيق: (لا يخفى أن العادة قاضية بإحالة تواطئ جماعة يبلغ عددهم ثلاثين نفساً فأزيد في جميع الطبقات، وذلك فيما بلغنا، وأمكننا

١. فتاوى نور على الدرب/ ج١. إعداد: أ. د. عبدالله بن محمد الطيار ومحمد بن موسى بن عبدالله الموسى. مؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيرية. د. ت: ص٣٥٥.

٢. كتب ورسائل عبدالمحسن بن حمد العباد البدر: ص٢٧٠ – ٢٧١.

الوقوف عليه في الحال، فقد وجدنا خبر المهدي وارداً من حديث أبي سعيد الخدري ..الخ)[١] ويذكر أسماء ثلاثين صحابياً رووا حديث المهدي [٢].

٢٢- قال المباركفوري: (اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على ممر الأعصار أنه لا بد في اخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره وأن عيسى (عليه السلام) ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل من بعده فيساعده على قتله ويأتم بالمهدي في صلاته وخرج أحاديث المهدي جماعة من الأئمة منهم أبو داود والترمذي وابن ماجة والبزار و الحاكم والطبراني وأبو يعلي الموصلي وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمر وطلحة وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقرة بن إياس وعلي الهلالي وعبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنهم وأسناد أحاديث هؤلاء بين صحيح وحسن وضعيف) [٣].

٢٣- قال الذهبي: (الأحاديث التي نحتج بها على خروج المهدي صحيحة) [٤].

٢٤- أخيراً، وليس آخراً أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية، بالآتي: (الأحاديث التي دلت على خروج المهدي كثيرة وردت من طرق متعددة ورواها عدد من أئمة الحديث، وذكر جماعة من أهل العلم أنها متواترة معنويا منهم أبو الحسن الآجري من علماء المائة الرابعة والعلامة السفاريني في كتابه [لوامع الأنوار البهية]، والعلامة الشوكاني في رسالة سماها [التوضيح في تواتر أحاديث المهدي والدجال والمسيح] وله علامات مشهورة مذكورة في الأحاديث وأهمها «أنه يملأ الأرض عدلا وقسطا بعدما ملئت جورا وظلما»، ولا يجوز لأحد أن يجزم بأن فلان ابن فلان هو المهدي حتى تتوافر العلامات التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة وأهمها ما

١. إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون. مطبعة الترقي – دمشق ١٣٤٧هـ: ٤٣٧. متاح على: http://ia٦٠٠٤٠٨.us.archive.org/٣٢/it...ahm-GHMARI.pdf

٢. نفسه: ص٤٣٧ – ٤٣٨.

٣. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: للامام الحافظ أبي العلاء محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري. دار الكتب العلمية/ بيروت – لبنان. ط١ ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م: ج٦ ص٤٠١.

٤. المهدي المنتظر: إبراهيم المشوخي. مكتبة المنار – الأردن. ط٢ ١٤٠٥٦/ ١٩٨٦ سلسلة أمارات الساعة: ص٧٢.

ذكرنا وهو كونه «يملأ الأرض عدلا وقسطا» الحديث ... عبد الله بن قعود. عبد الله بن غديان. عبد الرزاق عفيفي. عبد العزيز بن عبد الله بن باز) [١].

هؤلاء بعض من قالوا بصحة، أو تواتر أحاديث المهدي، وهناك الكثير جداً سواهم تركنا ذكرهم خشية الإطالة، ولتحقق الغرض بمن ذُكر.

دعوى عدم ذكر البخاري ومسلم للمهدي:

أجاب علماء السنة القائلون بثبوت أحاديث المهدي على دعوى عدم تخريج البخاري ومسلم لشيء من أحاديث المهدي بأنهما أوردا أحاديثاً تتعلق بالمهدي في صحيحهما. فما أخرجه البخاري في صحيحه في باب نزول عيسى بن مريم عن أبي هريرة، وما أخرجه مسلم في كتاب الإيمان من صحيحه عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم) [٢]، وما ورد بلفظ: (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، فأمَّكم منكم) [٣].

وكذلك وروى مسلم في صحيحه عن جابر أنَّه سمع النبي يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إنَّ بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة) [٤].

هذه الأحاديث التي وردت في الصحيحين تدل، بحسب عبدالمحسن العباد، على أمرين؛ الثاني منهما (أنَّ حضور أميرهم للصلاة وصلاته بالمسلمين وطلبه من عيسى عليه الصلاة والسلام عند نزوله أن يتقدم ليصلي لهم، يدلُّ على صلاح في هذا الأمير وهدى، وهي وإن لم يكن فيها التصريح بلفظ المهدي إلَّا أنَّها تدل على صفات رجل صالح يؤمُّ المسلمين في ذلك الوقت، وقد جاءت الأحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسِّرة لهذه الأحاديث التي في الصحيحين، ودالة على أنَّ ذلك الرجل الصالح يُسمى محمد بن عبد الله ويقال له

---

١. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. جمع وترتيب: أحمد بن عبدالرزاق الدويش. دار المؤيد – الرياض، المملكة العربية السعودية. ط١ ١٤٢٤هـ: ج٣ ص١٠١.

٢. صحيح البخاري: إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي. دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م: ج٤ ص١٤٣. والجامع الصحيح (صحيح مسلم): مسلم بن الحجاج النيسابوري. دار الفكر – بيروت: ج١ ص٩٤.

٣. صحيح مسلم: ج١ ص٩٤.

٤. نفسه: ص٩٥.

المهدي، والسُّنَّة يفسر بعضها بعضاً. ومن الأحاديث الدالَّة على ذلك الحديث الذي رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسنده عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا، فيقول: لا، إنَّ بعضَهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة"، وهذا الحديث قال فيه ابن القيم في المنار المنيف: "إسناده جيد" انتهى . وهو دالٌّ على أنَّ ذلك الأمير المذكور في صحيح مسلم الذي طلب من عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام أن يتقدم للصلاة يُقال له المهدي) [١].

هذا الذي ذهب إليه عبدالمحسن العباد، نسبه الشيخ الشنقيطي لجملة المحدّثين، بقوله: (الذي عليه المحدثون أن هذا الإمام المشار له في الصحيحين هو المهدي المنتظر لحمل الأحاديث المصرحة به على غيرها، كما هو الأصل المعروف) [٢]. والحق إن كثير من الدارسين، مما لا يسعنا استقصاؤهم هنا، قال بمثل هذه المقالة، أو ذهب هذا المذهب[٣].

وقد أجاب عن هذه الشبهة محمد إسماعيل المقدم بأجوبة كثيرة، منها ما تقدم ذكره من كون الصحيحين أشارا إلى المهدي، دون تصريح بالاسم، ومنها أن أحداً من أهل العلم لم يقل إن عدم إيراد الحديث في الصحيحين دليل على ضعفه، ومنها إن الصحيح من الأحاديث لا يقتصر على ما رواه البخاري ومسلم [٤].

وأجاب التويجري بقوله: (الوجه الثاني: أن يقال: إن الشيخين لم يستوعبا إخراج الأحاديث الصحيحة في صحيحيهما ولا التزما بذلك، وقد قال الحافظ ابن حجر في أول مقدمة فتح الباري: روى الإسماعيلي عنه - أي عن البخاري- أنه قال: "لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحا، وما تركت من الصحيح أكثر"، وقال أبو أحمد ابن عدي: سمعت الحسن بن الحسين البزار يقول: سمعت إبراهيم بن معقل النسفي يقول: سمعت البخاري يقول: "ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح، وتركت من الصحيح حتى لا يطول"، وقال مسلم في صحيحه في آخر "باب التشهد في الصلاة": "ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا، إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه"، وقال أبو عمرو ابن الصلاح في كتابه "علوم

---

١. كتب ورسائل عبدالمحسن بن حمد العباد البدر: ص٢٨٧ – ٢٨٨.
٢. رسالة الجواب المقنع المحرّر في الرد على من طغى وتجبّر بدعوى أنه عيسى أو المهدي المنتظر: ص١٠.
٣. ينظر على سبيل المثال: أشراط الساعة، العلامات الكبرى: ماهر أحمد الصوفي. المكتبة العصرية – صيدا/ بيروت. ٢٠١٠م/ ١٤٣١هـ: ص٣٥؛ والإحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المهدي المنتظر: ٦٤. والمهدي المنتظر: إبراهيم المشوخي: ص٢٥.
٤. ينظر: المهدي: ص١٤٢ – ١٤٣.

الحديث": "أول من صنف الصحيح البخاري، وتلاه مسلم بن الحجاج وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز، إلى أن قال: أنهما لم يستوعبا الصحيح في صحيحهما، ولا التزما ذلك؛ فقد روينا عن البخاري أنه قال: ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح، وتركت من الصحاح لحال الطول، وروينا عن مسلم أنه قال: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا، إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه، ثم ذكر ابن الصلاح أن المستدرك على الصحيحين للحاكم يشتمل مما فاتهما - أي الشيخين - على شيء كثير، قال: وإن يكن عليه في بعضه مقال، فإنه يصفو له منه صحيح كثير، قال: وقد قال البخاري: احفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح، قال ابن الصلاح: وجملة ما في كتابه الصحيح سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثًا بالأحاديث المكررة، وقد قيل إنها بإسقاط المكررة أربعة آلاف حديث"، وفي حاشية "علوم الحديث" نقلاً عن ابن الصلاح أنه قال: "وهكذا صحيح مسلم هو نحو أربعة آلاف بإسقاط المكرر، فقد روينا عن أبي قريش الحافظ قال: كنت عند أبي زرعة الرازي، فجاء مسلم بن الحجاج فسلم عليه، فلما أن قام قلت له: هذا جمع أربعة آلاف حديث في الصحيح، فقال: ولمن ترك الباقي".. الخ) [١].

دعوى عدم ذكر المهدي في القرآن:

هناك آيات أولها بعض المفسرين بالمهدي، أو بحوادث متعلقة به من قبيل الخسف بالجيش القادم من الشام، أجلنا ذكرها إلى مباحث لاحقة. لأن أصحاب الشبهة يطلبون آيات صريحة بالمهدي، أو قل آيات تذكر اسم المهدي بوضوح.

وبقدر تعلق الأمر بالعقل السني، فإن هناك ردوداً على هذه الشبهة المنبثقة من طرفه الآخر، صاغها كثير من العلماء والباحثين السنيين. يقف على رأس هذه الردود تذكيرهم [٢]

---

١. الإحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر: ص٥٩ – ٦٠.

٢. ينظر: إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان: حمود بن عبدالله التويجري. مكتبة المعارف – الرياض. ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م: ٢٢، ٦٩. والمهدي للمقدم : ٢٧ – ٢٨، وكذلك: ١٠٢ وما بعدها حيث يستعرض أدلة حجية السنة الشريفة. وقد ورد في السنة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل . فما وجدنا فيه من حلال استحللناه. وما وجدنا فيه من حرام حرمناه. ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله). سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني. ت: محمد فؤاد عبدالباقي. دار الفكر. ج١: ٦.

بأن سنة الرسول (صلى الله عليه وآله) واجبة القبول لقوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١]، ولقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٢]، ولقول النبي (صلى الله عليه وآله): (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا آله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله)[٣]، وقوله (صلى الله عليه وآله): (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) [٤]، وقوله (صلى الله عليه وآله): (يوشك أن يقعد الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله)[٥].

اعتمد البعض في الرد، كذلك، على فكرة أن الاعتماد على السنة في الإيمان والتصديق مما أكدته كلمات العلماء السنيين المشار إليهم بالبنان [٦]. كما إن الرسول (صلى الله عليه وآله) أخبر بكثير مما لم يرد في القرآن تفاصيله كأحكام الصلاة والزكاة والحج، وببعض الأحكام التي لم يرد لها ذكر في القرآن [٧]. هذا علاوة على أن هناك إشارات قرآنية كثيرة تتعلق بالمهدي، سيجري ذكر بعضها في مبحث خاص [*].

---

١. الحشر: ٧.

٢. النساء: ٦٥.

٣. صحيح مسلم/ ج١: ٣٩.

٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل. دار صادر – بيروت. ج٤: ١٣١.

٥. كنز العمال: المتقي الهندي. ضبطه وفسر غريبه وصححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السفا. مؤسسة الرسالة – بيروت. ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م. ج١: ١٧٥.

٦. ينظر: السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها: عثمان بن سعيد المقرئ الداني. دراسة وتحقيق: د. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري. دار العاصمة. ج١: ٣٥ وما بعدها. وكذلك: اتحاف الجماعة: ٤. والاحتجاج بالأثر: ٢٠.

٧. الاحتجاج بالأثر: ٦٩.

(*) ينظر مبحث "إشارات قرآنية مرتبطة بالمهدي" من الفصل الثاني.

دعوى الأصل الشيعي لعقيدة المهدي:

دافع أكثر من باحث عن أصالة عقيدة المهدي في التراث السني، سأختار بعض الدفوع الأنموذجية، طلباً للاختصار.

في رده على الشيخ القطري ابن محمود، الذي قال بأن أصل عقيدة المهدي شيعية سرت إلى السنيّين بالمؤانسة والاختلاط، ذكّر حمود التويجري بأصل الدعوى العائد لرشيد رضا، وأحمد أمين، وسعد محمد حسن، ونقل الكلمات التي قالوها في هذا الصدد [١]، تلميحاً منه لتقليد ابن محمود لهم. و زعم حمود التويجري أن عقيدة المهدي متأخرة لدى الشيعة قياساً بوجودها لدى السنة، وبالتالي لا يمكن أن تكون قد سرت إلى السنة من الشيعة [٢] ! لا يهمنا الآن مدى صوابية، أو عدم صوابية ما زعمه التويجري، بقدر ما يهمنا المعنى الثاني لكلامه الدال على قناعته بأصالة الفكرة، أو العقيدة لدى أهل السنة.

كذلك دفع التويجري الدعوى، بقوله: (إن الأحاديث الثابتة في خروج المهدي كانت من رواية الثقات عن الثقات، من لدن الصحابة الذين رووها عن النبي إلى الأئمة المخرجين لها في كتبهم، ولم يكن لعبد الله بن سبأ [*] ولا لأحد من شيعته علاقة بشيء من تلك الأسانيد الثابتة، وليس في رواتها أحد من المغفلين الذين يقبلون التلقين حتى يتهيأ للناقد الطعن فيها، وإذاً فما زعمه ابن محمود ههنا فهو تمويه وتلبيس على الأغبياء، ولا أساس له من الصحة. وقد كان علماء الجرح والتعديل إذا طعنوا في شيء من الأحاديث، وحكموا عليها بالوضع، يذكرون المتهمين بوضعها ممن يكون في أسانيد تلك الأحاديث من الوضاعين والكذابين، فأما الأحاديث التي يكون في أسانيدها بعض الضعفاء فقد كانوا يحكمون عليها بالضعف، ولا يتجاوزون ذلك إلى الحكم بالوضع، لاحتمال أن تكون من كلام النبي، وأما الأحاديث التي قد رواها الثقات عن الثقات عن النبي فقد كانوا يعظمونها ويعتمدون عليها في أصول الدين وفروعه) [٣]. وختم رده بالقول بأن صاحب الدعوى لم يقدم دليل إثبات عليها، وهذا هو مفاد قوله الآتي: (كان ينبغي لابن محمود أن يذكر له

---

١. ينظر: الاحتجاج بالأثر: ٣٢ وما بعدها.

٢. ينظر: نفسه: ٣٤.

(*) ابن محمود القطري، كعادة الوهابيين، يتهم التشيع بأنه من وضع من يسمونه "عبدالله بن سبأ" والتويجري يصافقه على اتهامه.

٣. نفسه: ٣٤ – ٣٥.

مستندًا صحيحا فيما ألصقه بابن سبأ وشيعته، من صياغة الأحاديث في المهدي ووضعها على لسان رسول الله بأسانيد منظمة عن أهل القبور، ونشرها في مجتمع الناس، وحيث لم يذكر له مستندًا من المصادر الموثوق بها، فلا شك أن مستنده الذي اعتمد عليه هو التوهم والتخيل واتباع الظن) [١].

وهذا الدفع الأخير نطق به محمد أحمد المبيض في رده على سعد محمد حسن صاحب كتاب "المهدية في الإسلام"، فقد نعى عليه عدم تقديم دليل علمي على دعواه التي اعتبرها خاطرة [٢].

وردَّ الشيخ محمد الخضر حسين، شيخ الأزهر في زمنه، بقوله: (يقول بعض المنكرين لأحاديث المهدي جملة: إن هذه الأحاديث من وضع الشيعة لامحالة. ويُرد بأن هذه الأحاديث مروية بأسانيدها، وقد تقصينا رجال سندها فوجدناهم ممن عرفوا بالعدالة والضبط، ولم يتهمهم أحد من رجال التعديل والجرح بتشيع، مع شهرة نقدهم للرجال)[٣].

وفي معرض رده على ابن خلدون، قال الشيخ أحمد شاكر: (أما ابن خلدون فقد قفا ما ليس له به علم، واقتحم قُحَماً لم يكن من رجالها، وغلبه ما شغله من السياسة وأمور الدولة، وخدمة من كان يخدم من الملوك والأمراء، فأوهم أن شأن المهدي عقيدة شيعية، أو أوهمته نفسه ذلك) [٤].

وقال الشيخ محمد المغربي: (ويقرب في شدة القبح من الطعن في الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول سيدنا عيسى، الطعن في الاحاديث الكثيرة الشهيرة الواردة في خروج المهدي آخر الزمان بأنها باطلة، وأنه "خرافة"؛ تقليداً لابن خلدون، وابن خلدون لم يكن فقيهاً في مذهبه، فضلاً عن كونه محدثاً، وفضلاً عن كونه مبرزاً في علم الحديث ... فابن خلدون حكم على جميع الأحاديث الواردة في خروج المهدي بأنها من خرافات الرافضة ودسائسهم، ولا شك عند كل من له إلمام بالعلم أن هذا طعن بمجرد الرأي، لا يمت إلى تحقيق علم الرواية بشيء، وهو فاسد من وجهين: الأول: يلزم منه رد كل رأي، أو عقيدة

---

١. نفسه: ٣٦.

٢. ينظر: الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ٥٩٢.

٣. نظرة في أحاديث المهدي. مجلة "التمدن الإسلامي"، تصدرها جمعية التمدن الإسلامي. دمشق – سوريا ١٣٧٠هـ مج ١٦، العددين ٣٥ و٣٦: ٢١٠ – ٢١٤.

٤. المهدي للمقدم: ١٦١.

أخذ بها طائفة من طوائف المسلمين مخالفة لنا في المذهب، ولو كان حقاً، ولو جاء فيه حديث ..الخ) [١].

وفي مقال له بعنوان "حول المهدي" قال الشيخ الألباني في معرض رده على السيد محمد رشيد: (السيد رشيد – رحمه الله – ادعى أن أسانيدها لا تخلو عن شيعي! مع أن الأمر ليس كذلك على إطلاقه، فالأحاديث الأربعة التي أوردتها ليس فيها رجل معروف بالتشيع، على أنه لو صحت هذه الدعوى لم يقدح ذلك في صحة الأحاديث لأن العبرة في الصحة إنما هو الصدق والضبط، وأما الخلاف المذهبي فلا يشترط في ذلك كما هو مقرر في مصطلح علم الحديث ولهذا روى الشيخان في صحيحيهما لكثير من الشيعة وغيرهم من الفرق المخالفة واحتجا باحاديث هذا النوع) [٢].

دعوى لا مهدي إلا عيسى:

أخرج ابن ماجه بسنده عن محمد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح، عن الحسن البصري، عن أنس بن مالك، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (لا يزداد الأمر إلاّ شدّة، ولا الدنيا إلاّ إدباراً، ولا الناس إلاّ شُحّاً، ولا تقوم الساعة إلاّ على شرار الناس، ولا المهدي إلاّ عيسى بن مريم) [٣].

وأخرجه الحاكم في مستدركه [٤]، ورواه من طريق آخر ليس فيه "لا مهدي إلا عيسى بن مريم" [٥]، وعقب قائلاً: (فذكرت ما انتهى إليّ من علة هذا الحديث تعجباً لا محتجاً به في المستدرك على الشيخين رضي الله عنهما، فإن أولى من هذا الحديث ذكره في هذا الموضع: حديث سفيان الثوري، وشعبة، وزائدة وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه

---

١. نفسه: ١٦٢.

٢. مقالات الألباني: ١٠٨ – ١٠٩.

٣. سنن ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة. ت: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر للطباعة ج٢: ١٣٤٠ – ١٣٤١.

٤. ينظر: المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري. دراية وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان. ط٢ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م. ج٤: ٤٨٨.

٥. ينظر: نفسه: ٤٨٨ – ٤٨٩.

وسلم: أنه قال: لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً) [١].

هذا الحديث كان المستند الذي اعتمده البعض في إنكار الإمام المهدي المتحدر من نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أو التقليل من شأنه. وقد اتخذت الردود عليه منحيين: تضعييفه سندياً، ومحاولة تأويله بما لا يتعارض مع وجود مهدي من آل محمد صلوات الله عليه وآله.

في كتابه "المنار المنيف" قال ابن القيم إن هذا الحديث مما تفرد به راويه "محمد بن خالد"، ونقل كلمات لعلماء سنيين بشأنه في تضعيف ما يرويه [٢].

وعلى مستوى التأويل، قال: (يصح أن يقال: لا مهدي في الحقيقة سواه، وإن كان غيره مهدياً، كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا ما وقى وجه صاحبه، وكما يصح أن يقال: إنما المهدي عيسى ابن مريم، يعني المهدي الكامل المعصوم) [٣].

وفي رده على ابن خلدون قال الغماري: (أقول إن هذا الحديث ليس بضعيف كما يقول الطاعن، وإن اقتصر على ذلك غيره، بل هو باطل موضوع، مختلق مصنوع، لا أصل له من كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا من كلام أنس، ولا من كلام الحسن البصري) [٤]. وقال عن راويه محمد بن خالد: (كذاب وضاع) [٥]، وقال إن توثيق ابن معين لمحمد بن خالد لم يقبله العلماء منه [٦]، وأضاف بأن الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك، والطبراني في الصغير من طريق آخر ليس فيه محمد بن خالد، دون زيادة "لا مهدي إلا عيسى بن مريم" [٧]، وقال كذلك إن الحديث منقطع لأن أبان بن صالح لم

---

١. نفسه: ٤٨٩.

٢. ينظر: المنار المنيف: ١٤٠- ١٤١. وقد نقل عن الآبري قوله: (محمد بن خالد هذا غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل)، وعن البيهقي، قوله: (تفرد به محمد بن خالد هذا)، وعن الحاكم أبو عبد الله قوله: (هو مجهول، وقد اختلف عليه في إسناده، فروي عنه، عن أبان بن أبي عياش، عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال: فرجع الحديث إلى رواية محمد بن خالد وهو مجهول، عن أبان بن أبي عياش وهو متروك، عن الحسن، عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو منقطع. والأحاديث على خروج المهدي أصح إسناداً).

٣. نفسه: ١٤٨ – ١٤٩.

٤. إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون: ٥٨٤.

٥. نفسه: ٥٨٥.

٦. ينظر: نفسه: ٥٨٥.

٧. ينظر: نفسه: ٥٨٦.

يسمع من الحسن البصري، ونقل رأي الذهبي القائل بالانقطاع بين يونس بن عبدالأعلى والشافعي [١]، وقال إن الخبر معارض للمتواتر المفيد للقطع، فلا يُقبل [٢]، ويقصد بالخبر المتواتر الأحاديث في المهدي.

ونقل التويجري عن الذهبي قوله عن الحديث: "خبر منكر" [٣]، و"منقطع" [٤]، وقال عنه الألباني "منكر" [٥].

وقال المقدسي: (وأما من زعم أن لا مهدي إلا عيسى ابن مريم، وأصر على صحة هذا الحديث وصمم، فربما أوقعه في ذلك الحمية والإلتباس، وكثرة تداول هذا الحديث على السنة الناس. وكيف يرتقي إلى درجة الصحيح وهو حديث منكر، أم كيف يحتج بمثله من أمعن النظر في إسناده وأفكر... إلى قوله: فقد اتضح لمن أنصف لمن أنصف من جملة هذا الكلام، أن المهدي من ولد الزهراء فاطمة لا ابن مريم (عليه السلام). على أنا نقول: ولئن سلمنا صحة هذا الحديث فإنه يحمل على تأويل، إذ لا نجد لإلغاء ما يعارضه من الأحاديث الصحيحة سبيل، ولعل تأويله كتأويل: لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد إذ ألفاظ الحديثين يقرب بعضها من بعض ولا يبعد، وفي الحديث من هذا النوع كثير، وليس ذلك بمحمول على نفي المنفي بل على الترجيح والتوفير، أو لعل له تأويلاً غير ذلك، فوجوه العلم متسعة المسلك. قال الشيخ الإمام الحافظ العلامة شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الشافعي، رضي الله عنه: ولقوله صلى الله عليه وسلم: "لا مهدي إلا عيسى ابن مريم" وجه آخر من التأويل، وهو أن يكون على حذف مضاف، أي إلا مهدي عيسى. أي الذي يجيء في زمن عيسى (عليه السلام)، فهو احتراز ممن يسمى بالمهدي قبل ذلك من الملوك وغيرهم، أو يكون التقدي: إلا زمن عيسى. أي: الذي يجيء في ذلك الزمن، لا في غيره) [٦].

---

١. ينظر: نفسه: ٥٨٧.
٢. ينظر: نفسه: ٥٨٨.
٣. ينظر إتحاف الجماعة: ٢٦.
٤. ينظر: نفسه: ٢٧.
٥. المهدي للمقدم: ١٥٦.
٦. عقد الدرر في أخبار المنتظر: يوسف بن يحيى المقدسي. حققه وراجع نصوصه: الشيخ مهيب بن صالح البوريني. مكتبة المنار – الزرقاء/ الأردن. ط٢ ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م: ٦٠ – ٦٤.

وقال فيه ابن كثير: (حديث مشهور بمحمد بن خالد الجندي الصنعاني المؤذن شيخ الشافعي، وقد روى عنه غير واحد أيضًا وليس هو بمجهول كما زعمه الحاكم، بل قد رُوي عن ابن معين أنه وثقه، ولكن من الرواة من حدث به عنه أبان عن أبي عياش عن الحسن البصري مرسلا، وذكر شيخنا في التهذيب عن بعضهم أنه رأى الشافعي في المنام وهو يقول : كذب عليَّ يونس بن عبد الأعلى الصدفي ويونس من الثقات لا يطعن فيه بمجرد منام، وهذا الحديث فيما يظهر بادىء الرأي مخالف للأحاديث التي أوردناها في إثبات أن المهدي غير عيسى ابن مريم، أما قبل نزوله فظاهر والله أعلم، وأما بعده فعند التأمل لا منافاة بل يكون المراد من ذلك أن يكون المهدي حق المهدي هو عيسى ابن مريم ولا ينفي ذلك أن يكون غيره مهديًا أيضاً) [(١)].

وقال القرطبي: (يحتمل أن قوله عليه الصلاة والسلام: "ولا مهدي إلا عيسى"؛ أي: لا مهدي كاملًا معصومًا إلا عيسى، وعلى هذا تجتمع الأحاديث ويرتفع التعارض) [(٢)]. وبمثل قوله قال ابن حجر الهيتمي، بعد أن ضعف الحديث [(٣)].

مضمون الاعتقاد السني بالمهدي:

سبق أن نقلنا عن عبدالله آل محمود الكلمة التي قالها أبو الأعلى المودودي، وهي:

(لا يمكن، بتأويل مستبعد، أن في الإسلام منصباً دينياً يُعرف بالمهدوية يجب على كل مسلم أن يؤمن به، ويترتب على عدم الإيمان به طائفة من النتائج الاعتقادية والاجتماعية في الدنيا والآخرة).

إذا جمعنا هذه المقولة مع ما كتبه عبدالله آل محمود، عن العقيدة بالإمام المهدي، في رسالته المسماة بـ "لا مهدي ينتظر بعد الرسول محمد خير البشر"، وهو الآتي: (إنها ليست من عقيدة أهل السنة، ولهذا لم يذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في عقائده، لا في الواسطية، ولا في الأصفهانية، ولا السبعينية، ولا التسعينية، ولا العرشية، كما أنها لم

---

١. البداية والنهاية/ ج١٩: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. ت: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي. دار عالم الكتب ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م: ص٦٦- ٦٧.

٢. أشراط الساعة: يوسف الوابل: ص٢٣٦.

٣. ينظر: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر: ص٢٣.

تذكر في عقيدة الطحاوية، ولا في شرحها، ولا في عقيدة ابن قدامة، ولا عقيدة ابن زيدون المالكي، فعدم ذكرهم لها يدل على أنها ليست من عقائد الإسلام والمسلمين) [١]، ثم قوله: (والحاصل الذي نعتقده، وندين الله به، أنه لا مهدي ينتظر بعد الرسول محمد خير البشر، وأنه لا ينكر على من أنكره، إذ إنكاره لا ينقص من الإيمان) [٢]، نخرج بنتيجة أن العقل السني، في العمق، لا يشعر بأن ثمة ما يشده بقوة للاعتقاد بالإمام المهدي. نعم هناك كثير من علماء السنة قالوا بضرورة الاعتقاد بالإمام المهدي، عرضنا فيما تقدم لكلمات بعضهم، وسنعرض لغيرها لاحقاً، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه بقوة: أين يمكن أن نموضع الاعتقاد بالمهدي المنتظر في خارطة العقائد السنية ؟

الإمام المهدي، كما يعرف الجميع، له منصب الإمامة [*]، وهذا المنصب لا يحظى بتميز، أو فرادة على صعيد المنظومة العقدية السنية، فالإمام قد يختاره الناس، أو أهل الحل والعقد، وقد يأتي متغلباً بقوة السيف، والشروط اللازم توفرها فيه – بقدر تعلق الأمر بالعقل السني – لا تضفي عليه أهمية استثنائية [٣]. كما أن التجربة السنية عرفت كثيراً جداً من الأئمة، دون أن يحظى أيّ منهم بعشر معشار الاهتمام الذي حظي ويحظى به المهدي، من جهة ذكر الأحاديث له، وتأليف الكتب [٤]، والذيوع بين الناس في مختلف الأصقاع والأعصار. والمهم، إن إيجاد خليفة للمسلمين فريضة شرعية لا يصح تعليق العمل لها انتظاراً لظهور المهدي، كما يؤمن العقل السني [٥].

إذن ما الذي جعل المهدي معشوقا، ومنتظراً، تُؤلف عنه الكتب، وتترقبه الأجيال، وينتحل شخصيته كثير من الطامحين، والساخطين على الواقع الاجتماعي، بينما الدين قد

---

١. لا مهدي ينتظر بعد الرسول محمد خير البشر: ص٢٤٤.

٢. نفسه: ص٢٣٧.

(*) سنسرد، في حينه، روايات بهذا الصدد.

٣. ينظر بشأن شروط الإمام في المدرسة السنية: الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة: عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي. دار طيبة – الرياض. ص٢٣٣ وما بعدها.

٤. قدم أكثر من كتاب إحصائية في الكتب التي صُنفت في الإمام المهدي، منها على سبيل المثال: المهدي للمقدم: ٧٤ وما بعدها، أحصى فيه ثلاثين مؤلفاً مع ذكر عنوان الكتاب. أما عبدالمحسن العباد فقد ذكر أسماء ست وثلاثين إماماً خرجوا أحاديث المهدي، في بحثه "عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر". ينظر: كتب ورسائل عبدالمحسن بن حمد العباد: ص٢٧٩ وما بعدها.

٥. المهدي للمقدم: ص٣٦٠.

اكتمل، وما تركه النبي من قرآن، وسنة يكفيان تماماً، كما يؤمن العقل السني؟ يعبر عبدالله آل محمود عن معضلة العقل السني، بقوله:

(نعتقد بأن رسول الله لم يخلف وراءه علمًا ولا دينًا يرتجى حصوله ووصوله على يد المهدي من بعده، لأن الله سبحانه قد أكمل لنا الدين، وأتم به النعمة على المسلمين بإرسال هذا النبي الكريم ﴿عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيكُم بِٱلمُؤمِنِينَ رَءُوف رَّحِيم ١٢٨﴾ [التوبة:١٢٨]. وأنزل الله في كتابه المبين ﴿ٱليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسلَٰمَ دينا﴾ [المائدة: ٣]. فما بعد الكمال إلا النقص، ولا بعد الإسلام إلا الكفر. وإننا بكتاب ربنا وسنة نبينا لفي غنى واسع عن دين يأتينا به المهدي المنتظر، إذ المهدي ليس بملك مقرّب ولا نبي مرسل، وليس ديننا الذي جاء به كتاب ربنا وسنة نبينا بناقص حتى يكمله المهدي ﴿وَتَمَّت كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدقا وَعَدلا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلعَلِيمُ ١١٥﴾ [الأنعام: ١١٥]) [١].

إذا لم يكن المهدي مرسلاً من الله، ولم يكن متصلاً بالسماء بأي طريقة كانت، ولم يكن سوى مجتهد، أو حتى عالم متبع للمجتهدين، كما يراه البعض [٢]، فلماذا يكون مهماً، ولماذا تنعقد عليه الآمال، ويعطى مكانة استثنائية غير مبررة، بحسب العقل السني ؟

هذه هي مشكلة العقل السني الذي لا يؤمن بالإمامة، كما يؤمن بها الشيعة، على سبيل المثال، إنه يتساءل: كيف يمكن تبرير وجود شخص يأتي في آخر الزمان، يتحقق على يديه ما لم يتحقق على يدي أحد غيره، حتى من الأنبياء، ولا يجد جواباً تسعفه به المنظومة العقدية التي يعوم عليها.

إن قوة المضامين التي تنطوي عليها النصوص الواردة في المهدي، من جانب، وكثرتها من جانب آخر، فرضت هذه العقيدة على العقل السني فرضاً [*]. لكنّ عدم وجود سياق في

---

١. لا مهدي ينتظر بعد الرسول محمد خير البشر: ص٢٤٠ – ٢٤١.

٢. يرى المقدم أن المهدي مجدد من المجددين يلتزم بالعقيدة السلفية! ينظر: المهدي: ص٤٥٠.

(*) يقول محمد إسماعيل المقدم في مقدمة الطبعة العاشرة من كتابه: (أما بعد فقد كانت قضية "المهدية" – ولا تزال – قضية مثيرة للجدل، ولعل مصدر رسوخها في الوجدان الإسلامي، واستقرارها في العقول، وتكرارها في دورة التاريخ؛ يرجع – بعد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم – عليها إلى كونها تمثل الأمل والطموح والاستبشار والتطلع إلى عهد جديد تُملأ الأرض فيه عدلاً ورخاء بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، ومن ثَمَّ أضافوا إلى لقب "المهدي" وصف "المنتظر"). المهدي: ص٥.

المنظومة العقدية السنية يمكن أن ينتظمها، أو يؤطرها، جعلها تبدو نافرة، وعرضة للانتقاد. ومن هنا كان موقف العقل السني منها متأرجحاً بين الرفض، والقبول الحذر.

وهذه عينة من مواقف الرافضين:

سبق أن نقلنا قول الشيخ محمد أبو زهرة بشأن الاعتقاد بالمهدي: (... ولذلك نقول إنها ليست عقيدة متقررة عند السنيين) [١].

وقال الشيخ مهيب بن صالح البوريني محقق كتاب "عقد الدرر: (يعتقد أهل السنة بأن رجلاً صالحاً من نسل رسول الله سيظهر في آخر الزمان، ليرشد الناس إلى الحق، ويردهم عن الضلال، إلا أن هذا الاعتقاد لا يُعد عندهم من أصول الدين الهامة، وإنما هو أمر فرعي) [٢].

ومما له دلالة أن الشيخ مهيب هذا قد كتب في إهداء الكتاب: (إلى كل عامل للإسلام لم يعلق عمله على وجود مصلح، أو ظهور منتظر) [٣].

وقال محمد رشيد رضا: (منكر المهدي عندهم لا يعد منكراً لأصل من الدين) [٤].

وأخيراً، قال ابن عاشور: (إن واجبات الدين ترجع إلى ثلاثة أنواع: اعتقادات، وأعمال، وآداب، وإن التصديق بظهور المهدي في آخر الزمان لا ينزوي تحت تلك الأنواع؛ إذ ليس هو من الأمور التي يجب اعتقادها في ضمن العقيدة الإسلامية. فسواء على المسلم أن يعتقد ظهور المهدي أو يعتقد عدم ظهوره، وليس العلم بذلك من قبيل العلم الواجب طلبه على الأعيان ولا على وجه الكفاية... فإذ قد خلا عن الاندراج تحت واحد من هذه الأنواع الثلاثة من أمور الدين تبين أنه ليس مما يتعين على المسلمين العلم به واعتقاده، وتمحض لأن يكون مسألة علمية من المسائل التي تتعلق بالمعارف الإسلامية التي يؤثر في شأنها خبر عن رسول الله، أو عن سلف علماء الأمة، فهي بمنزلة الخوض في حديث موسى والخضر، أو في حديث ذي السويقتين من الحبشة الذي يخرب الكعبة حجراً حجراً، أو في أشراط الساعة، أو نحو ذلك مما يبحث عنه علماء الأثر روايةً ودراية، بمعنى أن يكون

١. الإمام الصادق حياته وعصره، آراءه وفقهه: ص٢٣٩.

٢. عقد الدرر: ص١١.

٣. نفسه: ص٥.

٤. فتاوى الإمام محمد رشيد رضا/ ج١: ص١٠٨.

الخوض فيها خوضاً علمياً لتوسيع المعرفة والتحقيق والتمحيص للعلوم الإسلامية لمن تفرغ لذلك) [١].

وسنقرأ الآن كلمات من قبلوا المهدي كعقيدة، وسنلاحظ، على بعضها، أنه يقف على طرف النقيض مما زعمه الطرف الرافض. فإذا كان محمد أبو زهرة قد زعم أن الاعتقاد بالمهدي ليس عقيدة متقررة عند السنيين، فإن أحمد بن محمد بن الصديق ينقل عن السفاريني قوله: (الإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة) [٢].

هذا، الذي قاله السفاريني، وأقره عليه محمد بن الصديق وغيره، قول مجمل قد نحتاج إلى كلمات أخرى لتفسيره، والوقوف على حقيقته.

يقول الشيخ محمد العربي الفاسي شعراً:

وما من الأشراط قد صحَّ الخبر ... بـه عـن النبـي حـقٌ يُنتظـر
وخبـــر المهـــدي أيضـــاً وردا ... ذا كثـرة في نقلـه فاعتضـدا [٣]

وقال التويجري رداً على ابن محمود القطري الذي رفض أن يكون الإيمان بالمهدي كالإيمان بوجود الرب، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالبعث بعد الموت، والايمان بالجنة والنار [٤]، قال: (القول في خروج المهدي في آخر الزمان كالقول في غيره من أشراط الساعة؛ مثل خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة من الأرض، وظهور الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، ووقوع الخسوف الثلاثة في المشرق والمغرب وجزيرة العرب، وخروج النار التي تطرد الناس إلى محشرهم، وكذلك انحسار الفرات عن كنز من ذهب أو جبل من ذهب، وكذلك خروج القحطاني والجهجاه،

---

١. تحقيقات وأنظار: ص٤٩- ٥٠ .
٢. إبراز الوهم المكنون: ص٤٣٦؛ و المهدي للمقدم: ص٩٠.
٣. المهدي للمقدم: ص٩٢.
٤. ينظر: الاحتجاج بالاثر: ص١٨٢.

والخليفة الذي يحثوا المال حثوًا ولا يعده عدًا، فكل هذه الأمور يجب الإيمان بها لثبوتها عن النبي) [(١)].

ونقل عن الطحاوي أنه قال في عقيدته المشهورة: (ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم (عليه السلام) من السماء) [(٢)].

وقال د. صالح بن فوزان الفوزان: (لما كان الايمان باليوم الآخر مسبوقاً بعلامات تدل على قرب وقوعه تسمى "أشراط الساعة" ناسب أن نذكر أهمها؛ لأن الإيمان بها واجب وهو من صلب العقيدة) [(٣)].

هذه النصوص تشير إلى التخريجة، أو الطريقة التي ابتكرها العقل السني لإيجاد التوافق بين العقيدة بالمهدي، والمنظومة العقدية السنية. فالإيمان بالمهدي بحسب هذه النصوص يتموضع في المنظومة العقدية السنية بوصفه إيماناً بشرط من أشراط الساعة[(*)].

هناك نصوص أخرى تعثر على تأويل، أو تأويلات أخرى تصالح من خلالها بين العقيدة بالمهدي والمنظومة العقدية السنية، هذه عينة منها:

قال الألباني: (خلاصة القول: إن عقيدة خروج المهدي عقيدة ثابتة متواترة عنه صلى الله عليه وسلم يجب الايمان بها لأنها من أمور الغيب، والإيمان بها من صفات المتقين كما قال تعالى: ﴿الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ وإن إنكارها لا يصدر إلا من جاهل أو مكابر. أسأل الله تعالى أن يتوفانا على الايمان بها وبكل ما صح في الكتاب والسنة) [(٤)].

---

١. نفسه: ص١٨٢ – ١٨٣.

٢. إقامة البرهان: ص١٧.

٣. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والالحاد: د. صالح بن فوزان الفوزان. وكالة الطباعة والترجمة – الرياض/ السعودية. ط٢ ١٤١٢هـ ج٢: ص١٩٦.

(*) أكثر كتب في الوقت الحاضر يمكن أن تجد فيها مادة عن المهدي هي الكتب التي تعالج أشراط الساعة، وفي قائمة المصادر عدد منها.

٤. مقالات الألباني: ص١١٠.

وقال كذلك: (ومنهم – وفيهم بعض الخاصة – من علم أنّ ما حكيناه عن العامة أنه خرافة ولكنه توهم أنها لازمة لعقيدة خروج المهدي، فبادر إلى إنكارها، على حد قول من قال: "وداوني بالتي كانت هي الداء"! وما مثلهم إلا كمثل المعتزلة الذين أنكروا القدر لما رأوا أن طائفة من المسلمين استلزموا منه الجبر! فهم بذلك أبطلوا ما يجب اعتقاده، وما استطاعوا أن يقضوا على الجبر! وطائفة منهم رأوا أنّ عقيدة المهدي قد استغلت عبر التاريخ الإسلامي استغلالاً سيئاً، فادعاها كثير من المغرضين، أو المهبولين، وجرت من جراء ذلك فتن مظلمة، كان من آخرها فتنة مهدي (جهيمان) السعودي في الحرم المكي، فرأوا أنّ قطع دابر هذه الفتن إنما يكون بإنكار هذه العقيدة الصحيحة! وإلى ذلك يشير الشيخ الغزالي عقب كلامه السابق ! وما مثل هؤلاء إلا كمثل من ينكر عقيدة نزول عيسى في آخر الزمان التي تواتر ذكرها في الأحاديث الصحيحة؛ لأنّ بعض الدجاجلة ادعاها، مثل ميرزا غلام أحمد القادياني، وقد أنكرها بعضهم فعلاً صراحة، كالشيخ شلتوت، وأكاد أقطع أنّ كل من أنكر عقيدة المهدي ينكرها أيضاً، وبعضهم يظهر ذلك من فلتات لسانه، وإن كان لا يبين. وما مثل هؤلاء المنكرين جميعاً عندي إلا كما لو أنكر رجل إلوهية الله بدعوى أنه ادعاها بعض الفراعنة! فهل من مدكر) [1].

وأجاب ابن باز عن سؤال وُجه إليه بما يأتي:

(س: يوجد لدينا رجل ينكر المسيح الدجال والمهدي ونزول عيسى ويأجوج ومأجوج ولا يعتقد في شيء منها، ويدعي عدم صحة ما ورد في ذلك من أحاديث، مع العلم بأنه لا يفقه شيئاً في علم الحديث ولا في غيره، وقد نوقش في هذه الأمور من قبل علماء ولكنه يزعم أنّ كل الأحاديث الواردة في هذه الأمور مكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم ودخيلة على الإسلام، وهو يصلي ويصوم ويأتي بالفرائض، فما حكمه ؟ وفقكم الله.

ج: مثل هذا الرجل يكون كافراً والعياذ بالله؛ لأنه أنكر شيئاً ثابتاً عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، فإذا كان بيّن له أهل العلم ووضحوا له ومع هذا أصر على تكذيبها وإنكارها فيكون كافراً؛ لأنّ من كذَّب الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر، ومن كذَّب الله فهو كافر، وقد صحت وتواترت هذه الأخبار عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في

---

١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف – الرياض. مج٤: ص٤٣.

نزول المسيح بن مريم من السماء في آخر الزمان، ومن خروج يأجوج ومأجوج وخروج الدجال في آخر الزمان، ومن مجيء المهدي، كل هذا الأربعة ثابتة: المهدي في آخر الزمان يملأ الأرض قسطاً بعد أن ملئت جوراً، ونزول المسيح بن مريم، وخروج الدجال في آخر الزمان، وخروج يأجوج ومأجوج. كل هذا ثابت بالأحاديث الصحيحة المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنكارها كفر وضلال نسأل الله العافية والسلامة.

فالدجال والمسيح بن مريم ويأجوج ومأجوج: هؤلاء الثلاثة ليس فيهم شك ولا ريب تواترت فيهم الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأما المهدي فقد تواترت فيه الأخبار أيضاً، وحكى غير واحد أنها تواترت عن النبي صلى الله عليه وسلم، لكن لبعض الناس فيها إشكال وتوقف، فقد يتوقف في كفر من أنكر المهدي وحده فقط.

أما من أنكر الدجال أو المسيح ابن مريم أو يأجوج ومأجوج فلا شكَّ في كفره ولا توقف وإنما التوقف في من أنكر المهدي فقط، فهذا قد يُقال بالتوقف في كفره وردته عن الإسلام؛ لأنه قد سبقه من أشكل عليه ذلك، والأظهر في هذا والأقرب في هذا كفره، وأما ما يتعلق بيأجوج ومأجوج والدجال والمسيح بن مريم فقد كفر، نسأل الله العافية) [١].

وأجاب الشيخ أحمد بن حجر الشافعي على سؤال وجه له بشأن طائفة، من بلاد الهند، اعتقدوا بشخص ميت على أنه المهدي، وقالوا بكفر من ينكره [٢]، أجاب بقوله: (... إن كان لإنكارهم السنة رأساً فهو كفر يقضي عليهم بكفرهم وردتهم فيقتلون كما مر، وإن كان لإنكارهم لها وإنما ذلك محض عناد لأئمة الإسلام وجهابذة الأحكام ومصابيح الهدى ونجوم الظلام فهو يقتضي تعزيرهم البليغ وإهانتهم بما يراه الحاكم لائقاً بعظيم جريمتهم وقبيح طريقتهم وفساد عقيدتهم.. الخ) [٣].

وبشأن الطائفة نفسها أفتى محمد بن محمد الخطابي المالكي، وأحمد أبو السرور بن الصبا الحنفي، بقريب مما أفتى به ابن حجر الشافعي [٤]، وأفتى يحيى بن محمد الحنبلي، بما يأتي: (... أما من كذب بالمهدي الموعود به، فقد أخبر النبي – عليه الصلاة والسلام –

---

١. فتاوى نور على الدرب: ص٣٥٥- ٣٥٦.

٢. ينظر: البرهان في علامات مهدي آخر الزمان: علي بن حسام الدين. ت: أحمد علي سليمان. دار الغد الجديد – المنصورة/ مصر. ط١ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م: ص١٠٧.

٣. نفسه: ص١٠٨ – ١٠٩.

٤. ينظر فرق الهند المنتسبة للإسلام. ج١: ص٣٠٠ وما بعدها.

بكفره فإن أصرت هذه الطائفة الضالة على تكفير أهل الإسلام تكفيراً يخرج عن الملة فلكل من الإمام، ومن يقوم مقامه من حكام المسلمين – أيد الله بهم الدين – أن يجري عليها أحكام المرتدين) [١].

ويقول التويجري: (رأيت في المجلة المسماة "المسلمون" مقالاً لعبدالكريم الخطيب أنكر فيه ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظهور المهدي في آخر الزمان، وما أخبر به من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام، وهذه جراءة عظيمة وخطيرة جداً، لأن إنكار الأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومقابلتها بالرد والاطراح، يدل على الاستخفاف بأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويستلزم مشاقته واتباع غير سبيل المؤمنين) [٢].

الإيمان بالمهدي – بحسب هذه النصوص – واجب، وضروري لأنه إخبار من النبي (صلى الله عليه وآله)، وليس لأن هناك شيء متميز متعلق بشخص الإمام المهدي. فالإيمان به، في حقيقته وجوهره، فرع للإيمان بالنبي (صلى الله عليه وآله)، وما صدر عنه.

ومن طرق التأويل ما ذهب إليه الشيخ محمد فهيم أبو عبية، بقوله: (نعم صحت الأحاديث في إثبات حقيقة المهدي، ولكننا نؤولها بأن المهدي: رمز للخير، والهدى، والصلاح) [٣]، أي إنه يرفض أن يكون المهدي شخصاً معيناً، على الرغم من ورود كثير من الأحاديث التي تشخصه !

وعلى الرغم من رد بعض السنيين على هذه المقالة، وتذمرهم من قائلها [٤]، فهي قريبة جداً من فكرهم، ومترشحة من تصورهم. ولا بأس هنا بعرض أنموذج للجوئهم لفكرة الشيخ أبو عبية، وإن بشكل غير واعٍ. يجيب التويجري على إشكال ابن محمود القطري القائل بأن اسم المهدي وأوصافه المذكورة في الروايات متوفرة بكثرة بين المنتسبين إلى الحسن والحسين، وبالتالي يمكن أن تستغل من بعض الكذبة الأدعياء [٥]، يجيب بنقاط، منها قوله: (الوجه الرابع: أن يقال إن المهدي الذي يخرج في آخر الزمان لا يسمى مهدياً من

---

١. نفسه: ص٣٠٢.
٢. إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان: ص٣.
٣. المهدي للمقدم: ص١٧٦.
٤. ينظر: نفسه: ص١٧٦؛ والموسوعة في الفتن والملاحم: ص٥٩٤.
٥. ينظر: الاحتجاج بالأثر: ص٥٣.

أجل أنه من أهل بيت النبي وأن اسمه محمد بن عبدالله ولا من أجل كونه أجلى أقنى، وإنما يسمى مهدياً من أجل صلاحه وعلمه بسنة النبي، ومطابقة خلقه لخلق النبي، ونشره للقسط والعدل، وإزالته للجور والظلم، ومن كانت أعماله بخلاف ما ذكرنا فليس بمهدي ولو كان من أهل البيت النبوي وكان اسمه محمد بن عبدالله، وكان أجلى أقنى لأن هذه الأمور لا تفيده شيئاً إذا لم تكن أعماله مطابقة لما أخبر به رسول الله عن المهدي) [١].

لعلكم لاحظتم كيف انزلق العقل السني إلى المنطقة التي ذهب إليها الشيخ أبو عبية، فقط لأن تصوره عن الكيفية التي يُشخص بها المهدي تشخيصاً دقيقاً، وقطعياً [*] ينطوي على ثغرات لا يملك ما يسدها به. فقول التويجري بأن المهدي يسمى مهدياً من أجل صلاحه وعلمه بسنة النبي، إلى آخر ما قال يفتح الباب لدخول كل من يتصف، أو يُتوهم به أنه يتصف بما تقرره هذه الضابطة، وبالنتيجة سيكون المهدي رمز أكثر من كونه شخصاً محدداً.

مسألتان لاستبيان حقيقة اعتقادهم بالمهدي:

١- مسألة الانتظار:

مسألة الانتظار من المسائل التي يمكن من خلالها اختبار حقيقة الإيمان بالمهدي، وعمقه، وأصالته في العقل السني.

يفهم العقل السني الانتظار على أنه المرادف للتواكل، والكسل، وترك العمل، وعلى أساس هذا الفهم للانتظار انقسم العقل السني إلى طرفين في التعاطي مع فكرة الانتظار؛ طرف رفض الانتظار فقط، وطرف آخر لم يكتف برفضه، وإنما قرر رفض عقيدة المهدي التي تمثل، بحسبه، الجذر الذي ينبت عليه معنى الانتظار المرادف للكسل والتواكل.

يقول محمد ناصر الدين الألباني: (لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام وإقامة دولته على وجه الأرض؛ انتظاراً منهم لخروج المهدي ونزول عيسى عليهما الصلاة

---

١. نفسه: ص٥٥.

(*) سنفصل أكثر في هذه المسألة لاحقاً.

والسلام؛ يأساً منهم أو توهماً أن ذلك غير ممكن قبلهما! فإن هذا توهم باطل، ويأس عاطل، فإن الله تعالى أو رسوله لم يخبرنا أن لا عودة للإسلام ولا سلطان له على وجه الأرض إلا في زمانهما، فمن الجائز أن يتحقق ذلك قبلهما إذا أخذ المسلمون بالأسباب الموجبة لذلك لقوله تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم}[محمد:٧]، وقوله: {ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ [الحج: ٤٠]. ولقد كان هذا التوهم من أقوى الأسباب التي حملت بعض الأساتذة المرشدين والكتاب المعاصرين على إنكار أحاديث المهدي وعيسى (عليهما السلام) – على كثرتها وتواترها – لما رأوا أنها عند المتوهمين مدعاة للتواكل عليها وترك العمل لعز الإسلام من أجلها) [١].

وكتب محمد أحمد بن إسماعيل المقدم تحت عنوان "مهدينا ليس مُنتَظراً"، ما يأتي: (إذا كان مفهوم "الانتظار" في وصف المهدي بأنه "منتظر" يعني تأجيل كل جهد، وتعطيل كلّ سعي من شأنه التمكين للإسلام، ورفع رايته، وإعلاء كلمته – ترقباً لميلاد المهدي، أو انتظاراً لخروجه – فإن مهدينا – أهل السنة – ليس منتظراً. أما إذا كان "الانتظار" يعني مجرد ترقب ظهوره كشرط من أشراط الساعة، والاستبشار بذلك كما روي عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "أبشركم بالمهدي"، ذلك الاستبشار الذي يزرع الأمل في صحراء اليأس؛ فلا حرج في ذلك بشرط عدم تعليق الأعمال الشرعية على خروجه .. الخ)[٢].

وكتب بشيء غير يسير من الاستخفاف: (وليأت المهدي متى قدر الله – عز وجل – له أن يأتي، فإن مهدينا ليس منتظراً، والمهدي – اليوم – ليس هو الحل، لكن الدعوة هي الحل)[٣].

وقال بسام جرار في التقديم الذي كتبه لكتاب "المهدي مسبوق بدولة إسلامية": (القول بأنّ المهدي هو المخلص، الذي على يديه تقام الخلافة الراشدة، هو قول لا يستند إلى نص شرعي، وهو وهم يتداوله الكثير من الناس في أيامنا هذه، ولا عجب في ذلك؛ فكثيرًا ما يقلد الناس قولا لعالم أو كاتب، ثم يشيع ذلك حتى يخيّل إليك أنه حقيقة؛ إنّ رسوخ مثل هذا الاعتقاد يجعل كل الجهود المباركة للدعاة والمصلحين والعاملين على إقامة المجتمع

---

١. قصة المسيح الدجال: ص٣٦.
٢. فقه أشراط الساعة. الدار العالمية – مصر. ط٦ ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م: ص٢٩٩ – ٣٠٠.
٣. المهدي: ص٦.

الإسلامي غير ذات معنى، بل ويصبح القعود والإخلاد إلى الأرض مسوّغًا، حيث لا جدوى من العمل طالما أنّ المهدي لم يظهر بعد؛ ولكن عندما يُرد الأمر إلى نصابه، ويدرك الناس أن المهدي يأتي بعد موت خليفة، وأن الخلافة هي المقدمة الضرورية لقدومه، عندها يصبح الناس على ثقة بأنهم سيقطفون ثمار جهودهم، وتصبح فكرة المهدي فكرة مفعمة بالأمل وملهمة للعمل الخلاق) [(١)].

هذه الكلمات تتجاهل حقيقة واضحة للغاية، تتمثل في أن النبوءة التي تطلقها النصوص النبوية في من ينشر الإسلام في جميع ربوع الأرض، ويملؤها عدلاً وقسطاً، إنما هو المهدي لا غير، وهذه بعضها:

عن علي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت جورا) [(٢)].

وعن أبي سعيد قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي أقنى يملأ الأرض عدلا كما ملئت قبله ظلما يملك سبع سنين) [(٣)].

إن مقتضى الإيمان بنبوة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن نؤمن بأن هذه النتيجة التي ينطق بها الحديثان لا يمكن أن تتحقق على يدي رجل آخر غير المهدي (عليه السلام)، وأن كلامه (صلى الله عليه وآله) لا يتخلف البتة، وعليه يكون انتظار المهدي أمراً لا مناص منه.

إذن ليست المسألة أن تكون للإسلام عودة، وأن يكون له سلطان على الأرض، كما يقول الألباني، وليست مسألة تمكين للإسلام، ورفع لرايته، وإعلاء لكلمته، كما يريد المقدم أن يفهمنا، ولا قضية خلافة راشدة تقام من قبل أشخاص لا يمتلكون من المؤهلات المناسبة ما يجعلهم مستحقين للذكر، والتبشير بهم من قبل رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، كما يرى بسام جرار. هؤلاء يقللون كثيراً من حجم النتائج العظيمة التي تتحقق على يدي المهدي (عليه السلام)، من أجل أن يتوصلوا إلى

---

١. المهدي مسبوق بدولة إسلامية: جواد بحر النّتشة. مركز دراسات المستقبل – فلسطين. ط١ ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م: ص٥.

٢. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ص٢٣٣.

٣. صحيح ابن حبان بترتيب ابن لبان: الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي. ت: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة. ط٢ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م: ج١٥ ص٢٣٨.

نتيجة أن لا شيء فريد سيحققه المهدي، وبالتالي لا موجب للانتظار، الذي يعني الكسل وترك العمل بالنسبة لهم.

الحقيقة إن النتائج الباهرة غير المسبوقة التي لا تتحقق إلا على يدي المهدي تجعله مُنتظَراً، ولكن ليس الانتظار الذي يفهمه العقل السني، وإنما الانتظار الذي يعني الإعداد والتهيئة لظهور، أو خروج الإمام المهدي، وهو معنى يستوعب جميع المعاني الايجابية من قبيل العمل وتطبيق أوامر الشرع، والامتناع عن نواهيه، والتحلي بالأخلاق الفاضلة، وغيرها من الأمور التي تدخل تحت بند التهيئة والإعداد المادي والنفسي لخروج القائد الذي تتحقق على يديه الأهداف السامية.

هذا المفهوم للانتظار ليس غائباً عن المنظومة العقدية السنية حسب، وإنما هو غير متصور في حدودها، لأنه قائم على افتراض أن خروج المهدي ممكن في كل وقت. ومثل هذا الافتراض لا يُتصور إلا في إطار منظومة عقدية وفكرية، كالمنظومة الشيعية، تؤمن بأن الخلفاء الشرعيين هم المنصّبون من قبل السماء، وهؤلاء – ومنهم المهدي – موجودون دائماً، وهم وحدهم من ينبغي أن يحكموا، وأن يعمل المؤمنون على تمكينهم من الحكم، وأن الحكام التاريخيين، أو غير المنصبين من قبل الله، لا شرعية، ولا طاعة لهم، وينبغي للمؤمنين أن يعملوا على إزاحتهم.

غياب مفهوم الانتظار الذي ذكرناه عن المنظومة السنية يجعل إيمانهم بالمهدي إيماناً متعلقاً بأمر غامض خارج عن إرادتهم، أو بحلم جميل بمستقبل لا يملكون بإزائه أي تأثير. وطالما كان الأمر بهذه الصورة فلا معنى، ولا مسوغ لحضوره على ساحة الوعي، والعمل، بل لا حاجة بنا لأن نشغل أنفسنا به، اللهم إلا على نحو ما قاله ابن عاشور في كلمة نقلناها سابقاً، هي: (بمعنى أن يكون الخوض فيها – أي عقيدة المهدي – خوضاً علمياً لتوسيع المعرفة والتحقيق والتمحيص للعلوم الإسلامية، لمن تفرغ لذلك). إذ طالما كنا لا نملك شيئاً بإزاء هذا الحلم الجميل، فإن استحضاره سيكون من قبيل الإبتعاد عن الواقع الحقيقي، وهذا أمر ينبغي الحذر منه، لذلك قال المقدم في كلمته السابقة: (إذا كان "الانتظار" يعني مجرد ترقب ظهوره كشرط من أشراط الساعة، والاستبشار بذلك كما روي عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "أبشركم بالمهدي"، ذلك الاستبشار الذي يزرع الأمل في صحراء اليأس؛ فلا حرج في ذلك بشرط عدم تعليق الأعمال الشرعية على خروجه).

إذن إيمانهم بالمهدي، في جوهره، تعلق بحلم مستقبلي، لا يثير فيهم همة، ولا يحرك ساكناً، وبالتالي لا شيء يدعوهم للتمسك به سوى أن الأحاديث وردت بشأنه، وردُّ الأحاديث أمر غير جائز في الشريعة.

يعبر العريفي عن العلامات المبشرة، من قبيل خروج المهدي بقوله: (هذه العلامات وغيرها لا تعدو أن تكون مفرحة للمؤمنين، مصبرة لهم، مبشرة بأن الدين محفوظ منصور) [١].

٢- مسألة كثرة المدعين وما يترتب عليها من فساد

النتائج العظيمة، التي تتحقق على يدي الإمام المهدي، جعلته أمل المستضعفين، والمتطلعين إلى الكرامة، في كل زمان، ومكان، وأغرت الكثيرين بانتحال شخصيته، ولأسباب مختلفة. واستشرى هذا الأمر في المجال السني الذي تنعدم فيه الضابطة التي تمنع، أو تعصم الناس من الوقوع في مزالق المدعين الكذبة، ويفتقر إلى الطريقة القطعية للتحقق من شخصية الإمام المهدي [*]، وتسبب بالنتيجة بكثير جداً من الويلات، والمآسي. يقول أحمد أمين: (لعبت المهدوية في تاريخ الاسلام، وأصابته مع الأسف بمصيبتين كبيرتين: إحداهما إضعاف شأن المسلمين إضعافاً كبيراً بهذه الثورات المتتالية، وثانيتهما بنشر هذه الأساطير والأوهام بينهم) [٢].

وكتب عبدالسلام البسيوني: (في إطار العمل الإسلامي، تحت وطأة المعاناة، وأثقال التقصير، يتطلع الحالمون إلى "فارس أحلام" في صورة مهدي يصوغه خيالهم، وتشكله أحلامهم ورغائبهم، يؤمنون به رغم أن كل القرائن تؤكد أن المهدي الذي وردت الإشارات إليه في بعض كتب السنة لمّا يُظلنا زمانه، بل كثيراً ما خرج هنا وهناك من يزعم أنه

---

١. نهاية العالم: محمد بن عبدالرحمن العريفي: ص٢٠٨. متاح على: http://نهاية-العالم.com/files/file/the-end-of-word-small.zip

(*) سنبحث هذا الأمر بالتفصيل لاحقاً.

٢. المهدي والمهدوية: ص١١٣.

المهدي بشحمه ولحمه، ومواهبه، ثم يتمخض الجبل فيلد بدعاً ومنكرات، وتنكباً للسنة، بل ربما ولّد كفراً وضلالاً، وزندقة) [١].

هذا الواقع المكشوف للإدعاءات، والمدعين، ألجأ العقل السني، في محاولة منه لسد الخروق، إلى مزاعم لا دليل عليها من الشرع أبداً، من قبيل الزعم بأن المهدي لن يطالب الناس بالإقرار بمهديته [٢]، ولا يدعي أنه المهدي [٣]، أو كما قال سفيان الثوري: (إن مرّ بك المهدي وأنت في البيت فلا تخرج إليه حتى يجتمع الناس) [٤]، وغيرها من التحكمات العارية عن الدليل. الأمر الذي أدى إلى عزل الحقيقة المهدوية عن منطقة الوعي والاهتمام، واستحال الاعتقاد بها، وعدم الاعتقاد شيئاً واحداً، من حيث الحقيقة، فهي غائبة عن الوعي، والاهتمام هنا وهناك معاً.

إن شخصاً كابن محمود القطري يرى أن المطلوب هو دفن القضية المهدوية، لأن ذكر المهدي – بحسبه – يتسبب في افتتان الناس، بين مصدق ومكذب [٥]، وهو ما يجر إلى الفتنة، فيرد عليه التويجري رداً يجرد الحقيقة المهدوية من كل ميزاتها الخلابة، ليحيّزها في خانة الأمور العادية، غير المطلوبة لنفسها، فيقول: (ثبت عن النبي أن المهدي يعمل بالسُنة، وأن خلقه يطابق خلق النبي، وأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت قبله جوراً وظلماً، ومن كان بهذه الصفات الحميدة فالتذكير بخروجه وبأعماله الصالحة يوقع في الفرح والاستبشار بظهور السنة، ونشر القسط والعدل وإزالة الجور والظلم) [٦]. فالقضية إذن متعلقة بظهور السنة، أي بهذا العنوان الذي يمكن أن يتحقق من خلال مصاديق أخرى غير المهدي. أقول إن هذا ممكن – أي ظهور السنة على يديّ غير المهدي – لا باعتبار الحقيقة، وإنما لأن ظنون الناس وأوهامهم قد تخدعهم بأن وضعاً فكرياً، أو دينياً معيناً يمثل تحقيقاً للسنة، بينما هو، في حقيقته، لا يمت للسنة بصلة. أما الحقيقة فإن

---

١. فقه أشراط الساعة: ص٣٢٢.
٢. ينظر: المهدي للمقدم: ص٤٥٠.
٣. ينظر: الاحتجاج بالأثر: ص٣٠٢.
٤. المهدي للمقدم: ص٨١.
٥. ينظر: الاحتجاج بالأثر: ص١١٩.
٦. نفسه: ص١١٩.

المهدي وحده من تتحقق السنة على يديه، ولذا ورد في الحديث أنه يعمل بسنة النبي [1]، على سبيل المديح والإشادة به، ولو كان ثمة من يحققها سواه، لما كان وجه معتبر للإشادة.

هذا الموقف الذي يقلل من شأن المهدي، أو حتى يقزّمه، كان يرافقه، ويتسبب عنه في الوقت ذاته، موقف يزدري القضية المهدوية تماماً. فبعد كل فساد يترتب على الدعوات الكاذبة تنتج ردات فعل عنيفة، نسمع، الآن، وصفها من مؤلف حملته الظروف التي أعقبت فتنة مهدي جهيمان على التأليف لمواجهة أعصار التشكيك الذي عصف بكثير من الناس، وهو محمد أحمد المقدم الذي وصف الحال، بعد الفتنة المذكورة، بقوله: (منذ ذلك الحين تفجرت قضية "المهدية في الإسلام"، وصارت حديث الخاصة والعامة: أما الخاصة فقد خرج كثير منهم عن الاعتدال في هذه المسألة؛ فبالغ طائفة في الإنكار، حتى ردوا جملة من الأحاديث الصحيحة، وقابلهم آخرون؛ فبالغوا في الإثبات، حتى قبلوا الموضوعات، والحكايات المكذوبة؛ وأما العامة، فصاروا في حيرة وتذبذب، ما بين مصدق ومكذب، ولا يكاد الخلاف ينقضي عبر صفحات الجرائد والكتب التي صنفت) [2].

ولعل ما كتبه الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي، في خاتمة دراسته، مثال جيد على الدور الذي لعبته الفتن، والادعاءات في توجيه العقيدة السنية المتعلقة بالمهدي، وتأثيراتها السيئة لجهة إفراغ هذه العقيدة من كل مضمون حقيقي، فهو يلمح إلى الوظيفة السياسية، والصراعية لكتابه، الذي يمثل محاولة لتقديم الحقائق المتعلقة بالمهدي للجمهور، لقطع الطريق على أصحاب الفتن، يقول: (لقد علمنا من خلال دراستنا لمقدمة هذا الكتاب أن محاولات كثيرة جرت في التاريخ لاستغلال هذه الفكرة للوصول إلى أغراض مختلفة وقد قامت على أثرها فتن واضطرابات كثيرة، حتى مال بعض الناس إلى إنكار هذه الفكرة من أساسها، وقام آخرون فحاولوا تعقيدها وإبعادها عن واقع الناس حتى أصبحت وكأنها قضية خيالية. وكلا الفريقين في تفريط أو إفراط ... ولكن الصواب في نظري أن الطريقة الوحيدة للتخلص من هذه المشاكل هو إيجاد الوعي الشامل في صفوف العامة والخاصة وعرض الحقائق في حلتها القشيبة بعيدا عن أي إفراط أو تفريط، فلو قدمت للجماهير الإسلامية الأصول الصحيحة الثابتة لما استطاع أدعياء المهدوية وطلاب

---

١. ينظر: سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني. ت: سعيد محمد اللحام. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ط١ ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م. ج٢: ص٣١٠ – ٣١١.

٢. المهدي: ص١٠؛ وانظر: ص١٦ وما بعدها.

النفوذ والسلطة التوغل في نفوس الناس وأدمغتهم حتى يجروهم إلى هذه الفتن. ويمكن أن تلاحظ في سبيل ذلك أمور تبينت لي من خلال دراستي هذه الفكرة وهي كما يلي:

١- لم أجد أي دليل في السنة الثابتة على أن المهدي يدعو الناس إلى الإيمان بمهديته.

٢- لم أجد أي دليل صحيح على أنه يجب على المسلمين أن يؤمنوا بمهدية رجل معين كما يجب عليهم الإيمان بنبوة الأنبياء المعينين. ومثال ذلك أننا نعرف من السنة الصحيحة أن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد للمسلمين أمر دينهم. ولكن مع ذلك لا أعرف أحدا من العلماء يرى أنه يجب على الناس الإيمان بمجددية أشخاص معينين. والأمر لا يعدو أن يكون المهدي واحدا من أولئك الذين يحيون شريعة الإسلام.

٣- لا حاجة لمن يريد أن يخدم الإسلام ويرفع رايته إيمانا واحتسابا أن يورط نفسه في مثل هذه الدعاوي، فإنه يستطيع أن يخدم دين الله بجهوده المخلصة إذا وفقه الله بدون هذه الدعاوي وأجره على الله وإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

٤- كما أن المسلمين ليسوا في حاجة إلى معرفة المهدي بالذات، بل يجب عليهم أن ينصروا الحق والعدل أيا كان مصدره وليس هذا الأمر خاصا بالمهدي دون غيره.

٥- إن الأحاديث الثابتة في الباب لا تثبت أن المبشر به يلقب نفسه بالمهدي أو أنه يخاطب بالمهدي. ولذلك فمن الممكن جدا أن تكون الكلمة أريد بها معناها اللغوي أي أنه يكون رجلا صالحا هداه الله إلى الحق كما ورد في بعض الروايات "وإمامهم رجل صالح" .وعلى هذا فلا يمكن الجزم بالمراد الحقيقي من هذه الأحاديث إلا بعد ظهور بعض العلامات التي لا يمكن أن تتكرر كخروج الدجال ونزول عيسى (عليه السلام). فكل من يدعي لنفسه المهدوية أو يوافق على ذلك فإن دعواه خير دليل على كذبه وتنم عن نواياه السيئة) [١].

لقد ساقت الوظيفة السياسية والصراعية مؤلف الكتاب إلى الزعم بأنه لم يجد دليلاً بأن المهدي يدعو الناس للإيمان بمهديته، ولا بأنه يلقب نفسه بالمهدي، وجعل عدم وجود الدليل – على حد زعمه – دليلاً بحد ذاته، أي صار عدم الوجود وجوداً، بالنسبة له، وشرعَ على ضوئه يمنع أن يدعي المهدي أنه المهدي، ويمنع أن يدعو الناس لمهديته !

١. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ص٣٨٢ وما بعدها.

ولم يكتف بهذا، وإنما عمد إلى المبالغة في تحجيم، بل تقزيم الحقيقة المهدوية، كما سبق القول، ليجعله مجرد حلقة في سلسلة المجددين الذين يبعث الله واحداً منهم على رأس كل مائة سنة، دون أن يلتفت إلى أن المجددين هؤلاء – وبقدر تعلق الأمر بالمنظومة العقدية السنية – لم يرد فيهم عشر معشار ما ورد في المهدي. أما قوله: "كما أن المسلمين ليسوا في حاجة إلى معرفة المهدي بالذات، بل يجب عليهم أن ينصروا الحق والعدل أيا كان مصدره وليس هذا الأمر خاصا بالمهدي دون غيره"، وقوله: "فمن الممكن جدا أن تكون الكلمة أريد بها معناها اللغوي أي أنه يكون رجلاً صالحاً هداه الله إلى الحق"، فهي، ربما، غنية عن البيان في دلالتها على أن المهدي فكرة يمكن أن تنطبق على أي كان، شرط أن ينصر الحق والعدل. فالذهاب إلى المعنى اللغوي يراد منه توسيع الدلالة، وتعميمها، وبالتالي تمييعها، وسلبها خصوصية الإطلاق، الدالة على رجل بعينه، ليُصار، في خطوة لاحقة، إلى تلبيسها كل من يتحقق فيه وصف الهداية [*].

(*) يقول د. محمد أحمد المبيض رداً على قول محمد أبو عبية بأن المهدي وعيسى رمز لانتصار الحق: (يرى الأحاديث الواردة بشأن المهدي وعيسى والدجال ليست على حقيقتها؛ أي ليس لها وجود على أرض الواقع، بل هي تحمل معاني رمزية، فكل صاحب حق هو المهدي وكل طاغوت من أهل الباطل هو الدجال، وصراع الحق والباطل هو عبارة عن صراع المهدي وعيسى مع الدجال. إذاً هو أخرج النصوص من حقيقتها لتشمل من باب الرمزية كل رؤوس صراع الحق والباطل، وهذا التأويل بيّن فساده، بل هو أشد فحشاً من تأويل الفرق الباطنية، ولو أُعمل سيف التأويل بهذا الشكل في كافة النصوص لما بقي نص على حقيقته) الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ص٥٩٤.

الفصل الثاني

شخصية المهدي المنتظر بين العقيدة والنصوص

شخصية المهدي المنتظر، كما تعرضها النصوص الحديثية، شخصية متميزة واستثنائية، بجميع المقاييس، لكن ما تصوره النصوص لا يجد انعكاسه الطبيعي المفترض على صفحة العقل السني، لسبب بسيط هو أن إطارات هذا العقل ليست مصممة لتتسع لملامح من شأنها تحطيم مجمل الصورة العقدية السنية.

سنراقب في هذا الفصل الصورة النصوصية الباذخة لشخصية المهدي المنتظر، وانعكاسها الباهت على صفحة العقل السني، في الوقت ذاته، وخلال ذلك سنلفت الانتباه إلى موشور العقيدة المسؤول عن الفرق الكبير بين الصورة النصوصية وانعكاسها الذهني.

سينتظم البحث وفق العناوين الآتية:

- شخصية المهدي الاستثنائية.
- إشارات قرآنية مرتبطة بالمهدي.
- المهدي من أهل البيت.
- المهدي خليفة الله.
- صلاة نبي الله عيسى (عليه السلام) خلف المهدي.
- عصمة المهدي أو التسديد الإلهي له.

شخصية المهدي الاستثنائية:

أخرج أبو داود بسنده عن أبي الطفيل، عن علي (عليه السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت جورا) [1].

---

١. سنن أبي داود/ ج٢: ص٣١٠؛ والمصنف: ابن أبي شيبة الكوفي. ضبطه وعلق عليه: الأستاذ سعيد اللحام. دار الفكر – بيروت/ لبنان. ط١. ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م. ج٨: ص٦٧٩؛ وورد في كنز العمال/ ح١٤: ٢٦٦ وما بعدها: (٣٨٦٧٤- لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوله الله تعالى حتى يملك رجل من أهل بيتي جبل الديلم والقسطنطينية. هـ عن أبي هريرة). (٣٨٦٧٥- لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله تعالى رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا. حم، عن علي). (٣٨٦٧٦- لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله تعال ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه أسم أبي ،

هذا الحديث يدل على أن المهدي قدر إلهي، أو سنة إلهية، كما عبر د. محمد أحمد المبيض [١]، أو هو أمر الله كما عبّر ابن عباس، بقوله: (لا يمضي الأيام والليالي حتى يلي منا أهل البيت فتى لم تلبسه الفتن، ولم يلبسها. قال: قلنا: يا عباس يعجز عنها مشيختكم وينالها شبانكم؟ قال: هو أمر الله يؤتيه من يشاء. زاد الداني والبيهقي: كما فتح الله هذا الأمر بنا فأرجو أن يختمه الله بنا) [٢]. ومعنى هذا إن إرادة الله عز وجل في العالم قد تعلقت بالمهدي ليبعثه في آخر الزمان، ويتحقق على يديه ما لم يتحقق على يدي غيره البتة، فهو من سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ولهذا ركزت عليه أحاديث نبوية كثيرة، بلغت، بل فاقت حد التواتر.

إن كون المهدي قدراً إلهياً، أو أمر الله، كما عبر ابن عباس، يناسب تماماً التعبير عن ظهوره بالبعثة الإلهية، كما ورد في حديث أبي داود الآنف: "لبعث الله رجلا من أهل بيتي"، وكذلك ما ورد عن عبدالله عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي) [٣]. وبالتأكيد، سيبدو التعبير عن ظهور المهدي بالبعث الإلهي أمراً غامضاً، وغير مفهوم للغاية في إطار المنظومة العقدية السنية، وفي الغالب سيواجهونه بالتجاهل، أو التأويل، على الرغم من أن تردده في أحاديث كثيرة يدل على أنه تعبير مقصود.

هذه النتيجة العظيمة، أو قل هذه الإرادة الإلهية، التي تمثل انتصار الخير، والعدل، والقيم العليا على الشر، والظلم، والفساد، لا شك في أنها توقد في القلوب نار الأشواق، والتطلع لذلك اليوم الموعود، وتجعل من المهدي محبوباً مُنتظراً، ومن هنا وجدنا أحاديث كثيرة انصبت على الترغيب بانتظاره، وترقب ظهوره المبارك.

في الباب الأول من كتاب "القول المختصر في علامات المهدي المنتظر" يجمع ابن حجر الهيتمي اثنتين وستين علامة، أو خصوصية متعلقة بالمهدي وردت عن النبي (صلى الله

يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا. د عن ابن مسعود). (٣٨٦٨٣- لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لملك فيها رجلا من أهل بيتي. طب عن ابن مسعود). (٣٨٦٨٤- لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لطول الله تعالى تلك الليلة حتى يلي رجل من أهل بيتي. الديلمي عن أبي هريرة).

١. ينظر: الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ص٦٠١، وكذلك: ص٥٩٣.

٢. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ص٣٤٧.

٣. نفسه: ص٢٦٢. وقال عنه في ص٢٦٨: "النتيجة: الحديث صحيح لغيره".

عليه وآله) [١]، وفي الباب الثاني من الكتاب، الذي خصصه لما ورد عن الصحابة، يُحصي تسعاً وثلاثين علامة [٢]، أما التابعون، وتابعوهم فقد ذكر عنهم في الباب الثالث ستاً وخمسين علامة [٣]، وذكر في خاتمة كتابه أموراً أخرى ذات اتصال بالإمام المهدي [٤].

ويبسط محمد أحمد المبيض الحديث في بعض العلامات التي يصطلح عليها بقوله "الإرهاصات الممهدة لخروج المهدي". بحيث يشعر قارئُه بأن الأحاديث الواردة بشأن المهدي وعصره تقدم صورة تفصيلية حية لمجريات الأمور، والوقائع وقتئذ [٥]، ولا يقف الأمر عند الحوادث الإنسانية، وإنما يتعداه لوقائع، وأحدث كونية [٦] كلها تتابع بدقة تفصيلية، يندر أن تصادفنا مع شخص آخر، كل صغيرة وكبيرة تتعلق بشخص الإمام المهدي، وما يجري في زمنه، وكأن الإخبارات الغيبية النبوية تريدنا مشدودين دائماً للحظة المهدوية، نستقرأها في صفحات التاريخ، خاصة إذا علمنا أن العلامات لا تقتصر على رصد ما يقع قريباً من زمن المهدي، حسب، وإنما تتسع زاوية الرصد لتقدم مشهداً بانورامياً يمتد على مساحات زمنية بعيدة ومتوسطة وقريبة معاً، تمنحنا شعوراً بأن حركة التأريخ تمضي وفق حتمية هدفها بلوغ اللحظة المهدوية. ويترسخ هذا الشعور حين يفتح وائل إبراهيم العسود أفق المسألة المهدوية على مديات أوسع، وأرحب، بقوله: (فكرة المهدي، أو المنقذ، أو المخلص فكرة قديمة، تكاد تكون موجودة لدى جميع الأمم) [٧]، وبعد رحلة في التجليات المختلفة للفكرة في تراث الأمم، ينتهي إلى الخلاصة الآتية: (خلاصة القول أن فكرة المهدي فكرة عالمية لم تقتصر على شعب معين، أو إقليم محدد، كما وإن الملل الدينية الرئيسة الثلاث تنتظر إماماً قائماً يقوم في آخر الزمان) [٨].

إذن، مسألة الترقب، والانتظار مسألة تفرضها النصوص، ومن هنا وجدنا كثيراً من العلماء والدارسين السنيين يقولون بأن المهدي منتظرٌ، أو مبشّرٌ به، أو بشارة رسول الله

١. ينظر: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر: ص٢٧ وما بعدها.
٢. ينظر: نفسه: ص٤٧ وما بعدها.
٣. ينظر: نفسه: ص٥٧ وما بعدها.
٤. ينظر: نفسه: ص٧١ ما بعدها.
٥. ينظر: الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ص٦٠٥.
٦. ينظر: نفسه: ص٦١١ وما بعدها.
٧. الأحاديث الواردة في الملحمة الكبرى. دار الفرقان للنشر والتوزيع – الأردن. ط١/ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨: ص٢١٣.
٨. نفسه: ص٢١٩.

(صلى الله عليه وآله) [(١)]. فكما أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) مُبشر به على لسان عيسى (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[(٢)]. وفي الحديث: (قالوا: يا رسول الله! أخبرنا عن نفسك؟ قال: "نعم؛ أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى) [(٣)]، فكذلك المهدي مبشر به، ومنتظر بالنتيجة. ومن المعلوم أن المؤمنين كانوا يترقبون بعثة النبي الكريم (صلى الله عليه وآله)، ولم يستخف أحد منهم ببشارة عيسى (عليه السلام) به، كما صنع محمد أحمد إسماعيل المقدم، في بشارة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالمهدي، عندما زعم بأن المهدي ليس منتظراً لدى السنة، أو كما فعل ابن عاشور حين ادعى بأن الخوض في مسألة المهدي المبشر به مسموح به في حدود "توسيع المعرفة والتحقيق والتمحيص للعلوم الإسلامية، لمن تفرغ لذلك"، أو كما قال قبلهم سفيان الثوري: "إن مرّ بك المهدي وأنت في البيت فلا تخرج إليه حتى يجتمع الناس" [(٤)]. ومن المعلوم أن المؤمنين كانوا ينتظرون بعثة النبي لأنه شخصية إلهية مطلوبة لذاتها، وكذلك ينبغي انتظار المهدي، والتطلع لخروجه على أنه شخصية إلهية [(*)]، ولحظة مفصلية مهمة جداً في حركة الدين الإلهي، فيُنتظر لذاته، وليس لأنه علامة أو شرط من أشراط الساعة.

يلخص محمد أحمد المبيض المشهد بأن البشرية سائرة باتجاه المزيد من الظلم، حتى تمتلأ به الأرض، مما يزيد من توقع خروج المهدي، ويؤجج شوق الناس وحبهم له، لعلمهم أنه المنقذ الذي يتحقق الخلاص على يديه [(٥)]. أي إن كلامه يوحي بأن الشوق والانتظار حتمية تاريخية، أو سنة إلهية.

سأنقل الآن كلمات بعض العلماء السنيين التي تعبر عن تصورهم لشخصية الإمام المهدي، وبعدها أنتقل إلى ما ورد في الأحاديث مما يتصل بأهمية واستثنائية شخصيته.

---

١. ينظر: المهدي للمقدم: ص٨٤ - ٨٥.

٢. الصف: ٦.

٣. أشراط الساعة: يوسف الوابل :٣١٠. وقال في الهامش: (رواه ابن إسحاق في "السيرة". انظر: "تهذيب سيرة ابن هشام" (ص٤٥) لعبد السلام هارون، طبعة المجمع العلمي العربي الإسلامي، منشورات محمد الداية، بيروت. قال ابن كثير في إسناده: "هذا إسناد جيد"، وروى له شواهد من وجوه أخر، رواها الإمام أحمد في "المسند". "تفسير ابن كثير" (١٣٦/٨)، و"مسند الإمام أحمد" (١٢٧/٤, ٢٦٢/٥- بهامشه منتخب الكنز).).

٤. نقلنا كلماتهم في الفصل الأول من البحث.

(*) سنبين المضمون التفصيلي لعبارة "شخصية إلهية" في مبحث "المهدي خليفة الله".

٥. ينظر: الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ص٦٠٥.

يقول محمد المقدم: (يجب نبذ الصورة الأسطورية الغالية التي خلعها على المهدي بعض الفرق الضالة، وبعض مدعي المهدية، ونخص بالذكر الرافضة، وغلاة الصوفية، والوضاعين الكذابين، كما يلزم الاقتصار على الصورة الواقعية لشخصيته كما أخبر بها من لا ينطق عن الهوى – صلى الله عليه وسلم -، والذي وصف المهدي بأنه: "رجل من عترتي"، "رجل منا"، "خليفة من خلفائكم"، "أميرهم المهدي"، "إمامهم رجل صالح" ... إلى آخر صفاته التي تبرئه من غلو الضالين، وإفراط الدجالين، وتثبت أنه – في الحقيقة – إمام عادل، وخليفة راشد، ومجدد لشباب الدين، والمجدد قد يعمر طويلاً، وينجز مهامه التجديدية، ثم يموت دون أن يدور بخلده أنه مجدد، وكذلك كان يمكن أن يقال في حق المهدي سواء بسواء: "إنه قد يعيش ويموت دون أن يقطع بأنه المهدي"، لولا وجود العلامات المحكمة القاطعة التي تجزم بصحة مهديته) [١].

وقال عبدالمحسن العباد في كتابه "الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي": (المهدي عند أهل السنة لا يعدو كونه إماماً من أئمة المسلمين الذين ينشرون العدل ويطبقون شريعة الإسلام، يولد في آخر الزمان ويتولى إمرة المسلمين، ويكون خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء في زمانه، وهو غير معصوم) [٢].

وقال الألباني: (الشرع والعقل معاً يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدي، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج فقد قاموا هم بواجبهم) [٣].

وقال عمر سليمان الأشقر: (أما عقيدة أهل السنة والجماعة فهي موافقة لما سقناه من الأحاديث الصحيحة، وأن المهدي حاكم صالح راشد يبعثه الله مجددا لهذا الدين، ويعلي الله هذا الدين على يديه) [٤].

القاسم المشترك الذي تلتقي عنده هذه الكلمات يتمثل بالنظر إلى الإمام المهدي على أنه شخص عادي غير متصل بالسماء، وبالتالي يمكن لغيره أن يسدّ مسده. فهو حاكم

---

١. المهدي: ص٤٥٣ – ٤٥٤.
٢. كتب ورسائل عبدالمحسن بن حمد العباد البدر مج٧: ص٥٢٥.
٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة. مج٤: ص٤٣.
٤. اليوم الآخر – القيامة الصغرى: د. عمر سليمان الأشقر. دار النفائس – عمان/ الأردن. ط٤ ١٤١١هـ/ ١٩٩١م: ص٢١٠.

صالح يقود المسلمين إلى النصر، وهذه الصفات وإن كانت جيدة بحد ذاتها، إلا إنها لا تقتصر عليه بطبيعة الحال، ولا تمنحه تميزاً عن كثير من الحكام غيره يمكن أن يوصفوا بها. فالكلمات لا تلتفت إلى حقيقة مهمة جداً هي أن المهدي هو الوحيد الذي تحدثت عنه النصوص، ليست الإسلامية، حسب، وإنما نصوص الديانات الأخرى.

إن أهم ما تغيّبه هذه العينة من الكلمات، أو قل ما ترفض الاعتراف به هو أن المهدي شخص متصل بالسماء، ومسدد، وموجه من قبلها، وهذا هو معنى أنه مبشر به، ومنتظر، وهذا معنى أنه مهدي أصلاً. والسبب في رفض الاعتراف هو أن المنظومة العقدية السنية لا حيز فيها لأشخاص يتصلون بالسماء، غير الأنبياء. إن ما يدعونا لهذا التفسير هو أن العقل السني يعترف بالدور الاستثنائي الذي يقوم به المهدي، فهو يعترف بكثير مما ورد في الأحاديث من مضامين تتعلق بالمهدي، من قبيل أنه لا يترك سنة إلا أقامها، ولا بدعة إلا رفعها، ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً، وأن جميع الملل، والأديان تخضع للإسلام في زمانه [١]، وغيرها الكثير مما ورد في الأحاديث، لكنه، مع هذا الاعتراف، يأبى إلا التقليل من شأن المهدي، والتفسير الوحيد الممكن لهذا التقليل هو أن العقل السني غير قادر على استيعاب الصورة الحقيقية للمهدي ضمن إطاراته العقدية، فيضطر إلى تقطيع أوصالها، وبتر أجنحتها.

سأنقل الآن بعض الأحاديث الدالة على أن المهدي شخصية إلهية، لا يقل شأناً عن الأنبياء (عليهم السلام):

أورد علي بن حسام الدين في الباب الأول [٢] من كتابه "البرهان في علامات مهدي آخر الزمان" أحاديث كثيرة عن النداء السماوي بخروج المهدي، منها:

(أخرج ابن أبي شيبة عن عاصم بن عمر البجلي، قال: لينادين باسم رجل من السماء، لا ينكره الذليل، ولا يمنع منه العزيز) [٣].

---

١. ينظر: قبل المهدي خلافة راشدة: ص١٠١؛ وأشراط الساعة، العلامات الكبرى: ص٣٩. حيث يرد الاعتراف بهذه الحقائق وغيرها على لسان ابن حجر.

٢. ينظر: البرهان في علامات مهدي آخر الزمان: ص١٩ وما بعدها.

٣. نفسه: ص٢٠. وقال في الهامش: "بإسناد حسن"؛ والمصنف: ابن أبي شيبة الكوفي/ ج٨: ص٧٠٢.

وبدوره أورد المقدسي في الفصل الثالث [١] من كتابه كثيراً من الأحاديث في النداء، وأورد ابن حجر بعضها في كتابه عن العلامات [٢]. وعلى الرغم من تضعيفهم لأكثرها، إلا أن كثرتها، من جهة، وصحة بعضها [٣]، أو حسنه من جهة أخرى تجعل الباحث مطمئناً، على الاجمال، إلى وقوع النداء السماوي.

لا أظن منصفاً يشك في أن النداء السماوي دليل قاطع على اهتمام السماء بأمر المهدي، وعلى أنه – أي المهدي – رجل إلهي. ولا غرو فقد ورد عن ابن عباس، قوله سابق الذكر: (لا يمضي الأيام والليالي حتى يلي منا أهل البيت فتى لم تلبسه الفتن، ولم يلبسها. قال: قلنا: يا عباس يعجز عنها مشيختكم وينالها شبانكم؟ قال: هو أمر الله يؤتيه من يشاء. زاد الداني والبيهقي: كما فتح الله هذا الأمر بنا فأرجو أن يختمه الله بنا) [٤]. أي إن أمر المهدي هو أمر الله عز وجل.

وورد عن علي بن عبدالله بن عباس، قال: (لا يخرج المهدي حتى تطلع مع الشمس آية)[٥]. وعن عبدالله بن حوالة، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت أرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يؤمئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك) [٦].

قال المبيض في شرحه: (هذا الحديث صريح في الربط بين بعض الأحداث العظام وبين نزول الخلافة بيت المقدس، والغريب أن الحديث لم يعتبر أن الزلازل والبلابل من الأمور العظام مما يشير إلى أن المقصود بها أشياء أعظم من الزلازل، وقد سبق التفصيل في ذلك

---

١. ينظر: عقد الدرر: ص١٦٥.

٢. ينظر: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر: ص٣١.

٣. أخرج في البرهان في علامات مهدي آخر الزمان: ٢١، حديثاً عن نعيم بن حماد، وقال في الهامش: "بسند صحيح".

٤. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ٣٤٧. وقال عنه ص٣٤٩: (هذا إسناد صحيح. موقوف على ابن عباس. وأورد الفقرة الثانية منه ابن كثير في البداية والنهاية وقال: هذا إسناد جيد. وتصريحه هنا "منا أهل البيت" واضح في أنه لا يقصد أن المهدي يكون من بني العباس. بل من أهل البيت بالعموم. ولذلك فلا يتعارض هذا الأثر مع بقية الأحاديث الواردة في أن المهدي من ولد فاطمة).

٥. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ص٢٢٠. وقال ص٢٢١: "إسناده صحيح. رجاله كلهم ثقات"؛ والبرهان في علامات مهدي آخر الزمان: ص٤٦. عن نعيم بن حماد، وقال في الهامش: "بسند صحيح"؛ والمصنف: عبدالرزاق بن همام الصنعاني. ت: حبيب الرحمن الأعظمي. المكتب الإسلامي – بيروت. ط٢ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ج١١: ص٣٧٣.

٦. مسند أحمد: أحمد بن حنبل. :ج٥: ص٢٨٨؛ وسنن أبي داود/ ج١: ص٥٧٠؛ والمستدرك: الحاكم النيسابوري ج٤: ص٤٢٥. وقال: "هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه".

في الحدث الكوني فليرجع إليه، والشاهد هنا أن نزول الخلافة بيت المقدس إشارة إلى عهد المهدي رضي الله عنه مما يشير إلى أن هناك أحداثاً عظيمة تكون ممهدة لخروجه) [١].

وفي القول المختصر: (لمهدينا آيتان لم تكونا منذ خلق الله السموات والأرض: ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان، وتنكسف الشمس في النصف منه) [٢].

هذه الآيات الكونية التي تمهد لخروج المهدي، على حد تعبير المبيض، تدل حتماً على اهتمام استثنائي به، وعلى أنه شخصية إلهية لا يمكن مقارنتها بالناس العاديين؛ سواء كانوا حكاماً، أو مجتهدين.

روى عبدالرزاق الصنعاني بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: (ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلاء يصيب هذه الأمة، حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم، فيبعث الله رجلاً من عترتي، من أهل بيتي، فيملأ به الأرض قسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ولا تدع السماء من قطرها شيئاً إلا صبَّته مدراراً، ولا تدع الأرض من مائها شيئاً إلا أخرجته، حتى تتمنى الأحياء الأموات) [٣].

هذا الحديث ينص على أن المهدي يرضى عنه ساكن السماء، وأن الله عز وجل يُظهر، ببركته، من الخيرات ما يتمنى معه الأحياء الأموات. والمقصود بساكن السماء هم الملائكة الذين ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [٤]. وعلق عليه محمد أحمد المبيض، بعد إيراده بضعة أحاديث منها هذا الحديث، قائلاً: (وهي تشير إلى حالة رخاء غير معهودة على مدار البشرية كلها، وكأنها تتكلم عن جنة مصغرة على الأرض) [٥].

وعن مجاهد قال حدثني فلان رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: (إن المهدي لا يخرج حتى يقتل النفس الزكية فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض فأتى الناس المهدي فزفوه كما تزف العروس إلى زوجها ليلة عرسها وهو

---

١. الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ص٦١٢.

٢. القول المختصر في علامات المهدي المنتظر: ص٥٧.

٣. المصنف ج١١: ص٣٧٢ ؛ ومسند أحمد/ ج٣: ص٣٧؛ ومجمع الزوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي. دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ج٧: ص٣١٤. وقال: "رواه أحمد بأسانيد وأبو يعلى باختصار كثير ورجالهما ثقات". وممن قال بصحته عبدالله الغماري، كما في: المهدي المنتظر: ص١٥.

٤. الأنبياء: ٢٧.

٥. الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ص٦٥٢.

يملأ الأرض قسطا وعدلا وتخرج الأرض من نباتها وتمطر السماء مطرها وتنعم أمتي في ولايته نعمة لم تنعمها قط) [١].

وأخرج الحاكم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحا وتكثر الماشية وتعظم الأمة ، يعيش سبعا أو ثمانيا يعني حججا) [٢].

وعن أبي سعيد الخدري، قال: (خشينا أن يكون بعد نبينا حدث، فسألنا رسول الله، فقال: يخرج المهدي في أمتي خمسًا أو سبعًا أو تسعًا – زيدٌ الشاك- قال قلت: أي شيء؟ قال: سنين، ثم قال: يرسل السماء عليهم مدرارًا، ولا تدخر الأرض من نباتها شيئًا، ويكون المال كدوسًا، قال: يجيء الرجل فيقول يا مهدي أعطني أعطني، قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمل) [٣].

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة عن النبي، قال: (يكون في أمتي المهدي، إن قصر فسبع، وإلا فثمان وإلا فتسع، تنعم أمتي فيه نعمة لم ينعموا مثلها، يرسل الله السماء عليهم مدرارًا، ولا تدخر الأرض بشيء من النبات، والمال كدوس، يقوم الرجل يقول: يا مهدي، أعطني، فيقول: خذه) [٤].

وعن جابر، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كذب بالمهدي فقد كفر، ومن كذب بالدجال فقد كفر) [٥]. هذا الحديث قال السفاريني: (سنده مرضي) [٦]، وصدَّر

---

١. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ص٢١٣. وقال ص٢١٤: " النتيجة : إسناده صحيح . رجاله كلهم ثقات ومجاهد لم يصرح هنا باسم الصحابي، ولكنه سمع من جماعة من الصحابة رضي الله عنهم".

٢. المستدرك على الصحيحين: ج٤: ص٦٠١. وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". والمهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ص١٦٣. وقال ص١٦٥: "قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي وقال الألباني: هذا سند صحيح رجاله ثقات. النتيجة: إسناده صحيح".

٣. سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي. ت: عبدالرحمن محمد عثمان. دار الفكر – بيروت. ط٣ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ج٣: ص٣٤٣. وقال: "هذا حديث حسن".

٤. المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني. دار الحرمين – مصر والسودان. ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. ج٥: ص٣١١. قال التويجري: "قال الهيثمي: ورجاله ثقات". الاحتجاج بالأثر: ص١٦.

٥. الإذاعة: ص٢٠٣.

٦. نفسه: ص٢٠٤.

به ابن حجر الهيتمي مقدمة كتابه [(١)]، بما يدل على أنه يرتضيه. ولكن السنيين على العموم يحكمون ببطلانه [(٢)].

هذه الأحاديث، وغيرها الكثير، تركته خشية الإطالة، تدل حتماً على أن المهدي شخصية استثنائية، أو شخصية إلهية، لا يماري في ذلك إلا شخص ركب رأسه، وفضل العناد لأن المنظومة العقدية التي يؤمن بها لا تسمح له بالإعتقاد بإلهية الشخصية المهدوية.

إشارات قرآنية مرتبطة بالمهدي:

وردت إشارات قرآنية متعلقة بالمهدي، سنرصد بعضها في هذا المبحث، لتكون دلالة واضحة وقوية على أن المهدي شخصية إلهية.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[(٣)]. ورد في تفسير هذه الآية: (روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: هذا وعد من الله بأنه تعالى يجعل الإسلام عالياً على جميع الأديان. وتمام هذا إنما يحصل عند خروج عيسى، وقال السدي: ذلك عند خروج المهدي، لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام، أو أدى الخراج) [(٤)].

ويؤيده ما ورد في الحديث عن أم سلمة زوج النبي، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: (يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه بين الركن والمقام ثم ينشأ رجل من قريش أخواله

---

١. ينظر: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر: ص٢١.

٢. ينظر على سبيل المثال: رسالة الجواب المقنع المحرر: ص١٩.

٣. التوبة: ٣٣.

٤. تفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي. دار الفكر – بيروت/ لبنان. ط١ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. ج١٦: ص٤٢؛ وينظر: تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): محمد بن أحمد القرطبي. ت: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي. مؤسسة الرسالة – بيروت/ لبنان. ط١ ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ج١٠: ص١٧٩؛ والكشف والبيان (تفسير الثعلبي): أبو إسحاق الثعلبي. ت: أبو محمد بن عاشور. دار إحياء التراث العربي – بيروت/ لبنان. ط١ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م. ج٥: ص٣٥ – ٣٦.

كلب فيبعث إليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقى الاسلام بجرانه في الأرض فيلبث سبع سنين، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون) [١]. فالإسلام يلقي بجرانه في الأرض كناية على شموله واستقراره في جميع أصقاعها.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[٢].

قال ابن حجر: (قال مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسرين إن هذه الآية نزلت في المهدي وستأتي الأحاديث المصرحة بأنه من أهل البيت النبوي وحينئذ ففي الآية دلالة على البركة في نسل فاطمة رضي الله عنهما وأن الله ليخرج منهما كثيراً طيباً وأن يجعل نسلهما مفاتيح الحكمة ومعادن الرحمة وسر ذلك أنه أعاذها وذريتها من الشيطان الرجيم) [٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٤].

قال الطبري: (حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي قوله: لهم في الدنيا خزي أما خزيهم في الدنيا: فإنهم إذا قام المهدي وفتحت القسطنطينية قتلهم، فذلك الخزي وأما العذاب العظيم: فإنه عذاب جهنم الذي لا يخفف عن أهله، ولا يقضى عليهم فيها فيموتوا) [٥].

---

١. سنن أبي داود/ ج٢: ص٣١٠ – ٣١١. وورد في الهامش: " يلقى الاسلام بجرانه إلى الأرض: أي يعود إلى سابق عزه وسلطانه والجران مقدم العنق وأصله في البعير إذا برك ومد عنقه على وجه الأرض وإنما يفعل ذلك إذا طال مقامه، والمقصود انه لن تكون عندها فتن ولا ملاحم".

٢. الزخرف: ٦١.

٣. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة: أحمد بن حجر الهيتمي المكي. خرج أحاديثه وعلق حواشيه وقدم له: عبد الوهاب عبد اللطيف. مكتبة القاهرة – مصر. ط٢ ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م: ص١٦٢.

٤. البقرة: ١١٤.

٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري. ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م. ج١: ٦٩٩. وعنه الحاوي في الفتاوي: السيوطي. دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ج٢: ص٥٧.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾[١].

روى الطبري في تفسير هذه الآية الحديثين الآتيين: (٢٢٠٨١- حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت قال: هم الجيش الذي يخسف بهم بالبيداء، يبقى منهم رجل يخبر الناس بما لقي أصحابه. ٢٢٠٨٢حدثنا عصام بن رواد بن الجراح، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان بن سعيد، قال: ثني منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله (ص)، وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب. قال: فبينما هم كذلك، إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك، حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين: جيشا إلى المشرق، وجيشا إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة، والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويبقرون بها أكثر من مئة امرأة، ويقتلون بها ثلاث مئة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشأم، فتخرج راية هذا من الكوفة، فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين فيقتلونهم، لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويخلي جيشه التالي بالمدينة، فينهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبريل، فيقول: يا جبرائيل اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، فذلك قوله في سورة سبأ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت ... الآية، ولا ينفلت منهم إلا رجلان: أحدهما بشير، والآخر نذير، وهما من جهينة، فلذلك جاء القول: "وعند جهينة الخبر اليقين") [٢].

ويدلك على أهمية حادثة الخسف أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يراها في منامه، ويتعجب منها قبل أن تقع بقرون، كما ورد عن عائشة، قالت: (عبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه فقلنا يا رسول الله صنعت شيئا في منامك لم تكن تفعله فقال العجب ان ناسا من أمتي يؤمون بالبيت برجل من قريش قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم فقلنا يا رسول الله ان الطريق قد يجمع الناس قال نعم فيهم

---

١. سبأ: ٥١.
٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ ج٢٢: ص١٢٩.

المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم) [١].

يقول المقدم: (إن المهدي سيهيئه الله ويعدّه لتجديد الدين بأن يصلحه في ليلة، ثم يؤيده الله – تعالى – بكرامة خارقة للعادة، وهي أن يخسف بالجيش الذي يقصده حينما يعوذ بالبيت الحرام) [٢].

قال تعالى: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[٣]. أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس، قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن بنا أهل البيت يفتح ويختم، فلابد أن تقع دولة بني هاشم فانظروا فيمن تكونوا من بني هاشم، وفيم نزلت ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾) [٤].

أقول: لا يمكن أن يكون المقصود من دولة بني هاشم غير دولة الإمام المهدي (عليه السلام) لأنها هي الدولة الخاتمة، كما إن الله عز وجل وعد بأن يورث الأرض عباده الصالحين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٥]، وهذا يعني بأن حكم الصالحين سيكون الخاتمة السعيدة لتأريخ الأرض.

كل هذه الإشارات القرآنية تدل، بلا شك، على أن المهدي شخصية إلهية، كما قلنا في مطلع هذا المبحث، وإذا كان البعض حاول التخفيف من أثر المرويات التفسيرية التي ذكرناها بذريعة أنها تعبر عن رأي قائلها [٦]، فإن من الواضح الذي لا يُنكر أن هؤلاء، ومنهم صحابة كابن عباس، ينطلقون، على الأرجح، من منطلقات سمعية، أي إن الأرجح أنهم قد سمعوا هذه التفسيرات عن النبي، أو من سمع النبي (صلى الله عليه وآله).

١. صحيح مسلم/ ج٨: ص١٦٨.
٢. المهدي: ص١٧٤.
٣. الأعراف: ١٢٩.
٤. تفسير القرآن العظيم: ابن أبي حاتم. ت: أسعد محمد الطيب. مكتبة نزار الباز – مكة المكرمة. ط١ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. مج١: ص١٥٤١. قال المؤلف في مقدمته ص١٤: (فتحريت إخراج ذلك بأصح الاخبار إسناداً، وأشبهها متناً) وقال المحقق ص٦: (ومن هؤلاء الإمام عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي الذي جمع في تفسيره أقوال السلف مسندة إليهم مع الدقة والأمانة في الأداء، باتقانه أصح الأسانيد).
٥. الأنبياء: ١٠٥.
٦. ينظر على سبيل المثال: المهدي للمقدم: ص١٣٤.

المهدي من أهل البيت:

المهدي من أهل البيت، كما ورد في كثير من الأحاديث، أنقل بعضها فيما يأتي:

عن علي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت جورا) [١].

وعن عبد الله بن مسعود قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي) [٢].

وعن عبد الله عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي) [٣].

وعن ابن مسعود قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي) [٤].

عن عبد الله عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (يلي أمر هذه الأمة في آخر زمانها رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي) [٥].

وعن علي قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة) [٦].

وعن بشير بن نهيك قال: (سمعت أبا هريرة يقول حدثني خليلي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من أهل بيتي فيضربهم حتى

---

١. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ٢٣٣. وقال البستوي ص٢٣٧ – ٢٣٨: "والحديث قد سكت عنه أبو داود والمنذري وقال الذهبي: سنده صالح وأورده السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالحسن. وقال العظيم آبادي: الحديث سنده حسن قوي. وقال أحمد شاكر. إسناداه صحيحان. وقال الألباني: صحيح. النتيجة: إسناده صحيح".

٢. نفسه: ص٢٣٩. وقال في ص٢٥٢: "قال أحمد شاكر: إسناده صحيح. وقال الألباني في تعليقه على المشكاة: إسناده حسن وقال في صحيح الجامع الصغير: صحيح. النتيجة: إسناده صحيح لغيره".

٣. نفسه: ص٢٥٣. وقال في ص٢٥٥: "قال الترمذي: حسن صحيح. قال الألباني: حسن ... النتيجة: إسناده حسن".

٤. نفسه: ص٢٥٦. وقال في ص٢٥٧: "النتيجة: الحديث حسن".

٥. نفسه: ص٢٥٨. وقال في ص٢٦١: النتيجة: "إسناده حسن".

٦. نفسه: ص١٤٧. وقال في ص١٥٦ – ١٥٧: "رمز له السيوطي بالحسن وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. وقال الألباني: صحيح. النتيجة: إسناده حسن".

يرجعوا إلى الحق قال وقلت وكم يكون قال خمس واثنتين قال قلت ما خمس واثنتين قال لا أدري)[١].

وأخرج الألباني في "صحيح الجامع الصغير وزياداته": (٦٧٣٤- المهدي من عترتي من ولد فاطمة)[٢].

إن كون المهدي من أهل البيت (عليهم السلام) يعني أنه مشمول بجميع ما ورد في حقهم، ومنه ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣].

الرجس يشمل الأمور المادية، والمعنوية معاً، وعليه يعني تطهير الله عز وجل لأهل البيت[*] (عليهم السلام)، من بين ما يعني، أن يبعد عنهم كل شك في الدين، ويجعلهم في القمة من الطهارة المعنوية.

قال ابن منظور: (الرِّجْسُ: القَذَرُ، وقيل: الشيء القَذِرُ ... وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح والعذاب واللعنة والكفر ... قال أَبو جعفر: "إِنما يريد اللَّه ليذهب عنكم الرِّجْسَ أَهلَ البيت ويُطَهِّرَكم"، قال: الرجس الشك)[٤].

وبهذه المعاني، الدائرة حول الطهارة المعنوية، ورفع كل شك في الدين، فسر الرازي الآية في مواضع مختلفة من كتابه، فقد قال في معناها: (أي يزيل عنكم الذنوب ويطهركم أي يلبسكم خلع الكرامة)[٥]. وقال: (إن الله تعالى طهر نفوس الأنبياء (عليهم السلام) عن الأخلاق الذميمة. بل نقول: إنه تعالى طهر نفوس المتصلين به عنها كما قال: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً")[٦]. وقال: ("إنما يريد الله ليذهب

---

١. مسند أبي يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثنى التميمي. ت: حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث – دمشق. ط١ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ج١٢: ص١٩.

٢. صحيح الجامع الصغير وزياداته: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي - بيروت. ط٣ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ج٢: ص١١٤٠. وقال "صحيح".

٣. الأحزاب: ٣٣.

(*) لا يهمنا الآن الدخول في معمعة من تشمل الآية، ومن لا تشمل، فمن الواضح أن الأحاديث الصحيحة قد نصت على أن المهدي من أهل البيت، وكفتنا المؤونة.

٤. لسان العرب: ابن منظور. نشر أدب الحوزة – قم/ إيران. ١٤٠٥هـ ج٦: ص٩٤ – ٩٥.

٥. تفسير الرازي/ ج٢٥: ص٢٠٩.

٦. نفسه/ ج١٨: ص١١٩.

عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً" الأحزاب: ٣٣ والمراد من الرجس ههنا العمل القبيح، سواء كان كفراً أو معصية، وبالتطهير نقل العبد من رجس الكفر والمعصية إلى طهارة الإيمان والطاعة) [١].

عليه يكون المهدي في غاية البعد عن كل شك في الدين، وفي القمة من الطهارة المعنوية.

ومما ورد في حق أهل البيت ما أثبتته الأحاديث، وعلى رأسها حديث الثقلين، أو الخليفتين الآتي:

(٢٤٥٧- إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض) [٢].

(٢٤٥٨-١١٣٤- إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما) [٣].

(٢٧٤٨-١٢٧٢- أيها الناس قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله و عترتي أهل بيتي) [٤].

(٧٨٧٧- ٢٩٧٢- يا أيها الناس! إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي: أهل بيتي) [٥].

بموجب هذه الأحاديث يكون المهدي ملازماً للقرآن الكريم، لا يخالفه بشيء من أحكامه، أو أخلاقه، أو معارفه، فأي اختلاف مع القرآن، في أي جهة من الجهات، يعني حصول الافتراق في تلك الجهة، وهذا خلاف الإطلاق الوارد في الأحاديث. ولعله واضح أن

---

١. نفسه/ ج١٧: ص١٦٨.

٢. صحيح الجامع الصغير وزياداته/ مج١: ص٤٨٢. وقال عنه: "صحيح".

٣. نفسه/ مج١: ص٤٨٢. وقال عنه: "صحيح".

٤. نفسه/ مج١: ص٥٣٣. وقال عنه: "صحيح".

٥. نفسه: مج٢: ص١٣٠٣ وقال عنه: "صحيح".

عدم افتراق المهدي، وأهل البيت عموماً، مع القرآن ينسجم كل الانسجام مع طهارتهم المادية والمعنوية المنصوص عليها في آية التطهير الآنفة.

تدل الأحاديث، كذلك، على اعتبار التمسك بالمهدي عصمة من الضلال، وهذا، كما لا يخفى، يتفق مع كونه لا يفترق عن القرآن.

إن مقتضى عدم افتراق العترة عن القرآن الكريم حتى يردا الحوض، هو بقاء العترة جنباً إلى جنب مع القرآن إلى يوم القيامة، وعدم خلوّ زمان من الأزمنة منهما. يقول ابن حجر: (وفي أحاديث الحث على التمسّك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهّل منهم، للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض)[١].

ومن الأحاديث، قوله (صلى الله عليه وآله): (مثلُ أهل بيتي مثلُ سفينةِ نوحٍ، من ركبها نجَا، و من تخلفَ عنها غرقَ) [٢]. ومثله قول علي: ((إنما مثلنا في هذه الأمة كسفينة نوح وكتاب حطة في بني إسرائيل)) [٣].

قال ابن حجر: (جاء من طرق كثيرة يقوي بعضها بعضاً "مثل أهل بيتي"، وفي رواية "إنما مثل أهل بيتي"، وفي أخرى "إن مثل أهل بيتي"، وفي رواية "إلا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق"، وفي رواية "من ركبها سلم، ومن تركها غرق، وإن مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له) [٤].

روى السيوطي: (٩٣١٣ - النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي) [٥].

---

١. الصواعق المحرقة: ص٢١٠.

٢. المستدرك: الحاكم النيسابوري. إشراف: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي. دار المعرفة – بيروت/ لبنان. ج٢: ص٣٤٣. وقال عنه: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه". وكذلك: ج٣ ص١٥١.

٣. المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي/ ج٧: ص٥٠٣.

٤. الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهيتمي المكي. مكتبة الحقيقة – استانبول/ تركيا. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م: ص٣٢٩.

٥. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: جلال الدين السيوطي. دار الفكر – بيروت. ط١ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. ج٢: ص٦٨٠.

وفي مستدرك الحاكم: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لامتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس) [١].

قال المناوي: (وقال السمهودي: يحتمل أن المراد بأهل بيته هنا علماؤهم الذين يقتدى بهم كما يقتدى بالنجوم التي إذا خلت السماء منها جاء أهل الأرض من الآيات ما يوعدون وذلك عند موت المهدي لأن نزول عيسى لقتل الدجال في زمنه كما جاءت به الأخبار، ويحتمل أن المراد مطلق أهل بيته وهو الأظهر لأنه سبحانه وتعالى لما خلق الدنيا لأجل المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) جعل دوامها بدولته ثم بدوام أهل بيته (عليهم السلام) عن سلمة بن الأكوع) رمز لحسنه ورواه عنه أيضا الطبراني ومسدد وابن أبي شيبة بأسانيد ضعيفة لكن تعدد طرقه ربما يصيره حسنا) [٢].

هذه الأحاديث تؤكد مضمون حديث الثقلين، كما لا يخفى، وتؤكد بالنتيجة أن المهدي شخصية دينية مباركة [٣]، تعصم المتمسك بها من الضلال.

المهدي خليفة الله:

مرَّ علينا في المبحث السابق حديث الخليفتين اللذين تركهما رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهذه واحدة من صوره:

(٢٤٥٧- إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض) [٤].

---

١. المستدرك/ ج٣: ص١٤٩. وقال: " هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه".

٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد عبدالرؤوف المناوي. ضبطه وصححه: أحمد عبدالسلام. دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان. ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م. ج٦: ص٣٨٦.

٣. ورد في صحيح البخاري/ ج٦: ص٢٧؛ وصحيح مسلم/ ج٢: ص١٦: (عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة؟ قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم انك حميد مجيد).

٤. صحيح الجامع الصغير وزياداته مج١: ص٤٨٢. وقال عنه: "صحيح".

وقد علمنا مما تقدم أن المهدي منصوص على أنه من عترة النبي، ومن أهل بيته، أي إنه، بالنتيجة، من الخليفتين اللذين تركهما النبي (صلى الله عليه وآله)، وبالتحديد من مصاديق الخليفة الثاني المتمثل بالعترة الطاهرة.

في هذا المبحث سنستعرض أحاديث صرحت بكون المهدي خليفة، وسنبدأ بما ورد عن عبد الله عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: (إذا أقبلت الرايات السود من خراسان فائتوها فإن فيها خليفةالله المهدي) [1].

والحديث الثاني مروي عن ثوبان، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: (يقتتلُ عندَ كنزِكم ثلاثةٌ كلُّهمْ ابنُ خليفةٍ ثمَّ لا يصِيرُ إلى واحدٍ منهم ثمَّ تقبِلُ الرَّاياتُ السُّودُ من قِبَلِ المشرقِ فيقتلونَكم قَتْلًا لم يقتُلْهُ قومٌ ثمَّ ذَكرَ شيئًا لا أحفظه. فقال: فإذا رأيتُموهُ فتابِعوهُ ولو حَبوًا على الثَّلجِ فإنَّهُ خليفةُ اللَّهِ المَهديُّ) [2].

---

١. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ص١٥٨. وقال عنه ص١٦٢: " الإسناد صالح للاستشهاد ولا سيما وأن متنه قد ورد من طريق آخر عن ثوبان رضي الله عنه بسند حسن . وبذلك يصبح الحديث حسنا لغيره". وكنز العمال/ ج١٤: ص٢٦١. والمستدرك/ ج٤: ص٥٤٧. وقال: "هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وقال في الهامش: "هذا الحديث ساقط من التلخيص".

٢. سنن ابن ماجة/ ج٢: ص١٣٦٧. وقال: (في الزوائد: هذا إسناد صحيح. رجاله ثقات. ورواه الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين). والمهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ١٨٤. وقال عنه في ص١٩٢: (قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي أيضا. وقال ابن كثير: تفرد به ابن ماجة. وهذا إسناد قوي صحيح. وقال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات. النتيجة: إسناده صحيح). وقال – أي البستوي – عن تضعيف الألباني في ص١٩١ – ١٩٢: (وقد ضعفه الألباني أيضا لأجل عنعنة أبي قلابة ... وأما عنعنة أبي قلابة وسفيان الثوري وهما من المدلسين، فلا تضر في صحة الإسناد أيضا لأن المدلسين ليس كلهم على حد سواء عند المحققين. وقد رتبهم الحافظ ابن حجر في كتابه طبقات المدلسين على خمس مراتب. الأولى: من لم يوصف بذلك إلا نادرا. والثانية: من احتمل الأئمة تدليسه وأخرجوا له في الصحيح لإمامته وقلة تدليسه في جنب ما روى كالثوري أو كان لا يدلس إلا عن ثقة كابن عيينة. وذكر أبا قلابة في المرتبة الأولى وسفيان الثوري في المرتبة الثانية وذكر عن البخاري أنه قال في سفيان: ما أقل تدليسه. وبناء على هذا فعنعنتهما لا تضر)؛ والمستدرك/ ج٤: ص٥١٠. وقال عنه: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين). وورد في الهامش: (قال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم). والسنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها: ١٠٣٢ – ١٠٣٣. وقال في الهامش ص١٠٣٣ – ١٠٣٤: (أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب خروج المهدي (٢/ ١٣٦٧ رقم ٤٠٨٤) بسنده عن عبدالرزاق، والحاكم في مستدركه (٤/ ٣٦٣ – ٤٦٤) بسنده عن الحسين بن حفص، كلاهما عن سفيان الثوري عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان، نحوه. وورد عندهما: (ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم، ثم ذكر شيئاً لا أحفظه، فقال: إذا رأيتموه فبايعوه، ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي). ويلاحظ أيضاً أنهما زادا في إسناد الحديث أبا أسماء الرحبي بين أبي قلابة وثوبان. وأخرجه أيضاً نعيم بن حماد في الفتن (ق٨٤/١ رقم ٩١٨)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٥٠٣) عن عبدالوهاب بن عطاء، عن خالد الحذاء، والإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٧٧)، ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٣٧٧) عن علي بن زيد، كلاهما عن أبي قلابة به –

وعن أبي نضرة، عن أبي سعيد، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من خلفائكم خليفة يحثو المال حثياً لا يعده عدداً، وفي رواية ابن حجر يحثي المال) [١]. هذا الحديث فسره المناوي في فيض القدير بأن المقصود فيه المهدي، قال: (٨٢٤٦ "من خلفائكم خليفة يحثو المال حثيا لا يعده عداً". قالوا: هو المهدي) [٢]. وبهذا المضمون فسره المقدسي، كما يظهر من إيراده له في كتابه [٣]، وبه كذلك احتمله محمد إسماعيل المقدم [٤].

فسر بعض السنيين هذه الأحاديث على أن المقصود منها هو أن المهدي أحد الخلفاء الاثني عشر الذين ذكرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، في الحديث المروي عن حصين، عن جابر بن سمرة، قال: (دخلت مع أبي على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول إن هذا الامر لا ينقضي حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة قال ثم تكلم بكلام خفى على قال فقلت لأبي ما قال قال كلهم من قريش) [٥].

مختصراً جداً – ولم يذكروا أبا أسماء الرحبي بين أبي قلابة وثوبان. وقد أشار الألباني إلى رواية علي بن زيد، وعدها من أوهامه، ويلاحظ أن علي بن زيد لم ينفرد بعدم ذكره لأبي أسماء الرحبي، وقد اشترك معه خالد الحذاء عند المؤلف ونعيم بن حماد. وقال الحاكم في كلتا الروايتين: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في الأولى. وقال البوصيري: (هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات)، ثم أشار إلى تصحيح الحاكم. مصباح الزجاجة (٢/ ٣١٤ رقم ١٤٤٢). وقال ابن كثير: (تفرد به ابن ماجه، وهذا إسناد قوي صحيح). النهاية (١/ ٥٥). وأورده الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٨) من رواية الإمام أحمد وقال: (أراه منكراً، وقد رواه الثوري، وعبدالعزيز بن المختار، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، فقال: عن أبي أسماء، عن ثوبان). وحكم عليه الألباني من كلتا الروايتين بأنه منكر، وقال: (وقد ذهل من صححه عن علته، وهي عنعنة أبي قلابة، فإنه من المدلسين.. لكن الحديث صحيح المعنى دون قوله: فإن فيها خليفة الله المهدي) ثم استشهد له بحديث ابن مسعود المتقدم برقم ٥٤٥، وليس فيه (خليفة الله)، وأما هذه الزيادة فقال فيها: (ليس لها طريق ثابت، ولا ما يصلح أن يكون شاهداً لها، فهي منكرة.. ومن نكارتها أنه لا يجوز في الشرع أن يقال: (فلان خليفة الله) لما فيه من إيهام ما لا يليق بالله تعالى من النقص والعجز) واستشهد بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٥/ ٤٤ – ٤٥) حيث ذكر – رحمه الله – أن من جعل لله خليفة فهو مشرك به). وقد صحح الحديث أحمد بن محمد الصديق في كتابه "إبراز الوهم المكنون:"، وفند قول من ضعفه بكلام طويل. ينظر: ٥٤٥ وما بعدها.

١. صحيح مسلم/ ج٨: ص١٨٥؛ ومسند أحمد/ ج٣: ص٣١٧. مع اختلاف في السياق.

٢. فيض القدير/ ج٦: ص١٨.

٣. ينظر: عقد الدرر: ص٢٣٧.

٤. المهدي: ص٤٩. قد سبق أن نقلنا عنه كلاماً أشار فيه إلى مضمون هذا الحديث، ويبدو من لحنه أنه يعدُّ المهدي خليفة كخلفاء بني أمية، أو بني العباس، على سبيل المثال، بينما مراد النبي (صلى الله عليه وآله) أنه من الاثني عشر خليفة، وهم الخلفاء الراشدون المهديون.

٥. صحيح مسلم/ ج٦: ص٣.

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: (كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع ان اخبرني بشئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فكتب إلى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جمعة عشية رجم الأسلمي يقول لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش) [١].

وقد رواه أبو داود في أول كتاب "المهدي" من سننه، بالصورة الآتية: (جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يزال هذا الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة. فسمعت كلاماً من النبي صلى الله عليه وسلم لم أفهمه، قلت لأبي: ما يقول؟ قال: كلهم من قريش) [٢].

ولعل إيراد الحديث في "كتاب المهدي" إشارة واضحة إلى اعتقاد أبي داود أن المهدي من هؤلاء الخلفاء الاثني عشر. قال السيوطي مشيراً إلى صنيع أبي داود: (عقد أبو داود في "سننه" باباً في المهدي – وبعد إيراده الحديث، قال السيوطي-: فأشار بذلك إلى ما قاله العلماء أن المهدي أحد الاثني عشر، فإنه لم يقع إلى الآن وجود اثني عشر اجتمعت الأمة على كل منهم) [٣]. وهذا ما يراه، كذلك، التويجري في صنيع أبي داود [٤].

وفي "تاريخ الخلفاء"، قال السيوطي: (وجد من الاثني عشر خليفة الخلفاء الأربعة ... وبقي الاثنان المنتظران أحدهما المهدي؛ لأنه من آل بيت محمد) [٥].

وقد اشتهر القول عن ابن كثير بأن المهدي أحد الخلفاء الاثني عشر المشار إليهم في الحديث، قال: (فإن قيل: فما وجه الجمع بين حديث سفينة هذا وبين حديث جابر بن سمرة المتقدم في صحيح مسلم: لا يزال هذا الدين قائما ما كان في الناس إثنا عشر خليفة كلهم من قريش ؟ فالجواب: إن من الناس من قال: إن الدين لم يزل قائما حتى ولي إثنا

---

١. نفسه: ص٤.

٢. سنن أبي داود/ ج٢: ص٣٠٩.

٣. عقد الدرر: ص١٥١.

٤. ينظر: الاحتجاج بالأثر: ص٢٢٧ – ٢٢٨. والظاهر أن التويجري نفسه يذهب إلى القول بأن المهدي هو ثاني عشر الأئمة، فقد وصف قول ابن كثير بأن المهدي من الخلفاء الاثني عشر، بقوله ص٢٢٧: (ومن أحسنها كلام الحافظ ابن كثير)، ثم ساق كلام ابن كثير. بل إنه قال ص٢٣٠ – ٢٣١: (قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في المهدي أنه يعمل بالسنة ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ومن كان بهذه الصفة فلا شك أنه من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين). وفي ص١٤٩ قال: (ومنهم – أي الخلفاء المهديين – المهدي الذي يخرج في آخر الزمان).

٥. تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي. ت: أحمد إبراهيم. دار الكتاب العربي – بيروت. ط٢. ١٤١٥هـ: ص١٦.

عشر خليفة، ثم وقع تخبيط بعدهم في زمان بني أمية، وقال آخرون: بل هذا الحديث فيه بشارة بوجود اثني عشر خليفة عادلا من قريش، وإن لم يوجدوا على الولاء، وإنما اتفق وقوع الخلافة المتتابعة بعد النبوة في ثلاثين سنة، ثم كانت بعد ذلك خلفاء راشدون، فيهم عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي رضي الله عنه، وقد نص على خلافته وعدله وكونه من الخلفاء الراشدين، غير واحد من الأئمة، حتى قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: ليس قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز، ومنهم من ذكر من هؤلاء المهدي بأمر الله العباسي، والمهدي المبشر بوجوده في آخر الزمان منهم أيضا بالنص على كونه من أهل البيت) [(١)].

ووصف العثيمين المهدي بأنه (خليفة يبعثه الله عز وجل في آخر الزمان) [(٢)]. وقال همام الجرف: (المهدي المنتظر محمد (بن عبدالله) من آل البيت ليس بنبي ولا يدعي النبوة، تواترت فيه الأحاديث، وأخبرت عنه بأنه خليفة راشد، ولا يختلف أهل السنة أنه بشر من البشر ليس بنبي [(*)] ولا معصوم، يملأ الأرض قسطاً، وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، مهمته الإصلاح والحكم بالعدل، والقسط والقضاء على الظلم والجور، وهدم القوانين الوضعية، والتشريعات الجاهلية، ويكافح أهل الخرافات والدجالين والكذابين، واستحوذ عليهم الشيطان فصدهم عن سواء السبيل) [(٣)].

والحق، إن الأمر أوضح من أن تساق له أمثلة توكيدية من كلمات العلماء السنيين، إذ طالما صحّ عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله بوجود اثني عشر خليفة بعده، ونصّ على

---

١. البداية والنهاية: إسماعيل بن كثير الدمشقي. ت: علي شيري. دار إحياء التراث العربي. ج٦: ص٢٢١. وقال في تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي. دار المعرفة - بيروت/ لبنان. ١٩٩١ م - ١٤١٢ هـ ج٢: ٢٤: (معنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحا يقيم الحق ويعدل فيهم ولا يلزم من هذا توالهم وتتابع أيامهم بل قد وجد منهم أربعة على نسق وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة وبعض بني العباس ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره).

٢. شرح العقيدة السفارينية: محمد بن صالح العثيمين. دار الوطن للنشر – الرياض. ط١ ١٤٢٦هـ: ص٤٥٢.

(*) لا أجد ما أفسر به إصرار هذا الرجل على نفي أن يكون المهدي نبياً سوى أن المضامين العالية التي وردت في حق المهدي لم يرد مثيل لها إلا بحق المتصلين بالسماء، وحيث إن المنظومة العقدية السنية ليس فيها متسع لمثل هؤلاء الرجال بعد النبي، يبادر الرجل للنفي وتكراره خشية من اندفاع أحدهم لفهم ما لا تتسع له المنظومة العقدية السنية.

٣. المنتقى المختار مما صح في المهدي من أخبار: همام محمد الجرف: ١٣. متاح على: http://www.saaid.net/book/٩/٢٧٥٧.rar

أن المهدي خليفة، فلابد أن يكون منهم، وإلا يكون النبي – وحاشاه – قد أوقعنا في اللبس.

إن اعتبار المهدي أحد الاثني عشر خليفة تترتب عليه جملة نتائج مهمة، منها أن له حقّ الطاعة على الأمة، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(١). ومنها أنه مشمول بما ورد في حديث الخلفاء الراشدين المهديين، إذ لا يشك متأمل في أن المقصود من هؤلاء الخلفاء الراشدين هم أنفسهم المقصودون في حديث الاثني عشر خليفة.

قال (صلى الله عليه وآله): (عليكم بسنَّتي وسنَّةِ الخلفاءِ الرَّاشدينَ المهديّينَ عَضُّوا عليها بالنَّواجذِ وإيَّاكم والأمورِ المحدثات فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالَةٌ) (٢).

وقال (صلى الله عليه وآله): (من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ) (٣).

إن مقتضى العطف بالواو أن تكون سنة الخلفاء الراشدين المهديين غير سنة النبي (صلى الله عليه وآله)، دون أن يعني ذلك أنها تعارضها، أو تختلف معها، وإنما هي إستكمال، وامتداد لها. وبذلك تكون سنة المهدي جزءاً من الدين، كما هو حال سنة النبي (صلى الله عليه وآله)، وسنة غيره من الخلفاء الراشدين المهديين. وحيث إن سنته – أي المهدي – شرعٌ، فلابد أن يكون مُحدَّثاً، أو مسدداً من الله عز وجل.

قال السفاريني: (منها الإمام الخاتم الفصيح محمد المهدي والمسيح، "منها"، أي من أشراط الساعة، التي وردت بها الأخبار، وتواترت في مضمونها الآثار، أي من العلامات

---

١. النساء: ٥٩.

٢. صحيح سنن ابن ماجه: محمد ناصر الألباني. مكتبة المعارف – الرياض. ط١ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. مج١: ص٣١- ٣٢. وقال عنه: "صحيح".

٣. نفسه: ص٣٢. وقال عنه: "صحيح".

العظمى، وهي أولها، أن يظهر "الإمام" المقتدى بأقواله وأفعاله، "الخاتم" للأئمة فلا إمام بعده) [١].

قوله: "المقتدى بأقواله وأفعاله". ظاهر في أن أقواله وأفعاله سنة تُقتدى.

هذه الحقيقة تربك المنظومة العقدية السنية التي أخفقت، من جهة، في تحديد الخلفاء الاثني عشر، أو الخلفاء الراشدين المهديين على نحو القطع واليقين، والتي لا تعترف، من جهة أخرى، بوجود مُحدَّثين [*]، بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، وتكاد تغلق هذا الباب تماماً، لولا بعض الاستثناءات اليسيرة. الأمر الذي أضاع عليهم جزءاً مهماً من الشرع متمثلاً بسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فما كان من القائمين على هذه المنظومة إلا أن لجأوا إلى طريقة الترقيع، وسدّ الثغرات بتأويلات باردة، متعسفة.

نقل المباركفوري في تحفته بعض هذه التأويلات: (قال القاري في المرقاة فعليكم بسنتي أي بطريقتي الثابتة عني واجباً أو مندوباً وسنة الخلفاء الراشدين فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي فالإضافة إليهم إما لعملهم بها أو لاستنباطهم واختيارهم إياها، انتهى كلام القاري. وقال صاحب سبل السلام [*] أما حديث عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ... فإنه ليس المراد بسنة الخلفاء الراشدين إلا طريقتهم الموافقة لطريقته صلى الله عليه وسلم من جهاد الأعداء وتقوية شعائر الدين ونحوها فإن الحديث عام لكل خليفة راشد لا يخص الشيخين ومعلوم من قواعد الشريعة أنه ليس لخليفة راشد أن يشرع طريقة غير ما كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم ثم هذا عمر رضي الله عنه نفسه الخليفة الراشد سمى ما رآه من تجميع صلاته ليالي رمضان بدعة ولم يقل إنها سنة فتأمل على أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم خالفوا الشيخين في مواضع ومسائل فدل أنهم لم يحملوا الحديث على أن ما قالوه وفعلوه حجة وقد حقق

---

١. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي. مؤسسة الخافقين – دمشق. ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م. ج٢: ص٧٠.

(*) ورد في صحيح البخاري/ ج٤: ص١٤٩: (عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وانه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب).

(*) هو محمد بن إسماعيل الصنعاني.

البرماوي الكلام في شرح ألفيته في أصول الفقه مع أنه قال إنما الحديث الأول يدل على أنه إذا اتفق الخلفاء الأربعة على قول كان حجة لا إذا انفرد واحد منهم) [١].

كلام البرماوي صريح في أنهم يفسرون الحديث بالخلفاء الأربعة (أبو بكر، عمر، عثمان، علي)، ومعلوم أنهم يصطلحون على هؤلاء الأربعة بالخلفاء الراشدين، وهذا كله لا دليل عليه البتة، ويخالف حديث النبي (صلى الله عليه وآله) الذي نص على الخلفاء من بعده، وهم الاثنا عشر بالتأكيد. والوقوف عند الخلفاء الأربعة قاله الشوكاني كذلك، على ما نقل عنه المباركفوري: (قال الشوكاني في الفتح الرباني إن أهل العلم قد أطالوا الكلام في هذا وأخذوا في تأويله بوجوه أكثرها متعسفة والذي ينبغي التعويل عليه والمصير إليه هو العمل بما يدل عليه هذا التركيب بحسب ما تقتضيه لغة العرب فالسنة هي الطريقة فكأنه قال الزموا طريقتي وطريقة الخلفاء الراشدين وقد كانت طريقتهم هي نفس طريقته فإنهم أشد الناس حرصاً عليها وعملاً بها ... فإن قلت إذا كان ما عملوا فيه بالرأي هو من سنته لم يبق لقوله وسنة الخلفاء الراشدين ثمرة قلت ثمرته أن من الناس من لم يدرك زمنه صلى الله عليه وسلم وأدرك زمن الخلفاء الراشدين أو أدرك زمنه وزمن الخلفاء ولكنه حدث أمر لم يحدث في زمنه ففعله الخلفاء فأشار بهذا الارشاد إلى سنة الخلفاء إلى دفع ما عساه يتردد في بعض النفوس من الشك ويختلج فيها من الظنون فأقل فوائد الحديث أن ما يصدر عنهم من الرأي وإن كان من سننه كما تقدم ولكنه أولى من رأي غيرهم عند عدم الدليل) [٢].

قوله: "وقد كانت طريقتهم هي نفس طريقته، فإنهم أشد الناس حرصاً عليها وعملاً بها"، خرج مخرج القضية الخارجية، أي إنه يشير فيه إلى مصاديق موجودين في الخارج، ومعروفين، وهؤلاء هم الخلفاء الأربعة.

سبق أن ألمحنا إلى أنهم مضطرون لمخالفة الدليل، لعدم معرفتهم، أو على الأقل لعدم اتفاقهم على تشخيص الخلفاء الاثني عشر. هذا الضيق في المنظومة العقدية حملهم على معاندة الواضحات، فزَعْمُ القاري، ومثله زعم صاحب سبل السلام، أن سنة الخلفاء الراشدين هي سنة النبي (صلى الله عليه وآله) نفسها، غاية في التعسف. فقد كان عليهما

١. تحفة الأحوذي/ ج٣: ص٤٠- ٤١.

٢. نفسه/ ج٧: ص٣٦٧.

أن يتساءلا: إذا كانت سنتهم هي سنة النبي نفسها، فلماذا عبر النبي (صلى الله عليه وآله) عن هذا الأمر الخطير جداً المتعلق بجزء من الدين بصورة، لا أقول قد يتوهم البعض أن المقصود منها وجود سنة لهم غير سنته (صلى الله عليه وآله)، بل أقول إن هذا هو المدلول الأقرب الذي يمكن أن يفهم، فهل أراد النبي – وحاشاه – أن يوقعنا في اللبس والاختلاف؟

وقد التفت الشوكاني إلى أن القول بأن سنتهم هي سنة النبي نفسها، لا يُبقي لكلامه (صلى الله عليه وآله) ثمرة، لأنه يُقال: إذا كان الأمر كذلك، فلماذا أضاف سنةً لهم، وقال: "سنة خلفائي" ؟ لكن الشوكاني، المقيد بالمنظومة العقدية السنية، لفق ثمرة لا طعم لها، زاعماً أن مراد النبي "دفع ما عساه يتردد في بعض النفوس من الشك"! وليت شعري لماذا لم يلتفت الشوكاني إلى أن التعبير بـ(سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي) أولى بأن يقال فيه: إنه يدفع للشك بأن هناك سنة للخلفاء غير سنة النبي ؟

إن وجود سنة للخلفاء الراشدين، هي جزء من الدين، يستلزم أن يكونوا مسددين، ومحدثين كما سبق القول، ويعني أن هؤلاء الخلفاء حجج لله على العباد. الأمر الذي لا تتسع له المنظومة العقدية السنية، التي لا تعترف لأحد بمنصب إلهي بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، على الرغم من تلميح، أو حتى تصريح بعض الأعلام السنيين إلى أن وجود مثل هذا المنصب مما تقتضيه النصوص.

قال ابن حجر: (في صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال إن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة) [(١)].

قول ابن حجر تصريح واضح في أن هناك أقوال صحيحة بضرورة وجود قائم لله بحجة في كل زمان، وهذا معنى عدم خلو الأرض منه. وبعد النبي (صلى الله عليه وآله) ينحصر القائم لله بحجة بالمتأهل من أهل البيت (عليهم السلام)، كما قال ابن حجر نفسه في تعليق له على حديث الثقلين: (قيل: سميا ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما، ثم الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض ويؤيده الخبر السابق ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم وتميزوا بذلك عن بقية العلماء لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وشرفهم

١. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني. دار المعرفة – بيروت/ لبنان. ط٢ ج٦: ص٣٥٨ – ٣٥٩.

بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة وقد مر بعضها وسيأتي الخبر الذي في قريش وتعلموا منهم فإنهم أعلم منكم فإذا ثبت هذا العموم لقريش فأهل البيت أولى منهم بذلك لأنهم امتازوا بخصوصيات لا يشاركهم فيها بقية قريش. وفي أحاديث الحث على التمسّك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم، للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض) [(١)].

قال البربهاري في شرح السنة: (الإيمان بالمسيح الدجال، وبنزول عيسى بن مريم، ينزل فيقتل الدجال، ويتزوج ويصلي خلف القائم من آل محمد ويموت ويدفنه المسلمون) [(٢)].

سمى المهدي بالقائم من آل محمد إشارةً منه إلى أنه القائم لله بالحجة حتى مع وجود عيسى الذي يصلي خلفه. علق التويجري في كتابه "إقامة البرهان" على كلام البربهاري، بقوله: (القائم من آل محمد هو المهدي كما جاء في حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله قال: ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي تعال صلِّ بنا فيقول: لا إن بعضهم أمير بعض تكرمة الله لهذه الأمة) [(٣)].

إن ضرورة وجود قائم لله بحجة في كل زمان يدل عليها حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية) [(٤)]، وكذلك قوله (صلى الله عليه وآله): (من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) [(٥)].

من يمُت وليس عليه إمام، أو ليست في عنقه طاعة يمُت ميتة جاهلية، وإن شهد لله بالوحدانية، ولرسوله بالنبوة، وكان من المصلين الصائمين، كما هو مقتضى إطلاق الحديث، وهذا يعني حتماً أن الإمام يقوم لله بحجة، أي إنه حجة الله الذي يجب إطاعته

---

١. الصواعق المحرقة: ص٢١٠.

٢. شرح السنة: الحسن بن علي البربهاري. ت: عبدالرحمن بن أحمد الجميزي. مكتبة دار المنهاج – الرياض. ط١ ١٤٢٦هـ: ص٥٠ وما بعدها.

٣. إقامة البرهان: ص١٧.

٤. المسند: أحمد بن حنبل. شرحه وصنع فهارسه: حمزة أحمد الزين. دار الحديث – القاهرة. ط١ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ج١٣: ص١٨٨. وقال عنه: "إسناده صحيح". والجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين: مقبل بن هادي الوادعي. مكتبة ابن تيمية – القاهرة. ط١ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ج٤: ص٤٥١. وقال عنه: "هذا حديث حسن".

٥. صحيح مسلم/ ج٦: ص٢٢.

والخضوع لأوامره ونواهيه، وبيعته بيعة لله ولرسوله، طالما كان عدمها يعني الموت ميتة جاهلية.

وجود حجة لله في كل زمان، تكون بيعته بيعة لله ولرسوله، هو المقصود من وصف المهدي بـ "خليفة الله"، في الأحاديث التي تقدم إيرادها. ولكن حيث إن المنظومة العقدية السنية لا تعترف بحجة لله بعد رسوله (صلى الله عليه وآله) وجدنا العلماء السنيين – والسلفيين خاصة – يرفضون تعبير "خليفة الله"، أو يحاولون تأويله، وصرفه عن ظاهره.

قال الماوردي: (اختلفوا هل يجوز أن يقال يا خليفة الله؟ فجوّزه بعضهم لقيامه بحقوقه في خلقه ولقوله تعالى: "وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات". وامتنع جمهور العلماء من جواز ذلك ونسبوا قائله إلى الفجور وقالوا يستخلف من يغيب أو يموت والله لا يغيب ولا يموت) [(١)].

وقال أبو يعلى: (وهل يجوز أن يقال: خليفة الله تعالى ؟ فقد قيل يجوز، لقيامه بحقوقه في خلقه، ولقوله تعالى: "هو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات" وقيل لا يجوز لأنه إنما يستخلف من يغيب أو يموت، والله تعالى لا يغيب ولا يموت. وقيل لأبي بكر: يا خليفة الله. فقال لست خليفة الله ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم) [(٢)].

وقال ابن تيمية، شارحاً لفظ "خليفة" أو مشتقاته الوارد في بعض الآيات: (أي خليفة عمن قبلك من الخلق، ليس المراد أنه خليفة عن الله، وأنه من الله كإنسان العين من العين، كما يقول ذلك بعض الملحدين القائلين بالحلول والاتحاد، كصاحب "الفتوحات المكية" ... والمقصود هنا أن الله لا يخلفه غيره، فإن الخلافة إنما تكون عن غائب، وهو سبحانه شهيد مدبر لخلقه لا يحتاج في تدبيرهم الى غيره، وهو سبحانه خالق الأسباب

---

١. الأحكام السلطانية: علي بن محمد بن حبيب الماوردي. صححه: مقس أنغر. طبعة بُن ١٨٥٣م/ ١٣١٩هـ: ص٢٢- ٢٣.

٢. الأحكام السلطانية: أبو يعلى الفراء الحنبلي. صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي. دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان. ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م: ص٢٧.

والمسببات جميعا، وهو سبحانه يخلف عبده المؤمن إذا غاب عن أهله ويروى انه قيل لأبي بكر يا خليفة الله، فقال: بل أنا خليفة رسول الله [*]) [١].

وقال كذلك: (وَالْخَلِيفَةُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ عَدَمِ الْمُسْتَخْلَفِ بِمَوْتٍ أَوْ غَيْبَةٍ، وَيَكُونُ لِحَاجَةِ الْمُسْتَخْلِفِ، إِلَى الِاسْتِخْلَافِ، وَسُمِّيَ "خَلِيفَةً" لِأَنَّهُ خَلَفَ عَنْ الْغَزْوِ، وَهُوَ قَائِمٌ خَلْفَهُ وَكُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي مُنْتَفِيَةٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى) [٢].

وقال الألباني: (لا يجوز في الشرع أن يقال: فلان خليفة الله، لما فيه من إيهام ما لا يليق بالله تعالى من النقص والعجز) [٣].

وبرأي البستوي: (الإضافة في قوله "خليفة الله" إضافة تشريف مثل "بيت الله" و"ناقة الله" و"أهل الله" وليست بمعنى النائب عن الله لأن الله سبحانه وتعالى ليس له نائب) [٤].

يرى إسماعيل بدوي أن العلماء السنيين قد انقسموا بإزاء المسألة إلى ثلاثة آراء، كما يأتي: (الرأي الأول: الخلافة تكون عن الخليفة السابق؛ فالخليفة اللاحق خلف الخليفة السابق ... الرأي الثاني: الخلافة تكون عن الله؛ لان الخليفة يقوم بحق الله تعالى في عباده. ويستدل اصحاب هذا الرأي بقول الله تعالى جده: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [الانعام: ١٦٥]. ويرى الزمخشري ان هذا جائز في حق الأنبياء (عليهم السلام) دون غيرهم؛ لان آدم كان خليفة الله في الارض، بدليل قول الله سبحانه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]. وكذا كل نبي. أما البغوي فيرى ان ذلك جائز في حق آدم وداود (عليهما السلام) دون غيرهما، واحتج بقول الله عز اسمه في حق آدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

(*) يُلاحظ أن أبا بكر لم يتهم من خاطبه بهذه العبارة بالفجور، ولا الشرك ولم يتهمه بأنه نسب العجز لله، كما يتخرص بعض العلماء السنيين، وسنرى لاحقاً أن الحادثة تكررت مع أبي بكر حين خاطبه الشاعر بعبارة "خليفة الرحمن" ولم يصدر من أبي بكر ما صدر من العلماء السنيين، علماً ان تكرر الحادثة، ووجود نصوص كثيرة مثيلة يدل، على الأرجح، على شيوعها في ذلك الزمن، وعلى أنهم لم يكونوا يشعرون بالحساسية بإزائها. أخيراً لابد أن أسجل نقطة مهمة هي أن كلام أبي بكر يمكن أن يفهم – بل لعل هذا الفهم هو المتعين، خاصة مع وجود أدلة ليس هنا موضع سردها – على أنه لا ينفي وجود خليفة لله، وإنما ينفي – فقط – أن يكون هو هذا الخليفة.

١. منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. ت: د. محمد رشاد سالم. ج١: ٥٠٩ – ٥١٠.

٢. الفتاوى الكبرى: ابن تيمية. ت: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان. ط١ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م ج٥: ١٢٢.

٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأثرها السيء في الأمة: محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف – الرياض. ط١ ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. مج١: ١٩٧.

٤. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ١٩٣.

خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، وبقوله جل شأنه في حق داود: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]. قال: "ولا يسمى أحد خليفة الله بعدهما" ... الرأي الثالث: الخلافة تكون عن رسول الله؛ لأنه خلف رسول الله (ص) في امته، وعلى ذلك خوطب ابو بكر الصديق بخليفة رسول الله) [١].

أما بكر عبدالله فقد كتب تحت عنوان "خليفة الله"، ما يأتي: (جماع خلاف اهل العلم في هذا على ثلاثة أقوال: الأول: الجواز، فيجوز ان يقال: فلان خليفة الله في أرضه. واحتجوا بحديث الكميل عن علي: "أولئك خلفاء الله في ارضه"، وبقوله تعالى: "إني جاعل في الارض خليفة" ونحوها في القرآن. وبقول النبي: "إن الله ممكِّنٌ لكم في الارض ومستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء". وبحديث المهدي وفيه: "خليفة الله المهدي" لكنه ضعيف كما في رقم/ ٨٥ من السلسلة الضعيفة. واحتجوا بقول الراعي يخاطب ابا بكر رضي الله عنه:

خليفة الرحمن إنا معشر	حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
عرب نرى لله في اموالنا	حق الزكاة منزلا تنزيلا

الثاني: منع هذا الاطلاق؛ لان الخليفة انما يكون عمن يغيب ويخلفه غيره، والله تعالى شاهد غير غائب ... الثالث: وهو ما قرره ابن القيم بعد ذلك فقال: قلت إن أريد بالاضافة إلى الله: إنه خليفة عنه، فالصواب قول الطائفة المانعة فيها، وإن أُريد بالاضافة: أن الله استخلفه عن غيره ممن كان قبله فهذا لا يمتنع فيه الاضافة. وحقيقتها: خليفة الله الذي جعله الله خلفاً عن غيره، وبهذا يخرج الجواب عن قول امير المؤمنين: أولئك خلفاء الله في أرضه ... الخ. والله أعلم) [٢].

إذن، يمنع العلماء السنيون وجود خليفة لله بدعوى أن من يستخلف هو من يغيب، أو يموت، على الرغم من اعترافهم بوجود نصوص تدل على ذلك. والحقيقة إن حجتهم غير تامة، فليس من يغيب، أو يموت هو وحده من يستخلف، وإنما، كذلك، من لا يليق بحقه أن يباشر أمراً بنفسه له أن يستخلف من يباشره نيابة عنه. ومعلوم إن الله عز

١. نظام الحكم الاسلامي مقارناً بالنظم السياسية المعاصرة: د. إسماعيل البدوي. دار الفكر العربي. ط١ ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦ م: ١٠٣ وما بعدها.

٢. معجم المناهي اللفظية: بكر عبدالله ابو زيد. دار العاصمة – الرياض. ط٣ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م: ٢٥٢ – ٢٥٣.

وجل هو المالك، وهو الحاكم، ولكنه أجلّ، وأقدس من أن يباشر الحكم بين الناس بنفسه، فيُوكل، أو يُنيب عنه من يحكم بحكمه تعالى.

ومما يبطل زعمهم ما قاله البيضاوي: (والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام لأنه كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي استخلفهم الله في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي أمره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله تعالى: "ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا" ألا ترى أن الأنبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار أرسل إليهم الملائكة ومن كان منهم أعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى (عليه السلام) في الميقات ومحمداً صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة أن العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك) [(١)].

ويبطله كذلك ما قاله الآلوسي: (ومعنى كونه خليفة أنه خليفة الله تعالى في أرضه، وكذا كل نبي استخلفهم في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم لا لحاجة به تعالى، ولكن لقصور المستخلف عليه لما أنه في غاية الكدورة والظلمة الجسمانية، وذاته تعالى في غاية التقدس، والمناسبة شرط في قبول الفيض على ما جرت به العادة الإلهية فلا بد من متوسط ذي جهتي تجرد وتعلق ليستفيض من جهة ويفيض بأخرى ... ولم تزل تلك الخلافة في الإنسان الكامل إلى قيام الساعة وساعة القيام) [(٢)].

وبظني أن تصوير المسألة بالشكل الوارد في كلمات العلماء السنيين الرافضين أقرب ما يكون إلى التشويه منه إلى الموضوعية، فكأني بهم، بعد أن عجزوا عن تقديم دليل حقيقي على موقفهم الرافض، عمدوا إلى تشويه الموقف الآخر، وإخراجه بهيئة الموقف غير المقبول بذاته، لما يستبطنه من شرك، وانتقاص من الذات الإلهية، على حد زعمهم.

---

١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي: ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي. إعداد وتقديم: محمد عبدالرحمن المرعشلي. دار إحياء التراث العربي – بيروت. ج١: ٦٨.

٢. روح المعاني: شهاب الدين محمود الآلوسي. دار إحياء التراث العربي – بيروت/ لبنان. د.ت ج١: ٢٢٠.

وإذا كان بعض السنيين قَبِل بوجود خليفة لله، كما يظهر من كلمة إسماعيل البدوي، وغيره، فإنه قد قبل بحدود ضيقة، فالزمخشري جوّز خلافة الله للأنبياء، دون غيرهم، وضيقها البغوي أكثر حتى قصرها على آدم وداود (عليهما السلام) فقط. وعلى العموم، قد يقبل السنيون بمسألة خلافة الله، بالمعنى الذي يكون فيه الخليفة نائباً عن الله في حكم خلقه، ولكنهم يقبلون بقدر تعلق الأمر بزمن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والزمن السابق له، دون الزمن اللاحق. فخليفة الله لابد أن يختاره الله، كما هو الحال في زمن النبي (صلى الله عليه وآله)، والأزمان السابقة، ولكن السنيين لا يؤمنون ببقاء الحال على ما كان عليه، ولذلك قالوا بطرق أخرى لتعيين الحاكم، أو خليفة الله، غير اختيار الله، أو تعيينه له، الأمر الذي يعني أنهم يرفضون وجود خليفة لله بعد النبي (صلى الله عليه وآله). فالطرق التي تنعقد بها الإمامة لدى السنيين كما يأتي [(١)]:

١- اختيار أهل الحل والعقد.
٢- استخلاف الخليفة السابق للخليفة اللاحق.
٣- القهر والغلبة.

سأنقل فيما يلي كلمات لعلماء سنيين تفسر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [(٢)]، بما يعني وجود خليفة لله عز وجل، يحكم في الأرض.

قال ابن جرير الطبري: (عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي: أن الله جل ثناؤه قال للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا. فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مسعود وابن عباس: إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي، وذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه) [(٣)].

---

١. ينظر: الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة: ١٥٨، ١٨٤، ٢٢٢. الأحكام السلطانية للماوردي: ٦. والأحكام السلطانية لأبي يعلى: ٢٣. وأصول الدين: عبدالقاهر بن طاهر البغدادي. مطبعة الدولة – استانبول. ط١ ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م: ٢٧٩.
٢. البقرة: ٣٠.
٣. جامع البيان عن تأويل القرآن/ ج١: ٢٨٩.

وقال الثعلبي: (قيل: سأل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، طلحة والزبير وكعباً وسلمان: ما الخليفة من الملك؟ فقال طلحة والزبير: ما ندري. فقال سلمان: الخليفة الذي يعدل في الرعية ويقسم بينهم بالسوية ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله ويقضي بكتاب الله، فقال كعب: ما كنت أحسب أن في المجلس أحدا يعرف الخليفة من الملك غيري، ولكن الله عز وجل ملأ سلمان حكما وعلما وعدلا) [(١)].

وقال السمعاني: (قيل: إنما سمى خليفة لأنه خليفة الله في الأرض؛ لإقامة أحكامه، وتنفيذ قضاياه، وهذا هو الأصح) [(٢)].

وقال النسفي: ("إني جاعل" أي مصيّر من جعل الذي له مفعولان، وهما "في الأرض خليفة". وهو من يخلف غيره. فعيلة بمعنى فاعلة، وزيدت الهاء للمبالغة. والمعنى: خليفة منكم؛ لأنهم كانوا سكان الأرض، فخلفهم فيها آدم وذريته، ولم يقل خلائف أو خلفاء لأنه أريد بالخليفة آدم، واستغنى بذكره عن ذكر بنيه، كما تستغنى بذكر أبي القبيلة في قولك: مضر وهاشم. أو أريد: من يخلفكم، أو خلفاً يخلفكم فوحّد لذلك. أو خليفة مني؛ لأن آدم كان خليفة الله في أرضه، وكذلك كل نبي قال الله تعالى: "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض") [(٣)].

وقال ابن الجوزي: (في معنى خلافة آدم قولان: أحدهما: أنه خليفة عن الله تعالى في إقامة شرعه، ودلائل توحيده، والحكم في خلقه، وهذا قول ابن مسعود ومجاهد. والثاني: أنه خلف من سلف في الأرض قبله، وهذا قول ابن عباس والحسن) [(٤)].

---

١. الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)/ج١: ١٧٧.

٢. تفسير القرآن: أبو المظفر السمعاني. ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. دار الوطن – الرياض. ط١ ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م. مج١ - ص ٦٤.

٣. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): أبو البركات عبدالله بن أحمد النسفي. ت: يوسف علي بديوي. دار الكلم الطيب – بيروت. ط١ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. ج١: ٧٧ – ٧٨.

٤. زاد المسير في علم التفسير: عبدالرحمن بن علي الجوزي. ت: محمد بن عبدالرحمن. دار الفكر – بيروت. ط١ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. ج١: ٤٧.

وقال الرازي: (الثاني: إنما سماه الله خليفة لأنه يخلف الله في الحكم بين المكلفين من خلقه وهو المروي عن ابن مسعود وابن عباس والسدي وهذا الرأي متأكد بقوله: "إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق") [١].

وقال العز بن عبد السلام: ("خليفة" الخليفة من قام مقام غيره، خليفة: يخلفني في الحكم بين الخلق، هو آدم صلى الله عليه وسلم ومن قام مقامه من ذريته، أو بنو آدم يخلفون آدم، ويخلف بعضهم بعضا في العمل بالحق، وعمارة الأرض، أو آدم وذريته خلفاء من الذين كانوا فيها فأفسدوا، وسفكوا الدماء) [٢].

وقال القرطبي: (والمعني بالخليفة هنا - في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل - آدم (عليه السلام)، وهو خليفة الله في إمضاء أحكامه وأوامره ... الرابعة - هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع، لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة ... ودليلنا قول الله تعالى: "إني جاعل في الأرض خليفة" [البقرة: ٣٠]، وقوله تعالى: "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض" [ص: ٢٦]، وقال: "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض" [النور: ٥٥] أي يجعل منهم خلفاء، إلى غير ذلك من الآي) [٣].

وقال البيضاوي، كما سبق أن نقلنا: (والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام لأنه كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي استخلفهم الله في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي أمره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله تعالى: "ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا" ألا ترى أن الأنبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار أرسل إليهم الملائكة ومن كان منهم أعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى (عليه السلام) في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة أن

---

١. تفسير الرازي/ ج٢: ١٨١.

٢. تفسير العز بن عبدالسلام: عبدالعزيز بن عبدالسلام. دار الكتب العلمية – بيروت. ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ج١: ١١٤.

٣. الجامع لأحكام القرآن/ ج١: ٢٦٣ – ٢٦٤.

العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك) [١].

وقال القرطبي: (هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة؛ يسمع له ويطاع؛ لتجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الخليفة ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة ... ودليلنا قول الله تعالى: "إني جاعل في الأرض خليفة". وقوله تعالى: "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض". وقال: "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض". أي: يجعل منهم خلفاء إلى غير ذلك من الآي) [٢].

أما ابن كثير فقد نقل ما قاله ابن جرير الطبري [٣]، وما قاله القرطبي كذلك [٤].

وقال السيوطي: (اذكر يا محمد "إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة" يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها وهو آدم) [٥].

وقال الثعالبي: (وقال ابن مسعود: إنما معناه: خليفة مني في الحكم) [٦].

وقال الشنقيطي: (في قوله: "خليفة" وجهان من التفسير للعلماء: أحدهما: أن المراد بالخليفة أبونا آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام؛ لأنه خليفة الله في أرضه في تنفيذ أوامره) [٧].

العقل السني، إذن، يمكن أن يقبل بوجود خليفة لله، لكنه يقبل – كما سلف القول – بقدر تعلق الأمر بزمن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والفترة السابقة له حصراً، على الرغم من وجود النصوص التي تصرح بوجود خليفة الله حتى بعد زمن رسول الله (صلى

---

١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي/ ج١: ٦٨.
٢. الجامع لأحكام القرآن/ ج١: ٢٦٤.
٣. تفسير القرآن العظيم/ ج١: ٧٣ – ٧٤.
٤. نفسه/ ج١: ٧٥.
٥. تفسير الجلالين: العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. قدم له وراجعه: الأستاذ مروان سوار. دار المعرفة – بيروت/ لبنان: ٨.
٦. الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي): عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي. ت: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. دار احياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي – بيروت/ لبنان. ط١ ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م. ج١: ٢٠٥.
٧. أضواء البيان: محمد الأمين الشنقيطي. إشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد. دار عالم الفوائد. د. ت. مج١: ٦٨.

الله عليه وآله)، مثل النصوص التي سبق أن ذكرناها، ومثل النص التالي الذي أخرجه أحمد في مسنده، وهو كما يدل سياقه يتحدث عن آخر الزمان، أي عن الزمان الذي يظهر فيه المهدي: (عن أبي التياح قال سمعت صخرا يحدث عن سبيع قال أرسلوني من ماء إلى الكوفة اشترى الدواب فأتينا الكناسة فإذا رجل عليه جمع قال فاما صاحبي فانطلق إلى الدواب وأما أنا فاتيته فإذا هو حذيفة فسمعته يقول كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن الخير واساله عن الشر فقلت يا رسول الله هل بعد هذا الخير شر كما كان قبله شر قال نعم قلت فما العصمة منه قال السيف أحسب أبو التياح يقول السيف أحسب قال قلت ثم ماذا قال ثم تكون هدنة على دخن قال قلت ثم ماذا قال ثم تكون دعاة الضلالة قال فان رأيت يومئذ خليفة الله في الأرض فالزمه وان نهك جسمك وأخذ مالك فإن لم تره فاهرب في الأرض ولو أن تموت وأنت عاض بجذل شجرة قال قلت ثم ماذا قال ثم يخرج الدجال ..الخ) [١].

معضلة العقل السني تكمن في أنه إذا قبل بمبدأ وجود خلفاء لله بعد زمن النبي (صلى الله عليه وآله)، فعليه أن يقبل بأنهم الاثني عشر خليفة الذين ذكرتهم أحاديث صحيحة، وعليه، كذلك، أن يشخصهم، ويفسر الواقع التاريخي الذي شهد أضعاف هذا العدد من الخلفاء، ويبيّن هل أن من المقبول الأخذ بسنة الخلفاء التاريخيين، أي الذين حكموا فعلياً، وهل تنسجم سنتهم، وسلوكهم مع تعاليم الإسلام ؟

يبدو أن العقل السني قرر، على العموم [*]، تجاهل المسألة، أو إبعادها عن دائرة اهتماماته، من أجل أن يبقى محافظاً على توازنه، الذي يربكه التفكير الجدي بالمسألة

---

١. المسند: أحمد بن محمد بن حنبل. شرحه وصنع فهارسه: حمزة أحمد الزين. دار الحديث – القاهرة. ط١ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ج١٦: ٦٢١ – ٦٢٢. رقم الحديث "٢٣٣١٨"، وقال في الهامش: "إسناده صحيح". وفي ص: ٦٢٣، برقم "٢٣٣٢١"، وفيه: "إن كان لله يومئذ في الأرض خليفة"، وقال عنه في الهامش: "إسناده صحيح". ولا يخفى أن المعنى واحد. وصحيح الجامع الصغير وزيادته: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي – بيروت. ط٣ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. مج١: ٥٧٥. وقال عنه: "حسن".

(*). أقول "على العموم" لأنه إذا أعوزته النصوص التي يبرر بها بناءه العقدي يلجأ إلى النصوص الواردة في الخلفاء، وسنتهم، كما فعل عبدالله بن عمر الدميجي حين لم يجد نصوصاً، كما زعم، تسعفه في تحديد الإطار النظري لاختيار الإمام، وهو أمر مرتبط، بالتأكيد، بالواقع التاريخي الذي يعتقدون بشرعيته. يقول: ((عند النظر إلى نصوص الكتاب والسنة فإننا لا نجد هناك نصاً صريحاً في تعيين الطريقة التي تثبت بها الإمامة للإمام، وليس ثمة إلا النصوص العامة المتعلقة بالولاية والتولية، سواء أكانت صغرى أم كبرى، كالشورى ونحوها. لذلك لم يبق أمامنا إلا استعراض الطرق التي انعقدت بها الإمامة للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين. ونحن نعتقد أن هذه الطرق تعتبر شرعية للأدلة التالية: ١- ما ورد في حديث العرباض بن

حتماً. الأمر الذي جعل حديث الأئمة الاثني عشر، وحديث عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، الصحيحين، أشبه ما يكونا بنص قانوني لا فائدة، ولا مصداق، أو تحقق له في الخارج، على الرغم من خطورتهما، وأهميتهما البالغة التي يشعر بها كل من يقرأهما بتجرد، وإنصاف، وكيف لا، وهما يتضمنان المخطط الإلهي لمستقبل الدين.

إن على العقل السني، المتصالح مع الواقع التاريخي لنظام الحكم، أن يواجه الأسئلة الصعبة الآتية: لماذا اتخذت المسيرة الإسلامية مساراً تراجعياً، حتى عاد الإسلام غريباً، كما نصت كثير من الأحاديث ؟ ولماذا تحتم على الأمة انتظار المهدي لتتحقق على يديه عودة الحياة للإسلام ؟

لا شك في أن المنطق السليم يرسم مساراً تصاعدياً، تكاملياً لحركة الإسلام في الحياة، باعتبار أنه – كمنظومة فكرية، وقانونية، وأخلاقية – يستوعب الكون والحياة، بجميع تفاصيلها، وتعقيداتها، ويمتلك أجوبة على جميع الأسئلة التي يطرحها الواقع البشري في مختلف الأزمنة والأمكنة. وعليه فإن مسؤولية إخفاق التجربة العملية الخارجية لا تقع على عاتق الإسلام، بما هو واقع فكري، أو نظري، وإنما يتحمل وزرها من تصدى لتطبيق الإسلام.

إن أحاديث عودة الإسلام غريباً [(١)]، والأحاديث التي تصور اللحظة المهدوية بوصفها ضرورة حتمية [(٢)]، تضع التصور السني للإسلام أمام مأزق حقيقي. فإذا كان الخلفاء

سارية الطويل، ومنه قوله (صلى الله عليه وآله): "... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور.. الخ)) الإمامة العظمى: ١٢٥.

١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ:«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ». وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ:«إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا». صحيح مسلم/ ج١: ٩٠. قال النووي في شرحه: (قال القاضي وظاهر الحديث العموم وأن الاسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة ثم انتشر وظهر ثم سيلحقه النقص والاخلال حتى لا يبقى الا في آحاد وقلة أيضا كما بدأ). شرح صحيح مسلم: النووي. دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان. ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ مـ ج٢: ١٧٧. وقال محمود المصري في تفسير الحديث: (وهو يشير إلى وقتنا هذا؛ فإن الإسلام فيه غريب بمعنى الكلمة، وسيظل كذلك، بل ستزداد غربته إلى أن يأتي المهدي فيظهر الإسلام، ويحيي العدل). رحلة إلى الدار الآخرة. مكتبة الصفا. ط١ ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م: ٢٧٥.

وحديث عودة الإسلام غريباً متواتر عن النبي (صلى الله عليه وآله)، كما قال الغماري. ينظر: المهدي المنتظر: ٤٤. وأثبت تواتره محمد بن جعفر الكتاني في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ٤٨ وما بعدها.

٢. عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت جورا ". عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ". المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار

الراشدون المهديون، بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، اثني عشر خليفة آخرهم المهدي، فلماذا اتخذت حركة الإسلام منحى تراجعياً، ولماذا تحتم أن نبلغ زمن آخر الخلفاء الاثني عشر ليبدأ الإسلام باستعادة عافيته؟ أين هي جهود الأحد عشر السابقين، إن لم يكونوا قد استُبعدوا عن الحكم، واغتصب مناصبَهم أئمةٌ مضلون [(١)] ؟ وهل يعني هذا شيئاً سوى أن المنظومة الفكرية والعقدية السنية قد تأسست لتبرر الواقع المنحرف، وتساهم في تكريسه، وترسيخه، وأنها، بالنتيجة، ستخفق في التعرّف على المهدي، وفي إعطائه حقه، ومكانته، وقد تتورط في معاداته ؟

صلاة نبي الله عيسى (عليه السلام) خلف المهدي:

وردت أحاديث، وآثار كثيرة بشأن صلاة نبي الله عيسى (عليه السلام) خلف المهدي، حتى لقد نقل ابن حجر عن أبي الحسن الآبري، قوله: (تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة، وأن عيسى يصلي خلفه) [(٢)].

سأكتفي هنا بذكر بعض الأحاديث والآثار، وكما يأتي:

أخرج البخاري عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري، إن أبا هريرة قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم) [(٣)].

وأخرج مسلم عن ابن أبي ذئب، عن ابن شهاب، عن نافع مولى أبي قتادة، عن أبي هريرة: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم فقلت لابن أبي ذئب ان الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع عن أبي هريرة وإمامكم

الصحيحة: ٢٣٣، ٢٦٢. قال الغماري في شرح الحديث: (ليس معناه أن المهدي (عليه السلام) يكون عند آخر الزمان بحيث تقوم عليه الساعة، كما قد يُتوهم، وإنما معناه: إن ظهور المهدي (عليه السلام) حق لا يمكن أن يتخلف حتى لو فرض أنه لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يظهر فيه). المهدي المنتظر: ٤٤.

١. تحت عنوان "ما جاء في نقض عرى الإسلام" جمع علي بن نايف الشحود أحاديث منها: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ،عَنْ رَسُولِ اللهِ قَالَ:" لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ. قال عنه في الهامش: صحيح. وعَنِ ابْنِ فَيْرُوزَ الدَّيْلَمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهِ : لَيُنْقَضَنَّ الإِسْلاَمُ عُرْوَةً ، عُرْوَةً كَمَا يُنْقَضُ الْحَبْلُ قُوَّةً ، قُوَّةً. قال في الهامش صحيح لغيره. المفصل في أشراط الساعة وعلاماتها: ١٠٠.

٢. فتح الباري/ ج٦: ٣٥٨.

٣. صحيح البخاري/ ٤: ١٤٣. وصحيح مسلم/١: ٩٤.

منكم قال ابن أبي ذئب تدرى ما أَمَّكم منكم قلت تخبرني قال فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم) [١].

وعن جابر بن عبد الله، يقول: (سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم، فيقول أميرهم: تعال صل لنا. فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة) [٢].

وأورده البستوي بالصورة الآتية: (عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا. فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض. تكرمة الله لهذه الأمة) [٣].

وعن أبي سعيد قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه) [٤].

وعن ابن سيرين قال: (المهدي من هذه الأمة وهو الذي يؤم عيسى بن مريم) [٥].

إن صلاة عيسى خلف المهدي، وائتمامه به إشارة واضحة إلى إمامة المهدي، وأفضليته على عيسى، وليس هذا بغريب على منطق النصوص الشرعية، وإن كان مستغرباً بالنسبة للمنظومة العقدية السنية. فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [٦]. هذه الآية تدل على أن إبراهيم (عليه السلام) استحق الإمامة بعد أن كان نبياً، وبعد خوضه، ونجاحه في الاختبارات، أو الابتلاءات التي تعرض لها، الأمر الذي يدل بالتالي على أن الإمامة بوصفها مقاماً أرفع من النبوة، بوصفها مقاماً [*]. ويدل عليه،

---

١. صحيح مسلم/١: ٩٤.

٢. نفسه: ٩٥.

٣. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ١٨٠. وقال ص١٨٢: "إسناده صحيح".

٤. نفسه: ٣١٥. وقال ص٣١٦: "النتيجة: إسناده حسن لغيره".

٥. نفسه: ٢١٩. وقال ص٢٢٠: "النتيجة: إسناده صحيح. رجاله كلهم ثقات".

٦. البقرة: ١٢٤.

(*). المقصود من الإمامة بوصفها مقاماً، وكذلك النبوة بوصفها مقاماً، أي باعتبار كل منهما منصباً، وبصرف النظر عن شاغله، فالإمامة كمنصب أرفع شأناً من النبوة كمنصب. ولا يذهب على القارئ أن من له منصب الإمامة له منصب النبوة

كذلك، أن إبراهيم (عليه السلام) رُزق الذرية بعد بلوغه مرحلة الشيخوخة، كما ينص قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[١]، وكما يستفاد من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[٢]، وبعد أن رُزق الذرية جعله الله إماماً، بينما هو نبي منذ أن كان فتى، كما يُفهم من قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[٣].

الدلالة الواضحة التي تعرضها النصوص أشار ابن سيرين إلى جزء منها بقوله الذي نقله ابن حجر. قال ابن حجر: (ما جاء عن ابن سيرين: المهدي خير من أبي وعمي، قد كاد يفضل على بعض الأنبياء. وصح عنه: لا يفضل عليه أبو بكر وعمر) [٤].

على الرغم من تخفيف ابن سيرين، أو تقليله من دلالة النصوص، إلا أن كلامه لم يجد متسعاً له في العقل السني، الذي عبر عن رفضه بطريقة مبطنة، من خلال آليات التأويل التي سلطها عليه. فابن حجر نفسه – بعد أن نقل كلام ابن سيرين – علق قائلاً: (وهو وإن كان أحق من الأول، إلا أنه يجب تأويلهما بصرائح الأحاديث، وقيام الإجماع على أنهما أفضل منه، بل وأفضل بقية الأربعة، بل الصحابة، خلاف لما شذ به ابن عبدالبر أن يكون فيمن بعد الصحابة أفضل منهم، وخبر أن للواحد منهم أجر خمسين منكم، يؤول كالأول، على أنه لشدة الفتن في زمنه، وتمالي الروم بأسرها عليه، ومحاصرته الدجال، فأفضليته وثوابه كأتباعه ونحوهم، إنما هو أمر نسبي إذ قد يكون في المفضول مزية أو مزايا ليست في الفاضل، ومن ثَمَّ تمنى طاوس إدراك زمانه، لأنه يزاد فيه للمحسن، ويتاب فيه على المسيء إما في زيادة الثواب والرفعة عند الله على الإطلاق، فمن ذكر خير منه في ذلك. وكأن ابن سيرين أراد بقوله "كاد أن يفضل على بعض الأنبياء" أنه يؤم عيسى،

بالضرورة. فكل إمام نبي، ولا عكس، فليس كل نبي إماماً. ومن المهم التنبيه إلى أن كون الإمام نبياً لا يعني أنه يستقل بدين، وبكتاب بالضرورة، فقد يكون تابعاً لإمام، ودين وكتاب. وهكذا فإن اعتبار المهدي إماماً، واعتبار الإمامة، بوصفها مقاماً، أرفع من النبوة، بوصفها مقاماً، لا يعني أن المهدي سيأتي بدين جديد غير الدين الإسلامي، ولا بكتاب غير القرآن الكريم، فهو سيكون تابعاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي له، كذلك، مقام الإمامة الرفيعة، والأمثلة بهذا الصدد كثيرة فقد كان في بني إسرائيل كثير من الخلفاء بعد موسى (عليه السلام) وكان لهم مقام النبوة، ولكنهم كانوا تابعين لموسى وعاملين بالكتاب الذي نزل عليه من ربه، وكذا الأمر بالنسبة لنبي الله لوط الذي كان تابعاً لنبي الله إبراهيم، الذي له مقام الإمامة دون لوط.

١. إبراهيم: ٣٩.

٢. هود: ٧٢.

٣. الأنبياء: ٦٠.

٤. القول المختصر في علامات المهدي المنتظر: ٧١.

وللإمام فضل ما على المأموم من حيث التبعية، لكن في الحقيقة ليس هذا الفضل له، بل لنبينا صلى الله عليه وسلم، لأن ائتمامه به علامة على نزوله بشريعة نبينا واتباعه له) [١].

قوله: "وهو وإن كان أحق من الأول". أي تفضيل المهدي على أبي بكر وعمر، أحق من تفضيله على بعض الأنبياء، "إلا أنه يجب تأويلهما بصرائح الأحاديث"، كما قال، دون أن يذكر حديثاً صحيحاً واحداً. أما الإجماع المزعوم فقد خرقه ابن سيرين وغيره كابن عبدالبر [٢]، كما ذكر ابن حجر نفسه، هذا علاوة على مخالفته لمدلول الأحاديث. كما إن الإجماع يفتقر إلى المستند النصي، قال د. وهبة الزحيلي: (لو انعقد الإجماع من غير مستند لاقتضى إثبات شرع بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا باطل ... ونوع المستند في رأي أكثر العلماء: إما دليل قطعي من قرآن وسنة متواترة، فيكون الإجماع مؤيداً ومعاضداً له، وإما دليل ظني وهو خبر الواحد والقياس، فيرتقي الحكم حينئذ بالإجماع من مرتبة الظن إلى مرتبة القطع واليقين) [٣].

وفي مسألتنا لا وجود لدليل قطعي، وإذا وجد دليل ظني فهو مُعارَض بغيره، والإجماع الذي يمكن أن يرتقي به لا وجود له، كما عرفنا.

وقد عقد ابن عبد البر مبحثاً في كتابه لإثبات إمكانية أن يأتي في آخر الزمان من يفضل على الصحابة، ساق فيه أحاديثاً كثيرة [٤]، لا يتسع المجال لإيرادها، لذا سأكتفي ببعضها على سبيل الأنموذج فقط:

عن محمد بن الحنفية، قال: (كنا عند علي رضي الله عنه فسأله رجل عن المهدي فقال علي رضي الله عنه: هيهات. ثم عقد بيده سبعا فقال: ذاك يخرج في آخر الزمان إذا

---

١. السابق: ٧١ -٧٢.

٢. قال القاضي عياض تعليقاً على هذا الحديث ((ذهب أبو عمرو بن عبد البر في هذا الحديث وغيره من الأحاديث في فضل من يأتي آخر الزمان إلى أنه قد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة من هو أفضل ممن كان من جملة الصحابة، وأن قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): خيركم قرني على الخصوص معناه: خير الناس قرني. أى السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن سلك مسلكهم، فهؤلاء أفضل الأمة، وهم المرادون بالحديث. وأما من خلط في زمنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن رآه وصحبه و لم يكن له سابقة ولا أثر في الدين فقد يكون في القرون التي تأتي بعد القرن الأول من يفضلهم على ما دلت عليه الآثار، قال القاضي وقد ذهب إلى هذا أيضا غيره من المتكلمين على المعاني)). شرح صحيح مسلم/ ج٣: ١٣٨ – ١٣٩.

٣. الوجيز في أصول الفقه. دار الفكر المعاصر – بيروت/ لبنان. إعادة ط١ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م: ٤٨ – ٤٩.

٤. ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي. ت: سعيد أحمد أعراب. بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية بالمغرب العربي ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. ج٢٠: ٢٤٣ وما بعدها.

قال الرجل الله، الله، قتل، فيجمع الله تعالى له قوما قزع كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم، لا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد يدخل فيهم، على عدة أصحاب بدر، لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر. قال أبو الطفيل: قال ابن الحنفية: أتريده ؟ قلت: نعم. قال: إنه يخرج من بين هذين الخشبتين. قلت: لا جرم والله، لا أريمهما حتى أموت فمات بها. يعني مكة حرسها الله تعالى) [١].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة، قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت إنّا قد رأينا إخواننا قالوا أولسنا اخوانك يا رسول الله ؟ قال أنتم أصحابي واخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله فقال أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم الا يعرف خيله قالوا بلى يا رسول الله قال فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادنّ رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقا سحقا) [٢].

هذه الأحاديث تصف أصحاب الإمام المهدي، كما لا يخفى، وتمنحهم أفضلية على الصحابة [*]، وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة لأصحابه فما بالك بالمهدي نفسه، الذي تقدمت بعض أوصافه العالية الواردة في الروايات، وسيأتي بعض آخر ؟

وإذا كان السنيون قد حاولوا مواجهة هذه الأحاديث، التي تهدم الركن الركين في العقيدة السنية، بأحاديث أخرى، أو تأويلها، أو حتى الالتفاف عليها، فإن قضيتهم ضعيفة

---

١. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ٢٠٦. وقال عنه ص٢٠٨: "قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وسكت عليه الذهبي. والحديث على شرط مسلم فقط. فإن يونس وعمارا لم يخرج لهما البخاري. النتيجة: إسناده حسن". وصححه أحمد بن محمد بن الصديق في ابراز الوهم: ٥٣٨ – ٥٣٩. وقال عنه عبدالله بن الصديق الغماري: (خرج الحاكم في المستدرك بإسناد صحيح على شرط مسلم)). ينظر: المهدي: ٣٢. وقال عنه علي بن نايف الشحود: "صحيح". المفصل في أشراط الساعة: هامش ص٣٨٩. وقال عنه التويجري: ((رواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في تلخيصه. وهذا الأثر له حكم الرفع لأنه لا دخل للرأي في مثل هذا، وإنما يقال عن توقيف). الاحتجاج بالاثر: ١٦. وقال عنه محقق كتاب الإذاعة: هامش ص١٩٠: "صحيح".

٢. صحيح مسلم/ ج١: ١٥٠ - ١٥١.

(*). يمكن أن نتحدث هنا عن أفضلية إجمالية، أي إن أصحاب المهدي إجمالاً أفضل من الصحابة إجمالاً، وهذا – كما هو معروف – لا يمنع أن يكون بعض الصحابة أفضل من بعض أصحاب الإمام المهدي.

جداً إذا ما حالوا إثبات أفضلية الصحابة على المهدي نفسه، لأن عليهم في هذه الحالة أن يواجهوا هذه الأحاديث، والأحاديث التي وردت في المهدي.

ينقل النووي واحدة من المحاولات الضعيفة، بقوله: (قال الإمام الباجي قوله صلى الله عليه وسلم بل أنتم أصحابي ليس نفياً لإخوتهم ولكن ذكر مرتبتهم الزائدة بالصحبة فهؤلاء اخوة صحابة والذين لم يأتوا اخوة ليسوا بصحابة كما قال الله تعالى إنما المؤمنون اخوة) [(١)].

رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: "أنتم أصحابي، واخواننا الذين لم يأتوا بعد"، وهو واضح في أنه يمنح مقام الأخوة لغيرهم، ولكن الإمام الباجي لا يطيب له الاكتفاء بهذا الواضح.

أما السيوطي فيرى (أن الأوجه تأويله: "على ما أول عليه حديث "بل أجر خمسين منكم" لشدة الفتن في زمان المهدي وتمالؤ الروم بأسرها عليه ومحاصرة الدجال له وليس المراد بهذا التفضيل الراجع إلى زيادة الثواب والرتبة عند الله فالأحاديث الصحيحة والإجماع على أن أبا بكر وعمر أفضل الخلق بعد النبيين والمرسلين") [(٢)].

السيوطي يؤول الأفضلية التي قال بها ابن سيرين على أن المقصود منها ليس أفضلية الثواب، أو الرتبة عند الله، وإنما شيء آخر غامض يعبر عنه بقوله: "لشدة الفتن في زمان المهدي وتمالؤ الروم بأسرها عليه ومحاصرة الدجال له"! أي إن السيوطي يريد التخلص من دلالة كلام ابن سيرين بأي طريقة، حتى لو اضطره الأمر لقول كلام لا معنى له، فالمهم هو الحفاظ على العقيدة السنية التي زعم أنها مدعمة بالأحاديث الصحيحة والإجماع.

وقد رد البرزنجي كلام السيوطي، بعد أن أورده، قائلاً: (قلت: التحقيق أن جهات التفاضل مختلفة ولا يجوز لنا التفضيل على الإطلاق في فرد من الأفراد إلا إذا فضله النبي صلى الله عليه وسلم، كذلك فإنه قد وجد في المفضول مزية من جهات أخر ليست في الفاضل، وتقدم عن الشيخ في الفتوحات أنه معصوم في حكمه مقتفٍ أثر النبي صلى الله عليه وسلم لا يخطئ أبداً، ولا شك أن هذا لم يكن في الشيخين وأن الأمور التسعة

---

١. شرح صحيح مسلم/ ج٣: ١٣٨.

٢. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ٣٥٠.

التي مرت لم تجتمع كلها في إمام من أئمة الدين قبله فمن هذه الجهات يجوز تفضيله عليهما وإن كان لهما فضل الصحبة، ومشاهدة الوحي، والسابقة، وغير ذلك، والله أعلم. قال الشيخ علي القاري في المشرب الوردي في مذهب المهدي: ومما يدل على أفضليته أن النبي صلى الله عليه وسلم سمّاه خليفة الله، وأبو بكر لا يقال له إلا خليفة رسول الله) [(١)].

وبشأن صلاة عيسى خلف المهدي، قال السفاريني: (يصلي المهدي بعيسى (عليه السلام) صلاة واحدة، وهي صلاة الفجر، ثم يستمر المهدي على الصلاة خلف سيدنا عيسى (عليه السلام) بعد تسليمه الأمر إليه، ثم يموت المهدي ويصلي عليه روح الله عيسى، ويدفنه في بيت المقدس) [(٢)].

السفاريني يقلب الحقائق رأساً على عقب، لمجرد الدفاع عن عقيدته في الصحابة، فحاصل قوله أن المهدي هو الذي يصلي خلف عيسى، وليس العكس، كما تذكر الروايات. والسفاريني، بهذا الصدد، يتعامل مع الصلاة على أن المراد منها هو هذه الواقعة المحددة، وليس ما يُفهم منها وهو إن عيسى سيصلي مأموماً بالمهدي، ولا الدلالة الرمزية المترتبة على ذلك، وهي أفضلية المهدي على عيسى، وإمامته له.

الحق، إن الرواية عبرت من خلال الصلاة عن حقيقة كون المهدي إماماً لعيسى، ولم ترد واقعة الصلاة نفسها، ليقول السفاريني إن عيسى يصلي خلف المهدي صلاة واحدة. والسفاريني يدرك هذه الحقيقة، ولذلك تحدث عن تسليم الأمر المزعوم. بل لو أن السنيّين فهموا الأمر على أنه مجرد صلاة لما تجشموا عناء التأويل، ولا أراقوا كل الحبر الذي أراقوه.

وقال المناوي: (ينزل عند صلاة الصبح على المنارة البيضاء شرقي دمشق فيجد الإمام المهدي يريد الصلاة فيحس به فيتأخر ليتقدم، فيقدمه عيسى (عليه السلام) ويصلي خلفه؛ فأعظم به فضلاً وشرفاً لهذه الأمة؛ ولا ينافي ما ذكر في هذا الحديث ما اقتضاه بعض الآثار من أن عيسى هو الإمام بالمهدي، وجزم به السعد التفتازاني وعلله بأفضليته،

---

١. الإشاعة لأشراط الساعة: ١١٣.

٢. لوامع الأنوار البهية/ ج٢: ٨٥.

لإمكان الجمع بأن عيسى يقتدي بالمهدي أولاً ليظهر أنه نزل تابعاً لنبينا حاكماً بشرعه، ثم بعد ذلك يقتدي المهدي به على أصل القاعدة من اقتداء المفضول بالفاضل) [١].

لو تأمل المناوي في واقعة الصلاة، أكثر مما فعل، لربما أدرك أن ظروف وقوعها، حيث كان المهدي متقدماً للصلاة فعلاً، أثناء نزول عيسى، ووقوعها لمرة واحدة، كما يفهم هو من الرواية، كل هذا يجعلنا نحكم بأن هذا الأسلوب ليس هو الأسلوب الأمثل، ولا حتى الأسلوب المناسب لإثبات متبوعية عيسى لنبينا (صلى الله عليه وآله). بل لو بحث عن أسلوب أمثل لإثبات متبوعية عيسى، فلا أفضل من خضوعه لإمام المسلمين المهدي. أما قوله: "فأعظم به فضلاً وشرفاً لهذه الأمة"، فيرد عليه أن الفضل والشرف يتحقق بخضوع أنبياء الأمم الأخرى الكامل لإمام أمة النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله)، لا في الاقتداء به في فريضة واحدة.

بعض العلماء السنيين تمسك بالحديث الذي سبق أن أوردناه من صحيح مسلم، عن أبي هريرة، قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم فقلت لابن أبي ذئب ان الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع عن أبي هريرة وإمامكم منكم قال ابن أبي ذئب تدرى ما أَمَّكم منكم قلت تخبرني، قال: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم).

والصيغة الأخرى من الحديث رواها البخاري، كما يلي: (عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري ان أبا هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم) [٢].

هذا الحديث فهمه، أو أراد أن يفهمه، بعض العلماء السنيين على أنه يدل على أن عيسى هو الإمام، وفهموا الإمام هنا، كما فهمه ابن أبي ذئب، بأنه الحاكم، وليس إمام صلاة فريضة الصبح فقط، كما زعم السفاريني، بدلالة قوله: "فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم".

---

١. فيض القدير/ ٦: ٢٣.

٢. صحيح البخاري/ ٤: ١٤٣. وصحيح مسلم/ ١: ٩٤.

وقد فسر الطيبي الحديث كما نقل عنه المناوي، بقوله: (قال الطيبي: معنى الحديث أي يؤمكم عيسى حال كونكم في دينكم. وصحح المولى التفتازاني أنه يؤمهم ويقتدي به المهدي لأنه أفضل فإمامته أولى) [١].

ولم يكتف العقل السني بكل هذا التمحل، بل حاول العثور على مخرج شرعي – بحسبهم – لهذه الصلاة الواحدة التي يأتم فيها عيسى بالمهدي، فقال محمد أحمد المقدم بأن الشرع يجوّز إمامة المفضول للفاضل، ومثّل بصلاة النبي (صلى الله عليه وآله) خلف بعض الصحابة [٢]، ثم ذكر كلاماً للكشميري مفاده أن علة الصلاة لإشعار الناس بأن الأمة المحمدية لم تُسلب الولاية [٣]، غير ملتفت إلى أن الصلاة إذا كانت جائزة شرعاً تفقد قدرتها على الإشعار المذكور، لأنها أصلاً لن تلفت الانتباه، ولن تدفع إلى التساؤل عن معنى ما جرى فيها من ائتمام عيسى بالمهدي، لا سيما في الظرف الذي سبق أن وصفناه. والواقع إن العلماء السنيين عادة ما يسوقون كلمات أصحابهم في المسألة، حتى إن كانت متناقضة، لأن الهم الأساس بالنسبة لهم يتمثل بالدفاع عن عقيدتهم، بأي ثمن، وبأي وجه.

ولا أدري لماذا لم يلتفت الكشميري إلى أن قوله (صلى الله عليه وآله): "وأمكم منكم"، أو "وإمامكم منكم" التي جاءت مقابلة لحديثه (صلى الله عليه وآله) عن نزول عيسى (عليه السلام)، تدفع كل توهم بسلب الولاية عن الأمة المحمدية، وتثبت أن الإمامة لرجل من أمة محمد (المهدي)، وهو المُعبر عنه بـ "منكم". وهذا ما فهمه ابن حجر – على سبيل المثال – كما يدل قوله التالي الذي سبق أن نقلناه: (في صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال إن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة والله أعلم).

إن عالماً سنياً مرموقاً كالشيخ البوطي، يتجاوز كل الأحاديث الدالة على إمامة المهدي، وقيادته، ليقول، منقاداً لعقيدته، ما يأتي: (معنى نزوله، أنه يهبط إلى الأرض ... فيمكث في الأرض مدة من الزمن يقيم عليها دعائم العقيدة الإسلامية التي بعث هو والأنبياء كلهم

١. فيض القدير/ ج٥: ٧٤.
٢. ينظر: المهدي: ٦١.
٣. ينظر: نفسه: ٦٢.

لإقامتها، وينفذ الشريعة الإسلامية الناسخة لجميع الشرائع السابقة والتي بعث بها محمد عليه الصلاة والسلام، دون أن يؤيد خلال ذلك بوحي جديد من الله عز وجل) [١].

ومثله يفعل ماهر الصوفي، فيقول: (عند ذلك يتفرغ عيسى ابن مريم للمهمة الكبرى التي أنزله الله سبحانه من أجلها وهي تحكيم شريعة الله سبحانه "الإسلام" والقضاء على المبادئ الأرضية الضالة، والأديان المحرفة) [٢].

هذه الكلمات تقفز فوق أحاديث كثيرة، منها الأحاديث التي تصف المهدي بكونه خليفة الله، ومنها ما ورد عن أبي سعيد الخدري قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلما وعدوانا - قال – ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا) [٣].

وما ورد عن عبد الله بن مسعود قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب [٤] رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي) [٥].

وعن ابن عباس، قال: (لا يمضي الأيام والليالي حتى يلي منا أهل البيت فتى لم تلبسه الفتن، ولم يلبسها. قال: قلنا: يا عباس يعجز عنها مشيختكم وينالها شبانكم؟ قال: هو أمر الله يؤتيه من يشاء. زاد الداني والبيهقي: كما فتح الله هذا الأمر بنا فأرجو أن يختمه الله بنا) [٦].

١. كبرى اليقينيات الكونية: د. محمد سعيد رمضان البوطي. دار الفكر المعاصر – بيروت/ لبنان. تصوير عن ط٨ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م: ٣٢٢ – ٣٢٣.

٢. أشراط الساعة، العلامات الكبرى: ١٢٠.

٣. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ٣١٢. وقال عنه ص٣١٤: "قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. النتيجة: إسناده صحيح".

٤. قال المباركفوري: (خص العرب بالذكر لأنهم الأصل والأشراف انتهى. وقال الطيبي لم يذكر العجم وهم مرادون). تحفة الأحوذي/ ج٦: ٤٠٢.

٥. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ٢٣٩. وقال عنه ص٢٥٢: (النتيجة: إسناده صحيح لغيره. والحديث أخرجه أبو داود في كتاب المهدي والترمذي في باب ما جاء في المهدي وأبو عمرو الداني في باب ما جاء في المهدي. وقد حمله العلماء سلفا عن خلف على المهدي ولم يخالفهم فيه أحد – فيما علمت - حتى المنكرين للمهدوية).

٦. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ٣٤٧. وقال عنه ص٣٤٩: (هذا إسناد صحيح. موقوف على ابن عباس. وأورد الفقرة الثانية منه ابن كثير في البداية والنهاية وقال: هذا إسناد جيد. وتصريحه هنا "منا أهل البيت" واضح في أنه لا يقصد أن المهدي يكون من بني العباس. بل من أهل البيت بالعموم. ولذلك فلا يتعارض هذا الأثر مع بقية الأحاديث الواردة في أن المهدي من ولد فاطمة).

بحسب هذه الأحاديث، المهدي هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، أي إنه هو الإمام، وهذا ما تؤكده الأحاديث الأخرى التي ورد فيها التعبير بـ "يملك"، و"يلي". وقد ورد وصف المهدي بالإمام في كلمات كثير جداً من العلماء والكتاب السنيين، منها قول السفاريني الذي سبق أن نقلناه، وهو:

منها الإمام الخاتم الفصيح   محمد المهدي والمسيح

أخيراً، روى البخاري بسنده عن (ابن شهاب: إن سعيد بن المسيب سمع أبا هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) [١].

وفي سنن ابن ماجة: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيكون عيسى بن مريم (عليه السلام) في أمتي حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً يدق الصليب، ويذبح الخنزير ويضع الجزية) [٢].

ولا تعارض مع ما سبق، إذ يمكن الجمع بأن المهدي هو الإمام الأكبر، كما يصفه أحمد بن محمد بن الصدّيق [٣] وربما يكلف عيسى مهمة القضاء على الديانة المسيحية المنحرفة، وهذا المعنى يتناسب مع المضامين الواردة في الحديثين كما لا يخفى.

عصمة المهدي أو التسديد الإلهي له:

لعل مفهوم العصمة أكثر المفاهيم التي تعرضت لسوء الطرح، وما ترتب عليه من سوء فهم، وإثارات ومهاترات جدلية لا زالت قائمة حتى هذا اليوم [٤]. فقد جرى تقديم العصمة بثوب فضفاض من الغلو، والمبالغات التي أخرجتها عن حدها، وجعلتها صعبة، وربما مستعصية على الفهم بالنسبة لكثير من الناس. فالمعصوم، بحسب الطرح

---

١. صحيح البخاري/ ج٤: ١٤٣.

٢. سنن ابن ماجة/ ج٢: ١٣٦٢.

٣. إبراز الوهم المكنون: ٤٣٣.

٤. عرض الإيجي بعض تعريفات العصمة. ينظر: المواقف في علم الكلام: عبدالرحمن بن أحمد الإيجي. عالم الكتب – بيروت. د.ت: ٣٦٦.

المتداول، لا ينسى، ولا يسهو، وترتبط صورته بأمور خارقة كثيرة تكاد تضمحل معها صورته الإنسانية.

مفهوم العصمة الذي يتبناه هذا البحث لا يرى نفسه ملزماً، ولا مسؤولاً عن الطرح المتداول الذي يرفض كثيراً من مقولاته، وتفاصيله. فالعصمة، بحسب البحث، تعادل التسديد الإلهي، أي إن المعصوم رجل أخلص لله عز وجل، فقابل الله إخلاصه بالتسديد، والتوفيق. ولأنه مسدد من الله تعالى فهو لا يخرج الناس من هدى، ولا يدخلهم في باطل[*].

إذا كان العقل السني قد وجد المبررات لرفض المفهوم المتداول للعصمة، خاصة بقدر تعلق الأمر بعصمة غير الأنبياء، فبرأيي إنه غير قادر على إيجاد مبررات لرفض المفهوم الذي يحدده هذا البحث. فبقدر ما يتعارض المفهوم المتداول مع القرآن والأحاديث، بقدر ما ينسجم هذا المفهوم معهما. وهل بوسع مؤمن أن يرفض فكرة أن الله سبحانه يسدد عبده المؤمن المخلص في إيمانه، وكيف وقد ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشئ أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته) [١]. فالعبد إذا تقرب إلى الله كان الله سمعه وبصره ويده ورجله، وإن سأله أعطاه، وهذا هو التسديد الإلهي، وهذه هي العصمة. فبقدر ما يعتصم المرء، أو يمتنع بالله تعالى يعصمه، أو يمنعه الله.

وبقدر تعلق الأمر بالمهدي، ورد الكثير مما يمكن أن يستدل منه على عصمته، بالمفهوم الذي ذكرناه، بل إن القول بعصمته، بحيث لا يُدخل الناس في باطل، ولا يخرجهم من حق، يُفترض أن يكون أمراً مفروغاً منه، إذ كيف يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، إذا كان يمكن أن يضل ويبتعد عن الحق، دون أن يعيده الله، ويسدده؟ يقول محمد أحمد المبيض:

(*) هذا المفهوم تقدمه كلمات أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وطرحه بقوة السيد أحمد الحسن، في بعض كتبه. للمزيد حول هذا المفهوم ينظر: بحث في العصمة: عبدالرزاق الديراوي. إصدارات أنصار الإمام المهدي – العدد: ١١٣. ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م: ٩ وما بعدها. متاح على: http://almahdyoon.org/arabic/documents/books-Ansar/٣esma.pdf

١. صحيح البخاري/ ج٧: ١٩٠.

(أهم صفة صرحت فيها الأحاديث في مرحلة المهدي أنه يملأ الأرض عدلاً؛ أي أن أهم إنجازاته هو تحقيق العدل في الأرض، وهذه الخاصية كما بينت الآية (*) هي المقصد الأول لبعثة الرسل وإنزال الكتب السماوية؛ لذا لا غرابة من تأكيد الأحاديث على هذا المقصد بالذات، وكذلك الآية الثانية (*) تشير إلى ضرورة الإقتداء بأئمة الهدى من قبلنا من أنبياء ورسل، والمهدي الذي أخذ وصف الهداية حتى أصبح يُعرف به على وجه العَلَمية (*) هو الأولى بالاقتداء في هديهم في إقرار العدل في الأرض) [١].

المبيض يخفف كثيراً من النتيجة التي يمكن أن تدل عليها مقدماته، وكان يمكنه أن يستنتج ما استنتجه ابن تومرت في دليله الذي صاغه عبدالمجيد النجار بالصورة الآتية: (الإمام مهمته أن يقاوم الباطل والظلم وينشر الحق والعدل، والباطل والظلم لا يرتفعان إلا بالحق والعدل، ولذلك وجب أن يكون الإمام معصوماً من الباطل والظلم حتى ينشر الحق والعدل) [٢]. وعلى أية حال يعتقد السنيون بعصمة الأنبياء والرسل، وليس من شك في أن اعتقادهم هذا مبني على شعورهم بأن وظيفة الأنبياء والرسل المشار إليها في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ تستلزم عصمتهم لأن زللاً صغيراً قد ينجم عنه انحراف كبير، ولو بعد حين. وطالما تعلقت العصمة بالوظيفة المناطة بحجة الله، أو خليفته فمن الممكن ان تعمم على غير الأنبياء والمرسلين، لتشمل كل من تناط به مهمة، وليس من شك في أن مهمة المهدي لا تقل عن مهمة كثير من الأنبياء والرسل، إن لم تفُقها.

ويستشهد محمد أحمد المبيض بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [٣]، ثم يعلق قائلاً: (هذه الآية الكريمة تشير إلى سنة ربانية، ونتيجة حتمية مبنية على مقدمة، وهي أن

(*) يقصد قوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} الحديد: من الآية ٢٥.

(*) يقصد قوله تعالى: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} الأنعام: من الآية ٩٠.

(*) قال ابن الأثير: (المهدي: الذي قد هداه الله إلى الحق. وقد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة. وبه سمي المهدي الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يجيء في آخر الزمان). النهاية في غريب الحديث: المبارك بن محمد ابن الأثير. ت: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي. ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م. ج٥: ٢٥٤.

١. الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ٦٥٠ – ٦٥١.

٢. المهدي بن تومرت: د. عبدالمجيد النجار. دار الغرب الإسلامي. ط١ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م: ٢٥٢.

٣. الأعراف: من الآية ٩٦.

الإيمان والتقوى لا محالة يترتب عليه عموم البركة والرخاء في الأرض، وهذا يفسر لنا سبب الرخاء الذي يكون في عهد المهدي بعد إحقاق العدل، والعدل المراد هنا ليست صفة خلقية بل هو مقصد عام يرادف معنى تطبيق الشريعة بكل تفاصيلها؛ لأن الشريعة كلها عدل، وكل قصور في تطبيق جانب منها نوع من الجور يقع فيه أهل الأرض) [(١)].

أقول: مما يدل على أن المهدي يطبق الشريعة بكل تفاصيلها ما ورد في الحديث من أن الإسلام، في عهده، يلقي بجرانه، كناية على الاستقرار بعد طول مسير وعناء. والجِران مقدم عنق الناقة [(٢)]، وألقت الناقة بجرانها: إذا بركت ومدت باطن عنقها على الأرض طلباً للراحة بعد التعب. ورد عن أم سلمة، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: (يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ... فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقى الاسلام بجرانه في الأرض فيلبث سبع سنين، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون) [(٣)].

وطالما قال النبي (صلى الله عليه وآله) بأن المهدي "يعمل في الناس بسنة نبيهم"، فلابد أن يكون المقصود أنه يعمل بالسنة الحقيقية.

إن مما يدل على اعتصام، أو استعاذة المهدي بالله عز وجل، وعصمته تعالى له ما رواه مسلم في صحيحه: (عن عبيد الله بن القبطية قال دخل الحارث بن أبي ربيعة و عبد الله بن صفوان وانا معهما على أم سلمة أم المؤمنين فسألاها عن الجيش الذي يخسف به وكان ذلك في أيام ابن الزبير فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم فقلت يا رسول الله فكيف بمن كان كارها قال يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته) [(٤)].

هذا الحديث يُذكّرنا بحديث البخاري المتقدم، فهناك ذُكر أن من أحبه الله يعطيه إذا سأله، ويعيذه إذا ما استعاذ به، وحديث مسلم يثبت تحقق هذا الأمر عملياً، ويثبت، بالتالي، القضية النظرية، أي كون المهدي معصوماً.

---

١. الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ٦٥١.

٢. لسان العرب/ ج١٣: ٨٦.

٣. سنن أبي داود/ ج٢: ٣١٠ – ٣١١.

٤. صحيح مسلم/ ج٨: ١٦٦- ١٦٧.

روى ابن حبان، عن عبد الله، قال: (قال النبي صلى الله عليه وسلم: يخرج رجل من أمتي يواطئ اسمه اسمي وخلقه خلقي فيملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا) [١].

وأخرج أبو داود، عن أبي إسحاق، قال: (قال علي رضي الله عنه، ونظر إلى ابنه الحسن، فقال: "إن ابني هذا سيد كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخلق، ولا يشبهه في الخلق. ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلاً) [٢].

يستفاد من هذين الحديثين أن أخلاق المهدي تواطئ، أو تشبه أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأخلاقه (صلى الله عليه وآله)، كما وصفها الله في كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣].

عن سعد بن هشام بن عامر، قال: (أتيت عائشة فقلت يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن اما تقرأ القرآن قول الله عز وجل وإنك لعلى خلق عظيم) [٤]. وحيث إن أخلاقه تشبه أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهو يسير على منهاجه، أي لا يدخل الناس في باطل ولا يخرجهم من حق، وهذه، كما سلف القول، هي العصمة، أو التسديد الإلهي.

عن النعمان بن بشير، قال: (كنا قعوداً في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بشير لا يكف حديثه فجاء أبو ثعلبة الخشني فقال يا بشير بن سعد أتحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الامراء فقال حذيفة أنا أحفظ خطبته فجلس أبو ثعلبة فقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء ان يكون ثم

---

١. صحيح ابن حبان/ ج١٥: ٢٣٨.
٢. سنن أبي داود/ ج٢: ٣١١.
٣. القلم: ٤.
٤. مسند أحمد/ ج٦: ٩١.

يرفعها إذا شاء ان يرفعها ثم تكون ملكا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء ان يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت [*]) [١].

ومعلوم أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يُسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي [٢]، وهذا المنهاج سيتحقق مع المهدي من خلال التسديد الإلهي.

ومما يدل على عصمة المهدي، ما ورد عن أبي معبد، عن ابن عباس، قال: (لا يمضي الأيام والليالي حتى يلي منا أهل البيت فتى لم تلبسه الفتن، ولم يلبسها. قال: قلنا: يا ابن عباس يعجز عنها مشيختكم وينالها شبانكم؟ قال: هو أمر الله يؤتيه من يشاء. زاد الداني والبيهقي: كما فتح الله هذا الأمر بنا فأرجو أن يختمه الله بنا) [٣].

(*) ذهب البعض إلى أن هناك خلافة تسبق المهدي، يكون مقرها بيت المقدس، واستدل لذلك ببعض الأحاديث، من قبيل ما روي عن أم سلمة: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هارب إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ..الخ). وصورة استدلالهم: إن الذي يبايعونه بعد موت الخليفة هو المهدي، وعليه يكون المهدي مسبوقاً بخلافة، وبما روي عن عبد الله بن حوالة الأزدي قال: (بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لنغنم على أقدامنا فرجعنا فلم نغنم شيئا وعرف الجهد في وجوهنا فقام فينا فقال: اللهم! لا تكلهم إلي فأضعف عنهم، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم، ثم قال: ليفتحن الشام والروم وفارس أو: الروم وفارس حتى يكون لأحدكم من الإبل كذا وكذا، ومن البقر كذا وكذا، وحتى يعطى أحدكم مائة دينار فيتسخطها، ثم وضع يده على رأسي أو: على هامتي ثم قال: يا ابن حوالة! إذا رأيت الخلافة نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من هذه إلى رأسك)، وبما روي عن محمد بن الحنفية، قال: (ينزل خليفة من بني هاشم بيت المقدس، فيملأ الأرض عدلاً، يبني بيت المقدس بناء لم ين مثله، يملك أربعين سنة، تكون هدنة الروم على يديه، في تسع سنين بقين من خلافته). ينظر: المسيح المنتظر ونهاية العالم: عبدالوهاب عبدالسلام طويلة. دار السلام. القاهرة/ مصر. ط٤ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م: ٥٦ – ٥٧. وهناك من استدل بأحاديث أخرى بعيدة. ينظر: فقه أشراط الساعة: ٣٤٥ وما بعدها. والمهدي مسبوق بدولة إسلامية: ٤١ وما بعدها.

هذه الروايات لا تدل على ما يزعمون فلعل المراد من الخلافة التي تنزل بيت المقدس خلافة المهدي نفسه، ولعل المهدي هو المراد كذلك من الرواية الواردة عن ابن الحنفية، أما لفظ الخليفة الوارد في الرواية الأولى، فلعل المقصود منه ما قاله محمد أحمد المبيض من إن (هناك ملك في ذلك الزمان يقوم على التوارث واستخلاف الملوك بعضهم لبعض، وليس المراد بهذه الكلمة خليفة المسلمين جميعاً) الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ٦٢١. ولو كان ثمة خلافة راشدة على منهاج النبوة لكان الخلفاء فيها من الاثني عشر الذي أشار لهم النبي (صلى الله عليه وآله) في الحديث المعروف.

١. مسند أحمد/ ج٤: ٢٧٣.

٢. ينظر: الإحكام في أصول الأحكام: علي بن حزم الأندلسي الظاهري. إشراف: أحمد شاكر. مطبعة العاصمة – القاهرة. ١٣٤٥هـ ج٦: ٧٩١.

٣. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ٣٤٧. وعلق عليه ص٢٤٩: (النتيجة: هذا إسناد صحيح. موقوف على ابن عباس. وأورد الفقرة الثانية منه ابن كثير في البداية والنهاية وقال: هذا إسناد جيد. وتصريحه هنا "منا أهل البيت" واضح في أنه لا يقصد أن المهدي يكون من بني العباس).

قوله: "لم تلبسه الفتن، ولم يلبسها"، أي لم تخالطه، ولم يخالطها، والفتنة تعني الضلال، كما في قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١] فالمهدي لا يخالط الضلال، ولا يخالطه الضلال، أي إنه لا يخرج الناس من هدى ولا يدخلهم في ضلال، وإنما يَصلُح أمرهم على يديه، كما ورد في العرف الوردي. قال السيوطي: (أخرج نعيم بن حماد بسند صحيح على شرط مسلم عن علي، قال: الفتن أربع، فتنة السراء، وفتنة الضراء، وفتنة كذا – فذكر معدن الذهب – ثم يخرج رجل من عترة النبي يُصلح الله على يديه أمرهم) [٢]. بل إن المهدي سيضربهم حتى يرجعوا إلى الحق. أخرج أبو يعلى بسنده عن بشير بن نهيك، قال: (سمعت أبا هريرة يقول: حدثني خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم قال: لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من أهل بيتي فيضربهم حتى يرجعوا إلى الحق. قال: وقلت: وكم يكون ؟ قال: خمس واثنتين. قال: قلت: ما خمس واثنتين؟ قال: لا أدري) [٣].

لا عجب في أن المهدي سيضربهم ليرجعهم إلى الحق، فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بشأن المهدي، قوله: (هو رجلٌ من عترتي، يقاتلُ على سنتي كما قاتلتُ أنا على الوحي) [٤]. والحديث يُشعر بأن المهدي يعلم علم اليقين أن ما يعرفه هو السنة الحقيقية، ومثل هذا اليقين لا ينتج عن الاجتهاد بالتأكيد، فالاجتهاد لا ينتج يقيناً، وقطعاً، وإنما ظن فقط. والمهدي، بعد كل شيء، من الخلفاء الراشدين المهديين، ولا معنى لكونهم راشدين، مهديين سوى أنهم لا يخطئون الحق، ولا يقعون في الضلال. قال ابن رجب: (قوله صلى الله عليه وسلم: "من يعيش منكم بعدي، فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ". هذا إخبار منه صلى الله عليه وسلم بما وقع في أمته بعده من كثرة الإختلاف في أصول الدين

---

١. القلم: ٥ – ٧.

٢. العرف الوردي: ٨٦.

٣. مسند أبي يعلى الموصلي/ ج١٢: ١٩. قال الهيثمي: (رواه أبو يعلى وفيه المرجى بن رجاء وثقه أبو زرعة وضعفه ابن معين، وبقية رجاله ثقات). مجمع الزوائد/ ج٧: ٣١٥.

٤. عقد الدرر في أخبار المنتظر: ١٦ – ١٧. قال عنه عبدالله بن الصديق الغماري في كتابه "المهدي المنتظر" ص٢٨: "حديث جيد".

وفروعه، وفي الأقوال والأعمال والاعتقادات ... وكذلك في هذا الحديث أمر عند الافتراق والاختلاف بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده) [(١)].

إن قوة الأحاديث الدالة على عصمة المهدي دفعت ببعض العلماء السنيين إلى الإقرار بها، وإن بشكل مخفف، وأحياناً مع شيء من التلاعب في مدلولات الألفاظ. قال البرزنجي: (ما يحكم المهدي إلا بما يلقي إليه الملَك من عند الله الذي بعثه الله إليه يسدِّده وذلك هو الشرع الحنيفي المحمدي الذي لو كان محمد حياً ورُفعت إليه تلك النازلة لم يحكم فيها إلا بحكم هذا الإمام ... ولذا قال صلى الله عليه وسلم في صفته يقفو أثَري لا يخطئ فعرفنا أنه مُتَّبِع لا مُشرِّع وأنه معصوم ولا معنى للمعصوم في الحكم إلا أنه معصوم من الخطأ فإنَّ حكم الرسول لا يُنسب إليه خطأ فإنه لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحي يوحى. أي فمعنى عصمته أنه معصوم في حكمه، وأما باقي حالاته فمحفوظ لا معصوم، إذ لا عصمة إلا للأنبياء، وهو ليس بنبي) [(٢)].

لا يُعلم بالضبط ما الذي يعنيه البرزنجي من كلمة "محفوظ". فإن كان يعني – كما يظهر – أن الله يحفظه من الزلل، ومن كيد الشيطان، فهذه هي العصمة، ولكن العقيدة السنية التي ترفض نسبة العصمة لغير الأنبياء – كما ذكر هو في كلمته - تمنع البرزنجي من تسمية الأشياء بأسمائها الحقيقية، وإلا طالما كانت الملائكة تسدد المهدي [(*)] فكيف لا يكون معصوماً ؟

وقال ابن عربي: (المهدي حجة الله على أهل زمانه وهي درجة الأنبياء التي تقع فيها المشاركة قال الله تعالى: "أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"، أخبر بذلك عن نبيه

---

١. جامع العلوم والحكم: عبدالرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب. ت: د. ماهر ياسين الفحل. دار ابن كثير – دمشق – بيروت. ط١ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م: ٩٠ – ٩١.

٢. الإشاعة لأشراط الساعة: ١١٠.

(*) لا يستغربن أحد مسألة تسديد الملائكة، فقد ورد عن عبد الله بن مسعود، قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما منكم من أحد الا ومعه قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك قال نعم وإياي ولكن الله عانني عليه فأسلم قال أبو محمد من الناس من يقول أسلم استسلم يقول ذل)) سنن الدارمي: عبدالله بن الرحمن الدارمي. طبع بعناية محمد أحمد دهمان. دار إحياء السنة النبوية – دمشق. ١٣٤٩هـ ج٢: ٣٠٦. وفي صحيح مسلم/ ج٨: ١٣٩، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي الا ان الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بخير). وأخرج مسلم في صحيحه/ ج٨: ٩٥ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قوله: (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان لو تدومون على ما تكونون عندي وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم).

(ص) فالمهدي ممن اتبعه وهو (ص) لا يخطئ في دعائه إلى الله فمتبعه لا يخطئ فإنه يقفو أثره وكذا ورد الخبر في صفة المهدي أنه قال (ص) يقفو أثري لا يخطئ وهذه هي العصمة في الدعاء إلى الله) [١].

كلام البرزنجي، وابن عربي لا يمكن اعتباره الرأي الرسمي للمذهب السني، فالأقرب للرأي السني هو قول ابن حجر، والملا علي بن سلطان القارئ، بأن المهدي مجتهد [٢]، ومعنى إنه مجتهد هو أنه قد يخطئ وقد يصيب، وهذا كما يرى المنصفون خلاف ما تنطق به النصوص الروائية.

ولعل رأيهم يستبين أكثر من موقفهم مع الحديث الآتي الوارد عن علي، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة) [٣].

يمكن اعتبار هذا الحديث العكازة التي توكأ عليها السنيون في نفي العصمة عن المهدي، على الرغم من كونه حديثاً متشابهاً، وعلى الرغم من كثرة الأحاديث، والآثار، والكلمات التي تدل على رفعة المهدي، وتفرده، وعلو شأنه.

المعنى الأشهر لهذا الحديث لديهم هو ما قرره ابن كثير، بقوله: (معنى قوله "يصلحه الله": أي يتوب عليه، ويوفقه، ويلهمه رشده، بعد أن لم يكن كذلك) [٤]. أي إن المهدي – كما يقول التويجري–: (يكون متلبساً ببعض النقائص [*]، فيصلحه الله، ويتوب عليه) [٥].

كلام التويجري الآنف جزء من جواب على فهم ابن محمود القطري لحديث "يصلحه الله"، ذكره في رسالته "لا مهدي ينتظر بعد الرسول محمد خير البشر"، قال فيه: (رأيت من ينتقد هذا الحديث قائلا: والعجيب أن يكون المهدي بعيدًا عن التوفيق والفهم

١. الفتوحات المكية: ابن عربي. دار صادر – بيروت. د.ت. ج٣: ٣٣٢.

٢. ينظر: رسالة الجواب المقنع المحرر: ٦٦. والمهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ١٣٢.

٣. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ١٤٧. وقال عنه ص١٥٧: "إسناده حسن". وأشار ابن القيم إلى أحد رواة الحديث، وهو ياسين، بقوله: (وياسين، وإن كان ضعيفاً فحديثه يصلح للاعتضاد، ولم يصلح للاعتماد). المنار المنيف: ١٤٤.

٤. المهدي للمقدم : ٤٠.

(*) لنتذكر أن ابن عباس قال ما يخالف قول التويجري: (لا يمضي الأيام والليالي حتى يلي منا أهل البيت فتى لم تلبسه الفتن، ولم يلبسها)، وكلام ابن عباس هذا له حكم الرفع، إذ لا مجال للاجتهاد في القضايا المتعلقة بالغيب.

٥. الاحتجاج بالأثر: ٢٦٣.

والرشد، ثم يهبط عليه الصلاح في ليلة ليكون في صبيحتها داعية هداية، ومنقذ أمة ... ومن الأمر العجيب في هذا الحديث كون المهدي بعيدًا عن الهداية والتوفيق والرشد، ثم يهبط عليه الصلاح في ليلة فيكون في صبيحتها هاديًا مهديًا، ومنقذ أمة من جورها وفجورها) [(١)]. وقد أشار التويجري إلى أن المُنتقِد الذي أشار إليه ابن محمود بقوله "رأيت من ينتقد" هو أبو عبية، وذكر أنه أجاب عليه في كتابه "إتحاف الجماعة"، ونص جوابه هو الآتي: (والجواب أن يقال: من علم أن الله على كل شيء قدير، وأن الخير كله في يديه، وأنه إذا أراد بعبد خيرًا؛ هيأه لذلك متى أراد؛ لم يكن عنده شك وارتياب فيما جاء في هذا الحديث، وأما استبعاد ذلك والتعجب من وقوعه؛ فإنما هو ناشئ عن التردد في كمال قدرة الرب تبارك وتعالى ونفوذ مشيئته وإرادته) [(٢)].

الملاحظ على كلام ابن محمود، وأبي عبية أنه يتفق تمام الاتفاق مع ما قاله ابن كثير، وهو نفسه كلام التويجري الذي قال فيه إن المهدي يكون متلبساً ببعض النقائص. الفرق الوحيد بينهما وبين التويجري أن ابن محمود، وأبا عبية يعتقدان أن رجلاً متلبساً بالنقائص لا يمكن، بحسب المنطق البشري، أن يكون مصلحاً ومنقذ أمة في ليلة، أما التويجري فيرى، في رده على كلامهما، أن هذا ممكن لأن الله قادر على كل شيء. والحق إن جواب التويجري ينطوي على مغالطة، فالأولان لا يشككان بقدرة الله تعالى على تحقيق التغيير في ليلة، وإنما بإمكانية حصول ذلك بحسب منطق المعتاد البشري. أي إنهما يتعاطيان مع الأمر بمنطق الطبيعي والمعتاد، بينما يتعاطى معه التويجري بمنطق المعجز، أو غير المعتاد.

الذي اضطر التويجري إلى التعامل مع المسألة على هذا المستوى هو عدم عثوره على جوابٍ لها على المستوى الذي طرحها به أبو عبية، وابن محمود. وبمعنى آخر أظهر الرجلان تناقض العقل السني، أو عجزه، عن مواجهة النصوص بمنطق بعيد عن المغالطات. فالعقل السني، الذي تمثل مقولة عدم عصمة الإمام، أو الخليفة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) واحدة من أهم مقولاته، عاجز عن تقديم تفسير معقول يجمع بين واقع النقص الذي يعيشه الخليفة المفترض، وبين طبيعة المهمة الإصلاحية الكبرى المناطة به، إلا إذا لجأ إلى تعليق الأمر على التدخل الإلهي غير المنضبط بقانون، أو سنة إلهية.

---

١. نفسه: ٢٦٣.

٢. إتحاف الجماعة/ ج٢: ٩.

الحق، إن ثمة تدبيراً إلهياً، ولكن ليس بالطريقة التي يفترضها التويجري، وإنما عبر اختيار المؤهل، أو الأصلح، والأكثر كمالاً للإمامة، أو لخلافة الله، وعلى هذا لا يكون معنى "يصلحه الله في ليلة" متعلقاً بسد نقص مفترض في شخصية الإمام المتأهل.

هناك كلمات أخرى للعلماء السنيين تدور غالباً حول المعنى الذي ذكره ابن كثير، أو يمكن، في الأقل، أن تفسر به، وأحياناً تقترب من معنى العصمة، وقد تختار تعبيرات أخرى، وقد ذكر الأمرين محمد أحمد المبيض، بقوله: (الأول: إن الإصلاح يراد به عصمة المهدي من بعض الذنوب، أو الصغائر التي لا تتناسب ومقام الإمامة العظمى التي سيقوم بأمرها، وقد ورد في بعض الآثار أن المهدي يتوب من ذنب، وصيغة النكرة للذنب فيها معنى الستر وفيها إشارة إلى أن هذا الذنب ليس من الكبائر؛ لذا نُكر تقليلاً له. الثاني: الإصلاح يراد به تهيئة المهدي رضي الله عنه للقيام بأعباء قيادة أمة والإمامة العظمى، فالإنسان قد يكون صالحاً في نفسه، لكنه لا يكون كفوأً لإصلاح أمة أو قيادتها ... لذا المراد بالإصلاح هنا تأهيل المهدي بكل مؤهلات القيادة التي تتناسب ومقام الإمامة العظمى للأمة ... ومحصلة ما ذكرت أن صلاح المهدي لا يعني بالضرورة كونه قبل تلك الليلة صاحب معاصي، بل يراد به تأهيله بمؤهلات الإمامة العظمى، فالإصلاح هنا يراد به التزكية والترقية في الصفات، لا رفع المعاصي وتنحيتها، وهو من باب قول الله تعالى لموسى "واصطنعتك لنفسي". وفي ظني أن الأمر الثاني هو الراجح في حق المهدي، ويعززه قول الإمام علي عن المهدي أنه يشبه النبي في الخُلق، وفي رواية أنه لم تلبسه فتنة مما يؤكد أن المراد بالإصلاح هو التأهيل والتهيئة لقيادة الأمة، وذلك بتبصيره بمواطن الخلل في الأمة وطرق العلاج والمنهج الحكيم للخروج من الفتن التي عصفت بها ووسائل تجديد معاني الإيمان فيها، والقدرة على تأليف القلوب، والاستبصار بمعالم الرسالة كاملة لكي يعززها في أتباعه .. الخ) [(١)].

الأمر الثاني الذي ذكره المبيض سيكون غامضاً للغاية إذا ما تصورنا أن كل هذه الأمور التي ذكرها تحدث في ليلة واحدة، إذ لا شيء في كلامه يمكن أن يسعفنا في تصور كيفية حصول كل هذا. ولكن لو تصورنا الأمر على أن هناك تسديداً إلهياً، وإلقاءً ملائكياً يعصم الله من خلاله المهدي، يمكن أن نصل إلى أجوبة تطمئن لها النفوس.

١. الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ٥٩٩ وما بعدها.

هناك رأي فيه الكثير من الغرابة، فسر به الملا علي القاري الحديث، هو قوله: (أي يصلح أمره ويرفع قدره في ليلة واحدة، أو في ساعة واحدة من الليل، حيث يتفق على خلافته أهل الحل والعقد فيها) [١].

الحديث لم يذكر شيئاً أبداً عن اتفاق أهل الحل والعقد المزعوم، لكن يبدو أن القاري كان يفكر في الكيفية التي يتعرف بها الناس على المهدي، ويبايعونه، فرأى أن يروج للفكرة السنية عن اختيار أهل الحل والعقد. ولا أدري، إن كانت القضية متعلقة باختيار أهل الحل والعقد، لماذا لا يبادرون إلى الاتفاق على واحد، ليتحقق على يديه ما يطمح له كل مسلم؟ ولا تقف الغرابة عند هذا الحد، وإنما تتعدى إلى تصور حقيقة وكيفية إصلاح أمر المهدي، ورفع قدره، في ليلة، أو ساعة واحدة من الليل !؟

١. نهاية العالم: ١٨٩.

الفصل الثالث

تشخيص المهدي في التصور السني

الإرباك الذي تمثله شخصية المهدي المنتظر للعقل السني، باعتبارها شخصية متفلتة عن الأطر، والسياقات التي تنتظم العقيدة، والعقل السني – وهذ ما يجعلها خاصرة رخوة، أو حلقة مطواعة قابلة للتشكل، أو السحب لهذه الجهة، أو تلك – وكذلك ما تتمتع به من تفرد مغرٍ، كل ذلك فتح الباب على مصراعيه أمام ظاهرة الادعاء، والانتحال.

بدوره، كشفَ الانتشار الملفت لظاهرة ادعاء المهدوية في الوسط السني عن الثغرات الكبيرة، في نسيج المنظومة العقدية السنية، التي تسلل منها المدعون الضالون، وأظهر الفقر الواضح في رصيد الأجوبة التي يمكن أن يواجه بها السنيّون التحديات الفكرية، والعقدية التي نجمت عنها. الأمر الذي كان له الأثر الكبير في طرح المسائل المتعلقة بشخصية المهدي، وكيفية التعرف عليه، على بساط البحث، وتحريك الهمم لإعادة تشكيل، أو صياغة العقيدة السنية المتعلقة بالمهدي المنتظر، بما يحد من هذه الظاهرة، حتى لو كان ذلك على حساب الحقائق التي تصدع بها النصوص. بدوره، أذكى هاجس الصراع المذهبي مع الشيعة فكرة تفضيل الخيارات المغايرة، التي تشكل نقاط افتراق مع الشيعة، حتى لو لم يسعفها الدليل على ذلك.

كل هذا الذي ذُكر سنجد تفاصيله في هذا الفصل الذي سنعالج فيه مسائل من قبيل:

١- اسم المهدي.
٢- هل المهدي حسني، أم حسيني؟
٣- هل يعرف المهدي نفسه، وهل يعرفه الناس؟
٤- كيف يمكن أن نعرف المهدي؟
٥- طريقة معرفة المهدي بصورة قطعية.

اسم المهدي:

الروايات السنية التي تذكر اسم المهدي تردده بين صيغتين؛ الأولى: "محمد بن عبدالله"، والثانية: "أحمد بن عبدالله"، حتى لقد عدَّ محمد رشيد رضا هذا الأمر من

موارد التعارض بين روايات المهدي [١]، وعدّه الشيخ محمود أبو رية من مشكلات الرواية، بقوله: (مما يبدو من مشكلات الرواية تلك الأحاديث المختلفة التي جاءت في كتب السنة المشهورة عند الجمهور عن "المهدي المنتظر" والتي تذكر أنه يخرج في آخر الزمان ليملأ الدنيا عدلا - كما ملئت جوراً، وهو عند أهل السنة " محمد بن عبد الله " وفي رواية أحمد بن عبد الله) [٢]. علماً إن الروايات، التي يشير إليها الشيخ أبو رية، ضعيفة بحسب البناءات الرجالية السنية، وبالنتيجة لا يمكن التعويل عليها. من هذه الروايات ما أورده السيوطي عن تهذيب الآثار، وفيه: (ووليكم الجابر خير أمة محمد الحقوه بمكة فإنه المهدي واسمه محمد بن عبدالله ..الخ) [٣]. وهذه الرواية نفسها أوردها السيوطي في موضع آخر من كتابه، وفيها (فالحقوا به بمكة فإنه المهدي واسمه أحمد بن عبدالله) [٤].

ومنها ما أخرجه في العرف الوردي: (عن علي رضي الله عنه، قال: ليخرجن رجل من ولدي عند اقتراب الساعة، حتى تموت قلوب المؤمنين كما تموت الأبدان، لما لحقهم من الضرر والشدة والجوع والقتل وتواتر الفتن والملاحم العظام وإماتة السنن وإحياء البدع وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيحيي الله بالمهدي محمد بن عبد الله السنن التي قد أميتت، وتسر بعدله وبركته قلوب المؤمنين، وتتألف إليه عصب العجم وقبائل من العرب، فيبقى على ذلك سنين ليست بالكثيرة، دون العشرة ثم يموت) [٥].

الترديد في اسم المهدي ذكره كثير من الكتاب السنيين [٦]، ومع ذلك نجد الغالبية العظمى من كتاب وعلماء، وعامة أبناء السنة يميلون إلى صيغة "محمد بن عبدالله" دون مسوّغ حقيقي. هذا ما يفعله، على سبيل المثال، محمد إسماعيل المقدم [٧]، والشلبنجي [٨].

---

١. ينظر: المهدي المنتظر في الأحاديث والآثار الصحيحة: ٣٧٩.

٢. أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية. دار المعارف – القاهرة. ط٦ : ٢٠٥.

٣. الحاوي للفتاوي/ ج٢: ٦٦.

٤. نفسه/ ج٢: ٨٢. وعقد الدرر: ١٠١.

٥. العرف الوردي: ١٤٨ – ١٤٩. وقد علق المحقق في الهامش قائلاً: (الأثر في المطبوع لم ينسب إلى قائل, وقد نسبه الشيخ أحمد الغماري في (الإبراز) لعلي رضي الله عنه).

٦. ينظر على سبيل المثال: ابن حجر في: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر: ٢٧. وقال: "ولا تنافي لإمكان أنه مسمى بكليهما". والقنوجي في الإذاعة: ٢١٩. والسفاريني في لوامع الأنوار البهية/ ج٢: ٧١. وابراهيم المشوخي في المهدي المنتظر: ٩١. وعبدالوهاب عبدالسلام طويلة في المسيح المنتظر ونهاية العالم: ٥٧. ومحمد أحمد المبيض في الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ٦٠١.

٧. ينظر: المهدي: ٣٢.

٨. ينظر: نفسه: ٨٩.

وقد مرّ بنا في موضع سابق من هذا البحث قول السفاريني الآتي: "منها الإمام الخاتم الفصيح *** محمد المهدي والمسيح".

نقل التويجري عن الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع قوله بضعف الأحاديث التي يُذكر فيها اسم المهدي، وتصريحه بعدم ثبوت لفظ "محمد بن عبدالله"، وإن الثابت هو إن اسم المهدي هو اسم النبي، واسم أبيه اسم أبي النبي، هكذا على الإجمال، فلا يجب أن يُسمى "محمد بن عبدالله"، وإنما ذلك جائز فقط [(١)].

يشير المانع في كلامه أعلاه إلى الحديث المروي عن عبد الله، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (يلي أمر هذه الأمة في آخر زمانها رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي) [(٢)]. وعن عبد الله، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي) [(٣)].

عبارة "يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي" تحتمل الصيغتين معاً؛ أحمد، ومحمد، وكل ما صح أنه اسم لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، واسم لأبيه. فالمواطأة تعني المشابهة القريبة، لا المطابقة، قال الراغب الأصفهاني: (والمُوَاطَأَةُ: الموافقة، وأصله أن يَطَأَ الرجل برجله مَوْطِئَ صاحبه) [(٤)]. وهذا ما كان يفهمه القدماء، بدلالة الحديث الآتي: (حدثنا حمزة بن علي، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن مسعود الوزان بحلب، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي، حدثنا أبو علي الحنفي، حدثنا محمد بن عياش بن عمرو العامري، حدثنا عاصم، عن زر، عن عبد الله، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: لن تذهب الدنيا حتى يملك الدنيا رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي. قلت: يا أبا عبد الرحمن، ما يواطئ؟ قال: يشبه) [(٥)].

---

١. ينظر: الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر: ٢٩٩ – ٣٠٠.

٢. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ٢٥٨. وقال عنه في ص٢٦١: "النتيجة: إسناده حسن".

٣. نفسه: ٢٦٢. وقال عنه في ص٢٦٨: "النتيجة: الحديث صحيح لغيره".

٤. مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الراغب الأصفهاني. ت: صفوان عدنان داوودي. منشورات طليعة النور – قم. ط٢ ١٤٢٧: ٨٧٥.

٥. السنن الواردة في الفتن: ١٠٥٠ – ١٠٥١. وعقد الدرر: ٦٣. وعلق عليه بقوله: (قال بعض العلماء الأماثل: إن معنى قوله يواطئ يشبه ويماثل). وهذا ما فهمه كثيرون، منهم محمد أحمد المبيض في الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ٦٠١.

على هذا يكون المطلوب اسماً يحقق المواطأة، أو التشابه مع اسم النبي، واسم أبيه. فاسمٌ مثل أحمد بن اسماعيل [*] تتحقق فيه المواطأة باعتبار أن اسم النبي أحمد، واسم أبيه إسماعيل، فالأب أب وإن علا. ورد عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوّذ الحسن والحسين، ويقول إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل واسحق، أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة)[١].

في هذا الحديث يطلق النبي (صلى الله عليه وآله) على نبي الله إبراهيم اسم الأب بالنسبة للحسن والحسين صلوات الله عليهما. وما يصح على إبراهيم، وهو أبعد، يصح على إسماعيل، وهو أقرب.

هل المهدي حسني، أم حسيني؟

يصر السنيّون على أن المهدي من ذرية الحسن بن علي (عليهما السلام)، لا من ذرية الحسين (عليه السلام)، كما يذهب إليه الشيعة، ويعتمدون في هذا الصدد على حديث يرويه أبو داود. قال أبو داود: (حُدثت عن هارون بن المغيرة، قال: ثنا عمرو بن أبي قيس، عن شعيب بن خالد، عن أبي إسحاق، قال: قال علي رضي الله عنه ونظر إلى ابنه الحسن فقال: إن ابني هذا سيد كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق، ثم ذكر قصة: يملأ الأرض عدلاً)[٢].

أغلب الظن إن السنيّين يتمسكون بهذا الحديث نكاية بالشيعة، الذين يعتقدون بأن المهدي من ذرية الحسين بن علي (عليهما السلام)، فالكثير من علمائهم انتقدوا هذا الحديث، وبيّنوا عدم إمكانية الاعتماد عليه. فقد ضعفه المنذري، بقوله: (هذا منقطع. أبو إسحاق السبيعي رأى علياً رضي الله عنه رؤية. وقال فيه أبو داود: حُدِّثت عن هارون

(*) اخترت هذا الاسم لأنه اسم المهدي (أحمد بن إسماعيل الحسن) الذي يباشر دعوته منذ سنوات في العراق.

١. صحيح البخاري/ ج٤: ١١٩.

٢. سنن أبي داود/ ج٢: ٣١١.

بن المغيرة) [١]. وضعف التويجري إسناده، ثم نقل عن المنذري قوله المتقدم [٢]. وقال عبدالله بن الصديق الغماري بعد إيراده الحديث: (هذا إسناد صحيح غير أن فيه انقطاعا بين ابي داود وهارون بن المغيرة) [٣]. وغير كونه ضعيفاً، فالحديث مختلف في نقله، فقد نقله الجزري الشافعي عن سنن أبي داود وفيه: (ونظر إلى ابنه الحسين..الخ) [٤]. والحديث، كذلك، معارض بأحاديث أخرى، منها ما رواه أبو نعيم بسنده عن حذيفة، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لبعث الله رجلاً اسمه اسمي، وخلقه خلقي، يُكنى أبا [*] عبدالله، يبايع بين الركن والمقام، يرد الله به الدين، ويفتح له فتوحاً، فلا يبقى على ظهر الأرض إلا من يقول لا إله إلا الله، فقام سلمان، فقال: يا رسول الله من أي ولدك هو ؟ قال: من ولد ابني هذا، وضرب بيده على الحسين)[٥].

ومنها ما رواه البرزنجي، وفيه: (... فعند ذلك ينادي مناد من السماء أيها الناس إن الله قد قطع عنكم الجبارين ... إلى قوله: ويلحقه هناك ابن عمه الحسني في اثني عشر ألفاً، فيقول له: يا ابن عم أنا أحق بهذا الأمر منك أنا الحسن [*] وأنا المهدي فيقول له المهدي بل أنا المهدي.. الخ) [٦]، وبعد إيراد هذه الرواية نبّه بقوله: ("تنبيه" في هذا الحديث فائدة وإشكال أما الفائدة فإنها تدل على أن المهدي من أولاد الحسين، وأن ابن عمه هذا حسني، وأنه يظن أن الخلافة في بني الحسن، حيث يقول أنا ابن الحسن) [٧].

١. مختصر سنن أبي داود: الحافظ المنذري. ت: محمد حامد الفقي. دار المعرفة – بيروت/ لبنان. ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م. ج٦: ١٦٢.

٢. ينظر: الاحتجاج بالأثر/ ٢٦٥.

٣. ينظر المهدي المنتظر: ٣٢.

٤. أسمى المناقب في تهذيب أسنى المطالب: الشيخ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري الدمشقي الشافعي. ت: محمد باقر المحمودي. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م: ١٦٨.

(*) كذا ورد في المصدر، والصحيح نحوياً: أبو.

٥. الأربعون حديثاً في المهدي: أبو نعيم الأصفهاني. إخراج وتعليق: أبو يعلى البيضاوي: ١٧. رقم الحديث: ٢٠. متاح على: http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=٧٦٧٣&d=١١١١٥٥٩٥٥١.

وعنه: العرف الوردي: ٧٠. وعقد الدرر: ٨٢-٨٣ ، ٩٥.

(*) كذا، ولعل الصحيح "أنا ابن الحسن" على ما ذكر المؤلف في تنبيهه الذي سنورده في المتن.

٦. الإشاعة: ٩٦.

٧. نفسه: ٩٧.

ومنها ما ورد عن عبد الله بن عمرو، قال: (يخرج المهدي من ولد الحسين، من قبل المشرق، لو استقبلته الجبال لهدمها، واتخذ فيها طرقاً) [١].

وورد عن علي بن علي الهلالي: (يا فاطمة والذي بعثني بالحق، إن منهما – يعني: الحسنين – مهدي هذه الأمة) [٢].

اختلاف الروايات الذي صرح به جملة من العلماء السنيّين [٣]، أنتج مواقف مختلفة على مستوى النخبة، وإن بقي الأمر على مستوى العامة على ما هو عليه، فقد دفع البعض منهم إلى التخفيف من جزمه، كالدكتور محمد أحمد المبيض الذي اختار التعبير بلغة الترجيح، فقال: (المهدي رضي الله عنه رجل صالح من عترة النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذرية سبطه الحسن رضي الله عنه، في الراجح) [٤]. ومال البعض إلى محاولة الجمع، والتأويل كما فعل ابن حجر الهيتمي، الذي قال: (والحاصل أن للحسن فيه الولادة العظمى؛ لأن أحاديث كونه من ذريته أكثر، وللحسين فيه ولادة أيضاً) [٥]، والبرزنجي الذي كان أكثر حذراً من ابن حجر، حين قال: (ثم اختلفت الروايات في ولدي فاطمة، ففي بعضها أنه من أولاد الحسن، وفي بعضها أنه من أولاد الحسين، ووجه الجمع بينهما أن ولادته العظمى من الحسين، أو من الحسن، وللآخر فيه ولادة من جهة بعض أمهاته) [٦]. ومال البعض إلى الامتناع عن الخوض في المسألة، كما هو حال سعيد بن المسيب. فقد ورد في الخبر عن قتادة، قال: (قلت لسعيد بن المسيب: أحق المهدي؟ قال: نعم، هو حق. قلت: ممن هو؟ قال: من قريش. قلت: من أي قريش. قال: من بني هاشم. قلت: من أي بني هاشم؟ قال: من ولد عبد المطلب. قلت: من أي ولد عبد المطلب؟ قال: من أولاد فاطمة. قلت: من أي ولد فاطمة؟ قال: حسبك الآن) [٧].

---

١. عقد الدرر بتحقيق البوريني: ١٩٥. وعقد الدرر في أخبار المنتظر: يوسف بن يحيى المقدسي. ت: د. عبدالفتاح محمد الحلو. مكتبة عالم الفكر – القاهرة. ط١ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م: ٢٢٣.

٢. الإذاعة: ٢٠٢ – ٢٠٣:.

٣. ينظر على سبيل المثال: الإشاعة لأشراط الساعة: ٨٨.

٤. الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ٥٨٣.

٥. القول المختصر في علامات المهدي المنتظر: ٢٣، ٢٧.

٦. الإشاعة لأشراط الساعة: ٨٨.

٧. عقد الدرر: ٨١.

والحق إن السنيين لا يسعهم أبداً أن يقطعوا بأن المهدي من ذرية الحسن، وليس بمقدورهم رفض من يدعي أنه المهدي بذريعة أنه من ذرية الحسين.

هل يعرف المهدي نفسه، وهل يعرفه الناس؟

سبق أن نقلنا فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية، وقد ورد فيها: (ولا يجوز لأحد أن يجزم بأن فلان ابن فلان هو المهدي حتى تتوافر العلامات التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة وأهمها ما ذكرنا وهو كونه «يملأ الأرض عدلا وقسطا» الحديث) [١].

مضمون هذه الفتوى، الذي يستلزم، من جهة، منع ادعاء المهدوية من قبل أي شخص، ومنع الاعتقاد بأن شخصاً بعينه هو المهدي، من جهة أخرى، إلا بعد تحقق العلامات، ومنها امتلاء الأرض عدلاً، يعدّ واحداً من النتائج التي دفعت إليها الدعاوى المهدوية الكاذبة التي عرفتها الساحة السنية. فالسنيون لم يجدوا، في منظومتهم العقدية، ما يسعفهم على مواجهة هذه الدعاوى، فعمدوا إلى ابتداع عقائد جديدة للحد منها، أو للقضاء عليها. وغني عن البيان أن هذه العقائد المبتدعة لا دليل عليها البتة، على الرغم من رواجها بينهم، وعدم ارتفاع أي صوت سني بانتقادها، أو المطالبة بدليل عليها.

ومن أجل أن يُعلم أن الفتوى المذكورة ليست الوحيدة في بابها، أنقل كلمات لآخرين تحمل المضمون نفسه. من هذه الكلمات ما كتبه الشيخ عبد الرزاق البيطار عند حديثه عن المهدي السوداني في معرض ترجمته للسلطان العثماني عبدالحميد، وهو الآتي: (ويؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم في المهدي أنه يصلحه الله في ليلته أن المهدي لا يعلم بنفسه أنه المهدي المنتظر قبل وقت إرادة الله إظهاره، ويؤيد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أشرف المخلوقات لم يعلم برسالته إلا وقت ظهور جبريل له بغار حراء حين قال له: اقرأ باسم ربك الذي خلق . وأما قبل ذلك فكان يرى منامات كثيرة تأسيساً لرسالته وتقوية لقلبه، لكنه لم يعلم أن المراد منها تأسيس الرسالة، حتى أنه كان كلما رأى مناماً من تلك المنامات يخبر زوجته خديجة . رضي الله عنها. ويشكو إليها حاله، فكانت تثبته وتقول له كلاماً يقوي به قلبه، كما هو موضح في كتب الحديث، فإذا كان النبي

---

١. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. ج٣: ١٠١.

صلى الله عليه وسلم لم يعلم بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بعد ظهور جبريل (عليه السلام) له وقوله: اقرأ باسم ربك. فبالأولى أن المهدي المنتظر لا يعلم بأنه المهدي المنتظر إلا بعد إرادة الله إظهاره، ولذلك يمتنع من البيعة حتى يتهدد بالقتل ويبايع مكرهاً، فهذا هو سر قوله صلى الله عليه وسلم يصلحه الله في ليلته ليعلم من ذلك أنه لم يعلم أنه المهدي إلا وقت إرادة الله إظهاره، فكل من يدعي أنه هو المهدي المنتظر ويطلب البيعة لنفسه أو يقاتل الناس لتحصيلها فهو مخالف لما صرحت به أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم) [(١)].

ومنها ما نقله محمد المقدم عن الدكتور عبدالودود شلبي، وهو قوله: (إنه ليس ضرورياً أن يعلن الرجل المختار لهذه المهمة عن نفسه ... وقد لا يعرف المرشح لهذه المهدية أنه المهدي نفسه ... وعلى ضوء ما يقوم به هذا الإمام الجليل من عمل، وبقدر ما يحققه للإسلام من عزة، وبالمقارنة بين عصره وبين ما كان قبله من فساد، وطغيان، وظلم، وما تحقق على يديه وفي عصره من إصلاح، وصلاح، وعدل، يعرف الناس أنه الرجل المنتظر، والمهدي الذي يعم عدله جميع البشر) [(٢)]. وقال محمد المقدم نفسه: (ليس في الأحاديث الثابتة ما يدل على أن المهدي سوف يطالب الناس بالإقرار بمهديته، أو يمتحنهم على ذلك ويقهرهم، فضلاً عن تكفيرهم واستباحة دمائهم. إن ادعاء أن المهدي سوف يلزم الناس بالإيمان بمهديته، وأن من شك في مهديته فقد كفر، فيه إضافة إلى الدين ما ليس منه ... إن المهدي الحقيقي لا "يتمحور" حول إثبات مهديته للآخرين، واعترافهم بها) [(٣)].

ومنها ما قاله التويجري: (المهدي لا يطلب الأمر لنفسه ابتداء مدعيًا أنه المهدي كما يفعل ذلك المدعون للمهدية كذبًا وزورًا، وإنما يأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو

---

١. حلية البَشر في تاريخ القرن الثالث عشر: الشيخ عبد الرزاق البيطار. ت: محمد بهجة البيطار. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. دار صادر – بيروت. ط٢ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ج٢: ٨٠٩ – ٨١٠. وانظر: ٨٠٥. وقد أفتى بنص هذا الكلام موقع "إسلام ويب"، في فتواه المعنونة: "أمارات المهدي المنتظر التي يتميز بها وتبطل أدعياء المهدية". رقم الفتوى: ٢٠١٩٤٠ تاريخ الفتوى: الأربعاء ١٥ جمادى الأولى ١٤٣٤ - ٢٠١٣/ ٣ / ٢٧ . متاحة على:

http://fatwa.islamweb.net/fatwa/printfatwa.php?Id=٢٠١٩٤٠&lang=A

٢. المهدي: ٤٥٥.

٣. نفسه: ٤٥٠ – ٤٥١.

كاره فيبايعونه، ثم يسميه الناس بعد ذلك بالمهدي لما يرون من صلاحه وعدله وإزالته للجور والظلم) [١].

ومنها ما قاله الشيخ أبو الأعلى المودودي: (لا أتوقع أنه يعلن بكونه المهدي المعلوم، وإنما يتبين خلق الله بعد موته أنه هو المقيم للخلافة على منهاج النبوة المبشر به) [٢].

ويسجل البستوي في خاتمة دراسته النقاط الآتية: (١- لم أجد أي دليل في السنة الثابتة على أن المهدي يدعو الناس إلى الإيمان بمهديته. ٢- لم أجد أي دليل صحيح على أنه يجب على المسلمين أن يؤمنوا بمهدية رجل معين كما يجب عليهم الإيمان بنبوة الأنبياء المعينين ... ٤- كما أن المسلمين ليسوا في حاجة إلى معرفة المهدي بالذات، بل يجب عليهم أن ينصروا الحق والعدل أيا كان مصدره وليس هذا الأمر خاصا بالمهدي دون غيره. ٥- إن الأحاديث الثابتة في الباب لا تثبت أن المبشر به يلقب نفسه بالمهدي أو أنه يخاطب بالمهدي. ولذلك فمن الممكن جدا أن تكون الكلمة أريد بها معناها اللغوي أي أنه يكون رجلا صالحا هداه الله إلى الحق كما ورد في بعض الروايات "وإمامهم رجل صالح". وعلى هذا فلا يمكن الجزم بالمراد الحقيقي من هذه الأحاديث إلا بعد ظهور بعض العلامات التي لا يمكن أن تتكرر كخروج الدجال ونزول عيسى (عليه السلام). فكل من يدعي لنفسه المهدوية أو يوافق على ذلك فإن دعواه خير دليل على كذبه وتنم عن نواياه السيئة. فمن سولت له نفسه أو سول له الشيطان أن يدعي هذه الدعوى فعليه أن يخرج الدجال وينزل عيسى بن مريم من السماء وإلا فهو كذاب أفاك) [٣]. هناك كلمات أخرى مشابهة لعلماء، وكتاب سنييّن لا أريد الإطالة بنقلها [٤]، ولكن أريد التذكير بكلمة سفيان الثوري التي سبق أن نقلتها، وهي قوله: (إن مرّبك المهدي وأنت في البيت فلا تخرج إليه حتى يجتمع الناس) [٥]. هذه الكلمة تلخص الموقف السني بصورة جيدة، فهي عن نقص المنظومة العقدية السنية، وعجزها عن تقديم الحلول الإيجابية لمسألة التعرف

---

١. الاحتجاج بالأثر: ٣٠٢.
٢. فقه أشراط الساعة: ٣١٥ – ٣١٦.
٣. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ٣٨٣ – ٣٨٤.
٤. ينظر على سبيل المثال: الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ٦٢٣. والمنتقى المختار مما صح في المهدي من أخبار: ١٥. ونهاية العالم: ١٩٠.
٥. المهدي للمقدم: ٨١.

على المهدي، الأمر الذي أفرز، تلقائياً، هذا النوع من التعاطي السلبي مع مشكلة الادعاءات الكثيرة.

مرت بنا كلمات قال أصحابها إنهم لم يجدوا في الأحاديث ما يدل على أن المهدي يدعو لنفسه، ولم يجدوا أن على المسلمين أن يؤمنوا بمهدية مهدي معين، ولا حتى أن يعرفوه. هذه الكلمات تشير إلى ما ذكرناه من نقص في المنظومة السنية التي كان يجدر بها توفير أجوبة مناسبة لأسئلة مهمة، ولكنها لم تفعل، وتركت الباب مشرعاً لكثير من المشاكل الدينية والاجتماعية. إن التعاطي مع الأمور بمنطق إننا لم نجد في السنة ما يدل على شيء معين، ليس سوى تحايل، والتفاف، لإصدار أحكام على مسائل عقدية حقيقية، بعيداً عن مراقبة الدليل، والعقل الواعي. فمن لم يجد دليلاً على الإيجاب، هو، كذلك، لم يجد دليلاً على السلب، وعليه لا يحق له إطلاق حكم المنع، دون دليل. فلو سألناهم الآن: أنتم تقولون: لم نجد دليلاً على أن المهدي يدعو لنفسه، ولا دليلاً على أنه يعرف نفسه أنه المهدي، وهذا يمنحكم نتيجة سلبية مفادها إنكم لا تملكون دليلاً على أن المهدي يدعو لنفسه، ولا أنه يعرف أنه المهدي، ولكنكم لم تقفوا عند هذه النتيجة، وإنما تعديتم إلى الحكم بأنه يجب أن لا يدعي أحد أنه المهدي، ويجب أن يكون المهدي غير عارف بحقيقة كونه المهدي، فمن أين جئتم بالدليل على هذه النتيجة الإيجابية؟ هل اعتبرتم عدم الإيجاد إيجاداً ؟ هل اعتبرتم عدم عثوركم على دليل على شيء دليلاً على عدمه !؟

ولكن هل صحيح أنه لا دليل على أن المهدي يعرف أنه المهدي، ويدعو لنفسه، وهل صحيح أنه لا دليل على أن الناس يعرفونه، ويتبعونه قبل أن يحقق هدفه الكبير، المتمثل برفع الظلم من الأرض، وملئها عدلاً؟ قبل أن أذكر الأدلة على وجود ما اعتبروه غير موجود، أود الالفات إلى قضية مهمة؛ هي كيف برأيهم يحقق المهدي هدفه العالمي الكبير إذا لم يكن هناك من يعرفه، ويتبعه، وينصره؟ لا شك في أنه لا جواب أمامهم سوى القول بأنهم سوف ينخرطون في نصرة رجل ما، أو مغامر ما، فإذا ما حقق نتيجة يرون أنها كافية للحكم بأنه المهدي حكموا بذلك، وإلا فلا. إذن هنا حالتان؛ الأولى: إذا لم يحقق نتيجة كافية لا يحكمون بأنه المهدي، وعليه سيترقبون مغامراً آخر لينخرطوا في حركته، وتُعاد الموازنة من جديد؛ هل حقق القدر الكافي من الهدف أم لا؟ وعليه ما الجديد، أو ما الحل الذي قدموه لأنفسهم ؟ هم لا زالوا يتبعون الثوار، أو قل المغامرين، أو الساخطين

على الواقع المتردي، سواء أطلقوا عليهم اسم المهدي أم لا، فالثغرة العقدية التي أرادوا سدها برأيهم المبتدع [*] ما زالت هي هي، بل لعلها ازدادت اتساعاً. فهم، برأيهم المبتدع، الذي لا يشترط في انطباق عنوان المهدي على شخص سوى تحقيق النتيجة النهائية يفتحون أبواب المطامع أمام الطامحين، والمغامرين، ويغرون الناس باتباعهم، خاصة في الفترات التي يقسو فيها الواقع عليهم، ويشعرون أن حياتهم لا تختلف كثيراً عن الجحيم، وما أكثر هذه الفترات، فما الذي يمكن أن يخسروه، إذا ما اتبعوا هذا المغامر، أو ذاك الثائر، وهم لا يملكون ما يخسرونه حقاً ؟

الحالة الثانية هي أن يحقق الثائر، أو المغامر نتيجة يرونها، أو يراها بعضهم، أو تُصور لهم من خلال وسائل الإعلام والدعاية، بأنها نتيجة كافية للحكم على الشخص بأنه المهدي. وفي هذه الحالة، أيضاً، يمكن أن تشكك القوى المتضررة بالمهدي، سواء كان مهدياً حقيقياً، أم لا، وقد يستغل مغامرٌ ثغرة هنا، أو هناك ليقود حركة مهدوية جديدة !

هاتان الحالتان مبنيّتان على أساس أن العقيدة السنية يمكن أن تسمح باتباع الثائرين على الظلم الاجتماعي، والحال إنها لا تسمح بذلك مطلقاً. فالخروج على الحاكم ممتنع، أو يكاد أن يكون كذلك [١]، بل إن من يخرج على الحاكم لابد – بحسب العقيدة

(*) مما يدل على أن عقيدتهم هذه رأي مبتدع أن أهل السنة؛ عامتهم وعلماءهم، كانوا يبايعون مدعي المهدوية، ولم يعترض أحد عليهم بأن المهدي لا ينبغي أن يكون عارفاً بنفسه أنه المهدي، وأن معرفته من قبل الناس لا سبيل لها إلا بعد أن يملأ الأرض عدلاً. فالمهدي بن تومرت بايعه الناس على أنه المهدي. ينظر: المهدي بن تومرت: ١١٥. والمهدي الذي ظهر في مكة (مهدي جهيمان) كان يتبعه طلاب علم درسوا على أيدي كبار علماء الوهابية، وبايعوه على أنه المهدي. يقول عَلَوي بن عبدالقادر السَّقَّاف: (أمَّا دعوات المهديَّة، فهي أكثرُ من أن تُحصى، ويَكفي أنْ أُشير هنا إلى نموذجٍ معاصرٍ لها: فقد مرَّت الأمَّة في هذه البِلاد (بلاد الحرمين الشَّريفينِ) بشَيءٍ من ذلك عندما ظهرتْ في أواخِر القرن الرابع عشرَ (١٣٨٥-١٣٩٩) مجموعةٌ من طلَّاب العلم الذين تلقَّوُا العِلمَ على أيدي علماء كِبار، كالشَّيخ ابن باز والألباني رحمهما الله، وكان سَمْتُهم السُّنة، ويَظهر عليهم التقشُّفُ والتبذُّل، يَحتقِر الإنسانُ عبادتَه مع عبادتهم، وكان فيهم شيءٌ من الغلوِّ مع صِدق وإخلاص، كان زعيمُهم جُهيمان العتيبي..الخ). إعلانُ الخِلافةِ الإسلاميَّةِ - رؤيةٌ شرعيَّةٌ واقعيَّةٌ: عَلَوي بن عبدالقادر السَّقَّاف. متاح على:
http://dorar.net/article/١٧٦٠

١. روى مسلم: (عن زيد بن محمد عن نافع قال جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من امر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال إني لم آتك لأجلس اتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) صحيح مسلم/ ج٦: ٢٢. وروى عن أبي إدريس الخولاني انه سمع حذيفة بن اليمان يقول: (كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة ان يدركني فقلت يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم قلت وهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر قلت فهل بعد ذلك الخير من

السنية – من مواجهته بالقوة، باعتباره مارقاً، زنديقاً. وبالنتيجة تدفع العقيدة السنية باتجاه مواجهة، أو قتال المهدي، ويزداد الدفع ضراوة بعد العقيدة المبتدعة الجديدة التي تنزع من يد المهدي أمضى سلاح يمكن أن يواجه به الطواغيت، وهو أنه المهدي خليفة الله، لأن المهدي بحسبها لا يعلم أنه هو المهدي، والناس لا يمكنهم أن يعتقدوا بأنه المهدي، وسينظرون له بالنتيجة على أنه طامع بالحكم، أو، في الأقل، خارج على ولاة الأمور، يجب قتاله، وبهذا يتورطون في قتال خليفة الله المهدي الذي يجب أن يبايعوه ويطيعوه. إذن العقيدة السنية تدفع باتجاه الأمور الثلاثة الآتية:

١- إذا كان المهدي لا يعرف أنه هو المهدي، والناس أيضاً لا تعرف أنه المهدي، فمن المتوقع تماماً – ولاسيما في ظل وجود الحكومات الطاغوتية – أن يصادف خروج رجل – هو المهدي – ولكن الناس تراه طالب دنيا، فتتورط بحربه وعدائه، وبالنتيجة تعادي وتحارب رجلاً مؤمناً وهذا أمر لا يرتضيه الله ويترتب عليه وقوع الناس في الإثم.

٢- إن عدم معرفته بحقيقة كونه المهدي ستبقى ملازمة له حتى النهاية، ولا يمكنه هو أو غيره أن يتيقن أن هذا الشخص هو المهدي، ومن الممكن جداً أن ترى الناس في رجل ما يخرج ويحقق انتصارات معينة وقد يصادف أن اسمه محمد بن عبدالله أو يُدعى له ذلك، أن ترى الناس فيه أنه هو المهدي، ولكنه في الحقيقة ليس المهدي، وبالنتيجة حين يظهر المهدي الحقيقي ستراه الناس أحد المدعين الكاذبين فيعادونه.

٣- إن عدم معرفة المهدي لحقيقة كونه المهدي وعدم وجود ما يثبت به هذا الأمر بصورة قاطعة، وعدم معرفة الناس به بهذه الصورة القاطعة، يترتب عليه أن يبقى بعض من يشك في المهدي الحقيقي حين يظهر، على شكه وانتظاره المهدي الذي يرى أنه لم يظهر بعد، ويبقى معلقاً بآمال لا تتحقق، بل من المتوقع بقوة أن يعمل هذا على تثقيف الناس على فكرة أن المهدي لم يظهر بعد، وأن من يدعي أنه المهدي ليس سوى كاذب مدعٍ، وربما شكل هؤلاء طابوراً خامساً يفت في عضد دولة الإسلام. بل إن بعض

شر قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا قلت فما تأمرني ان أدركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وامامهم قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا امام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك). صحيح مسلم/ ج٦: ٢٠. وصحيح البخاري/ ج٨: ٩٣. ونقل ابن حجر عن ابن بطال، قوله: (فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنهم دعاة على أبواب جهنم ولم يقل فيهم تعرف وتنكر كما قال في الأولين وهم لا يكونون كذلك الا وهم على غير حق وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة) فتح الباري/ ج١٣: ٣١.

المستكبرين الذي لا تروقهم سياسات المهدي المناقضة لمصالحهم وأهوائهم قد يستغلون مساحة الشك وعدم اليقين لدى الناس بأن مهديهم هو المهدي الموعود، ليبثوا من خلال هذه المساحة الإشاعات والشبهات. بل من المؤكد في ظل واقع يرى كل صاحب مذهب أن مذهبه يمثل الإسلام الحقيقي أن يشترطوا في المهدي أن يكون تابعاً لمذهبهم، وإذا ما خالفه سيكون منحرفاً لابد من قتاله.

الأدلة على أن المهدي يعرف نفسه أنه المهدي، وعلى أن الناس يعرفونه كذلك، كثيرة، أذكر منها ما ورد عن أبي سعيد الخدري، قال: (خشينا أن يكون بعد نبينا حدث، فسألنا رسول الله، فقال: يخرج المهدي في أمتي خمسًا أو سبعًا أو تسعًا – زيدٌ الشاك- قال قلت: أي شيء؟ قال: سنين، ثم قال: يرسل السماء عليهم مدرارًا، ولا تدخر الأرض من نباتها شيئًا، ويكون المال كدوسًا، قال: يجيء الرجل فيقول يا مهدي أعطني أعطني، قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمل) [١].

وما أخرجه الطبراني عن أبي هريرة عن النبي، قال: (يكون في أمتي المهدي، إن قصر فسبع، وإلا فثمان وإلا فتسع، تنعم أمتي فيه نعمة لم ينعموا مثلها، يرسل الله السماء عليهم مدرارًا، ولا تدخر الأرض بشيء من النبات، والمال كدوس، يقوم الرجل يقول: يا مهدي، أعطني، فيقول: خذه) [٢].

الرجل يخاطب المهدي بلقبه "المهدي" فهو إذن يعرف أنه المهدي، والمهدي لم يعترض عليه مما يدل على أنه، بدوره، يعرف أنه المهدي.

ومنها ما ورد عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أقبلت الرايات السود من خراسان فائتوها فإن فيها خليفة الله المهدي) [٣]. وما ورد عن ثوبان، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: (يقتتلُ عندَ كنزِكم ثلاثةٌ كلُّهمُ ابنُ خليفةٍ ثمَّ لا يصِيرِ إلى واحدٍ منهم ثمَّ تطلع الرَّاياتُ السُّودُ من قِبَلِ المشرقِ فيقتلونَكم قَتْلًا لم يقتُلهُ

١. سنن الترمذي/ ج٣: ٣٤٣. وقال: "هذا حديث حسن".

٢. المعجم الأوسط/ ج٥: ٣١١. قال التويجري: "قال الهيثمي: ورجاله ثقات". الاحتجاج بالأثر: ١٦.

٣. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ١٥٨. وقال عنه ص١٦٢: " الإسناد صالح للاستشهاد ولا سيما وأن متنه قد ورد من طريق آخر عن ثوبان رضي الله عنه بسند حسن . وبذلك يصبح هذا الحديث حسنا لغيره".

قومٌ، ثمَّ ذَكرَ شيئًا لا أحفظه، فقال: فإذا سمعتم به فأتوه فبايعوه ولو حَبوًا على الثَّلجِ، فإنَّهُ خليفةُ اللَّهِ المَهديُّ) [١].

هذان الحديثان يشيران إلى علامة مهمة من العلامات التي يمكن أن نتعرف منها على المهدي، تتمثل بحركة الرايات السود، فإذا رأينا هذه الرايات قد أقبلت علمنا أن فيها المهدي، الذي ينبغي أن نأتيه، ولو زحفاً على الثلج، لنبايعه. والبيعة تفترض، من جهة، أن يكون المبايع عارفاً بأن من يبايعه هو المهدي، لعدم جواز بيعة المجهول [٢] وتفترض، من جهة أخرى، أن يكون المبايَع عارفاً أنه المهدي، لأن من شروطها أن يجيب المبايَع [٣]. ولا ينبغي أن نغفل عن حقيقة مهمة للغاية مفادها أن الجيش الذي يحمل الرايات السود لابد أنهم يعرفون قائدهم، وسبق لهم أن بايعوه، وهذا يدل على أن هناك دعوة كانت تبشر بالمهدي وتجمع له أنصاراً.

وقوله (صلى الله عليه وآله): "فإذا سمعتم به فبايعوه"، يُفهم منه أنه يعلن عن نفسه على أنه المهدي، والناس تبايعه بهذا العنوان، فالنبي (صلى الله عليه وآله) يريدنا، كما يُفهم من الحديث، أن نبايع المهدي على أنه هو المهدي، لا بعنوان آخر. ويُفهم من الحديث، كذلك، أن النبي (صلى الله عليه وآله) يأمر بالاسراع إلى بيعته، قال ابن حزم في المحلى: (من بات ليلة وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) [٤]. وإذا علمنا أن البيعة إذا ما أطلقت تنصرف إلى البيعة على السمع والطاعة [٥]، وأن التصديق بمدعي المهدية

---

١. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ١٨٤. وقال عنه في ص١٩٢: "النتيجة: إسناده صحيح".

٢. قال الماوردي: (فإذا استقرت الخلافة لمن تقلدها إما بعهد أو اختيار لزم كافة الأمة أن يعرفوا إفضاء الخلافة إلى مستحقها بصفاته ولا يلزم أن يعرفوه بعينه واسمه إلا أهل الدين تقوم بهم الحجة وبيعتهم تنعقد الخلافة. وقال سليمان بن جرير: واجب على الناس كلهم معرفة الإمام بعينه واسمه كما عليهم معرفة الله ومعرفة رسوله. والذي عليه جمهور الناس أن معرفة الإمام تلزم الكافة على الجملة دون التفصيل، وليس على كل أحد أن يعرفه بعينه واسمه إلا عند النوازل التي تحوج إليه، كما أن معرفة القضاة الذين ينعقد بهم الأحكام والفقهاء الذين يفتون في الحلال والحرام تلزم العامة على الجملة دون التفصيل إلا عند النوازل المحوجة إليهم). الأحكام السلطانية: ٣١ – ٣٢. وقال ابن تيمية: ((النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين الذين لهم سلطان يقدرون به على سياسة الناس لا بطاعة معدوم ولا مجهول)). منهاج السنة النبوية: ج١: ١١٥. ولديهم، الآن، بعد إعلان الخلافة الداعشية، بحوث تنصب على عدم جواز بيعة المجهول، ينظر على سبيل المثال: سؤال يتداول بين الناس: (بيعة الإمام المجهول): الشيخ عبدالكريم تتان. متاح على: http://www.atattan.com/fatawa/show/٤٢٣.

٣. ينظر: الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة: ٢٠٧.

٤. المحلى: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. دار الفكر. ج١: ٤٥.

٥. ينظر: الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة: ٢٠٥.

يستلزم التكذيب بالمهدي الحقيقي [١] فإن بيعة المهدي التي يدعو لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) لابد أن تكون عن معرفة، ولابد بالنتيجة أن تكون معرفته متاحة. ويؤكد ذلك أن بيعة المهدي يترتب عليها، على الأغلب، الخروج على الإمام الفعلي، وهذا، وإن كان، لا يجوزه السنيّون [٢]، لكن معرفة أن من يبايعونه هو المهدي خليفة الله قد يشكل استثناء مقبولاً لديهم [*].

ومنها ما ورد عن أم سلمة زوج النبي، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: (يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه بين الركن والمقام ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقى الاسلام بجرانه في الأرض فيلبث سبع سنين، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون) [٣].

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ، قَالَ: (يُبَايَعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ، فَتَأْتِيهِ عَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَبْدَالُ أَهْلِ الشَّامِ، فَيَغْزُوَهُمْ جَيْشٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَإِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءَ خُسِفَ بِهِمْ، ثُمَّ يَغْزُوهُمْ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَخْوَالُهُ كَلْبٌ، فَيَلْتَقُونَ فَيَهْزِمُهُمُ اللَّهُ، فَالْخَائِبُ مَنْ خَابَ مِنْ غَنِيمَةِ كَلْبٍ) [٤].

هؤلاء الناس من أهل مكة الذين يأتون المهدي ويبايعونه لابد أن يكونوا قد عرفوا المهدي وأوان ظهوره قبل أن يظهر، ولابد – بحسب ما يفهم من الرواية – إنهم يعرفونه

---

١. ينظر: المهدي للمقدم: ٤٤٧. وفرق الهند المنتسبة للإسلام/ج١: ٢٨١.

٢. ورد في شرح السنة للبربهاري: ٥٨: (ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي، وقد شقّ عصا المسلمين، وخالف الآثار، وميتته مية جاهلية. ولا يحل قتال السلطان والخروج عليه، وإن جاروا).

(*) من المآزق التي تعترض المنظومة العقدية السنية، هي كيف يتصرفون عند خروج المهدي، هل يخلعون الحاكم الفعلي الذي يُفترض أنهم قد بايعوه، وبالتالي يمتنع عليهم خلعه، والخروج عليه، أم يتركون المهدي خليفة الله الذي يأمرهم النبي ببيعته؟ لا شك في أنهم لو عرفوا الأئمة الاثني عشر الذين ذكرتهم الأحاديث والتزموا بهم على أنهم وحدهم الأئمة الشرعيون، لما اعترضهم مثل هذا المأزق.

٣. سنن أبي داود/ ج٢: ٣١٠ – ٣١١. وقال ابن القيم: (والحديث حسن، ومثله مما يجوز أن يقال فيه: صحيح). المنار المنيف: ١٤٣.

٤. المفصل في أشراط الساعة وعلاماتها: ٣٩١. وقال عنه في الهامش: "صحيح".

شخصياً، لأنهم يخرجونه وهو كاره ويبايعونه، فمن أين جاء لهم اليقين أنه هو المهدي ؟ ولا يمكن هنا أن يقال إنهم قد وقع اختيارهم عليه، وبالنتيجة يكون المهدي هو من يقع اختيار الناس عليه في زمن معين تجري فيه حوادث مخصوصة، لأنه يمكن دائماً أن يستغل المغرضون مثل هذا الواقع بكل تفاصيله، ويختاروا رجلاً يرغبونه قد لا يكون هو المهدي، وعندئذ يقع الانحراف، وبوقوعه تكون هذه الحادثة سابقة تنفر الناس من الإقدام على مثلها مستقبلاً. ومن الواضح إن أمراً كهذا قد وقع في حادثة الجهيمان، ولاسيما ما يتعلق بمبايعة بعض أهل مكة.

المهم، إن الرواية تقول إنهم يبايعونه، وتوحي بأن بيعتهم صحيحة، والبيعة تستوجب المعرفة كما سبق القول، وبالنتيجة لا صحة لقول من قال بأن على الناس انتظار أن يملأ الأرض عدلاً قبل أن يبايعوه.

وقد أفتى الشيخ عبدالعزيز بن باز بمضمون حديث أم سلمى، حين قال: (المهدي المنتظر صحيح وسوف يقع في آخر الزمان، قرب خروج الدجال وقرب نزول عيسى عند اختلاف يقع بين الناس عند موت خليفة، فيخرج المهدي ويبايع ويقيم العدل بين الناس سبع سنوات أو تسع سنوات ..الخ) [١].

ومنها ما ورد عن مجاهد، قال: (حدثني فلان؛ رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: إن المهدي لا يخرج حتى يقتل النفس الزكية فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض فأتى الناس المهدي فزفوه كما تزف العروس إلى زوجها ليلة عرسها وهو يملأ الأرض قسطا وعدلا وتخرج الأرض من نباتها وتمطر السماء مطرها وتنعم أمتي في ولايته نعمة لم تنعمها قط) [٢].

الناس الذين يأتون المهدي، بعد قتل النفس الزكية، لا شك في أنهم يعرفونه، ويميزونه جيداً.

يرى محمد أحمد المبيض أن النفس الزكية وصف لرجل صالح، غير معروف الآن، وقد يعينه أهل العلم وقتها، من خلال قرائن، وشواهد، وأحداث، فإن عدم تعيينه يجعل

١. فتاوى نور على الدرب/ ج١: ٣٥٥.

٢. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ٢١٣. وقال عنه ص٢١٤: "النتيجة: إسناده صحيح. رجاله كلهم ثقات. ومجاهد لم يصرح هنا باسم الصحابي، ولكنه سمع من جماعة من الصحابة رضي الله عنهم".

ذكره بلا فائدة [١]، وهذا كلام سليم، فالعلامة لابد أن ينتفع الناس بها، وإلا عُدّ ذكرها لغو يتنزه النبي (صلى الله عليه وآله) عن مثله، وإذا كانوا سيعرفون النفس الزكية فمن باب أولى أنهم سيعرفون المهدي الذي يأتون إليه ويزفونه كما تزف العروس. غير أن كلام المبيض بشأن تعرف العلماء على النفس الزكية في حينها فيه الكثير من الغموض، فالأمور التي علق عليها معرفتهم به لا تمنحهم نتيجة يقينية، أو قطعية، وهي مطلوبة في مثل هذه الحالات، إذ يتوقف عليها معرفة المهدي، أو، في الأقل، معرفة الوقت الذي يبايعونه فيه (يأتون إليه ويزفونه). الأقرب أن المهدي ستكون له دعوة معروفة والنفس الزكية يكون أحد أتباعه.

ومنها ما ورد (عن سعيد بن سمعان، أنه سمع أبا هريرة يُحدِّث أبا قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يُبَايَعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ والمَقَامِ ولن يَسْتَحِلَّ هذا البيت إلا أَهْلُهُ فإذا اسْتَحَلُّوهُ فلا تَسَلْ عن هَلَكَةِ العرب ثم تَظْهَرُ الحبشة فيُخَرِّبُونَهُ خَرَاباً لا يَعْمُرُ بعده أبَداً وهم الذين يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ) [٢].

البيعة بين الركن والمقام تكون في بداية ظهور المهدي، وهي، كما سلف، تستوجب أن يعرف هو نفسه ويعرفه الناس، كذلك، على أنه المهدي.

ومنها ما ورد عن أبي سعيد الخدري، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبشِّرُكُمْ بالمهديِّ يُبْعَثُ على اختلافٍ مِنَ الناسِ وزلازلِ فَيَمْلَأُ الأرْضَ قِسْطًا وعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جوْرًا وظُلْمًا يَرْضَى عنْهُ ساكِنُ السماءِ وساكِنُ الأرضِ يَقْسِمُ المالَ صِحاحًا قال له رجلٌ ما صحاحًا قال بالسويَّةِ بينَ الناسِ ويَمْلَأُ اللهُ قلوبَ أمةِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم غَنَاءً ويَسَعُهُمْ عدلُهُ حتى يأمرَ مناديًا فينادِيَ فيقولُ مَنْ له في مالٍ حاجةٌ فما يقومُ منَ الناسِ إلَّا رجلٌ واحِدٌ فيقولُ أنا فيقولُ ائْتِ السدَّانَ يَعْنِي الخازنَ فقُلْ لَهُ إنَّ المهدِيَّ يأمرُكَ أن تعْطِيَني مالًا فيقولُ لَهُ احثُ حتى إذا جعلَهُ في حجرِهِ وانْتَزَرَهُ نَدِمَ فيقولَ كنتُ أجشعَ أمةِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أوَ عجَزَ عنِّي مَا وَسِعَهُمْ قال فيردُّهُ فلا يُقْبَلُ منْهُ فيقالُ له إنَّا

١. ينظر: الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ٦١٠ – ٦١١.

٢. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. دار باوزير – المملكة العربية السعودية. ط١ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ج٩: ٤٥٧. و قال عنه: (صحيح. الصحيحة "٧٧٢٠").

لَا نَأْخُذُ شيئًا أَعْطَيْنَاهُ فيكونُ كذَلِكَ سبعَ سنينَ أوْ ثَمانِ سِنينَ أَوْ تسعَ سنينَ ثم لا خيرَ في العيشِ بعدَهُ أو قال ثم لا خيرَ في الحياةِ بعدَهُ) [١].

واضح إن المهدي يعرف أنه المهدي، بدلالة قوله للرجل: "ائْتِ السدَّانَ يَعْنِي الخازِنَ فقُلْ لَهُ إنَّ المهدِيَّ يأمرُكَ أن تعْطِيَنِي مالًا". ولعل قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "فيكونُ كذَلِكَ سبعَ سنينَ أوْ ثَمانِ سِنينَ أَوْ تسعَ سنينَ" على أن ذلك يكون في بداية أمر المهدي.

إن اعتبار المهدي أحد الاثني عشر خليفة تترتب عليه جملة نتائج مهمة، منها أن له حقّ الطاعة على الأمة، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [٢]. اذن لابد ان يعرفوه ويشخصوه وكذلك يدل حديث عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين الخ لان عدم معرفته يعني تضييع جزء من الدين، والسنة جزء منه بلا شك.

كيف يمكن أن نعرف المهدي ؟

لا شيء في المنظومة العقدية السنية يمكن أن يُسعفهم في تقديم تصور محدد، كامل، يتعرفون على المهدي من خلاله، ويميزونه عن غيره من المدعين، لذا كثرت في ساحتهم الادعاءات، وكثرت معها الاجتهادات، والرؤى الشخصية، والاختلافات. ففي المجال السني، كما سنرى، تصورات كثيرة عن الطريقة التي يمكن أن يتعرفوا بواسطتها على المهدي، تتميز، دائماً، بالتسرع، وعدم الإحاطة بما تقوله، أو تقتضيه النصوص.

كثير من العلماء السنيين يتصورون ظهور المهدي، والكيفية التي يمكن التعرف عليه من خلالها، وفق السيناريو الآتي: (يظهر حين يطغى الفساد، يبايعه الناس بالإمارة بين الركن والمقام عند البيت؛ رجاء أن يكون صلاح الحال على يديه، فيقبلها عن كره. وهو لا يعلم، وهم لا يعلمون أنه المهدي المنتظر، فلا يسبق توليته ادعاؤه أنه هو المهدي، بل إنه لا يعرف نفسه، وإنما يختاره الله فيختاره الناس فجأة. حتى إذا تمت البيعة ومارس

---

١. مجمع الزوائد/ ج٧: ٣١٣. وقال عنه: "رواه أحمد وفيه عطية العوفي وهو ضعيف، ووثقه ابن معين، وبقية رجاله ثقات".
٢. النساء: ٥٩.

مهمته، جاء جيش من الشام لمحاربته، وما إن يصل الجيش إلى البيداء، حتى يخسف الله بهم، وآنئذ يعرف القاصي والداني أنه المهدي المنتظر، فتأتي الوفود لمبايعته، ويؤيده الله بناس من المشرق ينصرونه) [١].

قد يتوهم البعض أن هذا النص يعتمد على دليل حديثي، والحال أن الدليل المشار إليه (أحاديث البيعة بين الركن والمقام) خلوٌ تماماً من أي شيء يمكن أن يُستدل، أو يُستوحى منه جهل المهدي، وجهل المبايعين بحقيقته كونه المهدي، بل العكس صحيح، كما سبق البيان. والنص المقتبس، كما لعله واضح، لا ينقصه الغموض أبداً، فالكاتب لم يبين مقصوده من اختيار الله للمهدي، واختيار الناس المفاجئ له.

المهم في النص هو أنه يجعل الخسف علامة فارقة لمعرفة المهدي، وهذا ما يشترك فيه معه كثير من العلماء، والكتاب السنة، سأذكر، الآن، عيّنة منهم. يقول محمد أحمد المبيض: (يعتبر هذا الخسف هو العلامة الأقوى في الدلالة على أن العائذين بالبيت هم المهدي، وأنصاره، كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذا يتحرك أهل الله خاصة من الشام، ومن العراق نحو مكة لبيعة المهدي) [٢]. ويقول ابن حجر الهيتمي: (علامة خروجه أن يخسف بالجيش بالبيداء) [٣]. ويقول محمد أشرف صلاح حجازي: (العلامة الوحيدة للمهدي هي الخسف بالجيش الذي يريد القضاء عليه) [٤]. وعدّ الشيخ محمود المصري علامة الخسف من العلامات المحكمة التي يُعرف بها المهدي [٥]، وقال علي بن نايف الشحود: (الصواب من القول أنه سوف يخرج من المدينة المنورة فارّاً بدينه لمكة المكرمة ثم يبايعه أهل مكة ثم تأتيه البيعات العامة من كل مكان بعد الخسف بالجيش الذي سوف يرسل له من الشام) [٦].

أحاديث الخسف كثيرة، منها ما رواه مسلم عن عبيد الله بن القبطية، قال: (دخل الحارث بن أبي ربيعة، وعبد الله بن صفوان، وأنا معهما على أم سلمة أم المؤمنين،

---

١. المسيح المنتظر ونهاية العالم: ٦٥.

٢. الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ٦٢٤.

٣. القول المختصر في علامات المهدي المنتظر: ٤٨.

٤. المهدي: د. محمد أشرف صلاح حجازي: ١١. بحث منشور على شبكة الانترنيت متاح على: http://saaid.net/book/٢٠/١٣٣٩٠.pdf

٥. رحلة إلى الدار الآخرة: ٢٦٠.

٦. المفصل في أشراط الساعة وعلاماتها: ٣٩٦.

فسألاها عن الجيش الذي يخسف به، وكان ذلك في أيام ابن الزبير، فقالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم. فقلت. يا رسول الله فكيف بمن كان كارها ؟ قال: يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته) [١].

وأخرج عن عبد الله بن الزبير: (إن عائشة، قالت: عبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه فقلنا: يا رسول الله صنعت شيئاً في منامك لم تكن تفعله؟ فقال: العجب إن ناساً من أمتي يؤمون بالبيت برجل من قريش قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم. فقلنا: يا رسول الله إن الطريق قد يجمع الناس. قال: نعم فيهم المستبصر، والمجبور، وابن السبيل، يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله على نياتهم) [٢].

وأخرج أبو داود عن أم سلمة، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: (يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه بين الركن والمقام ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقى الاسلام بجرانه في الأرض فيلبث سبع سنين، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون) [٣].

من هذه الأحاديث يتضح:

١- هناك من يُخرج المهدي، وهو كاره، ويبايعه قبل الخسف، والبيعة تقع بين الركن والمقام تحديداً، وكل هذا يدل بقوة على أنهم يبايعونه على أنه المهدي.

٢- الجيش الشامي الذي يُخسف به قوامه أناس مسلمون، وهؤلاء لابد من طريقة يعرفون بها المهدي، غير الخسف الذي يمثل عقوبة إلهية تنزل بهم. فمن الواضح إن نزول

---

١. صحيح مسلم/ ج٨: ١٦٦ – ١٦٧.

٢. نفسه: ١٦٨.

٣. سنن أبي داود/ ج٢: ٣١٠ – ٣١١.

عقوبة الخسف بهم سببه محاولتهم قتل المهدي، والعقوبة لابد أن يسبقها إعذار وإنذار، أي لابد أن يعلم هؤلاء أن من يعتزمون الفتك به هو المهدي، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[1]. إن وقوع العقوبة الإلهية بالجيش الشامي يُشعر بأنهم يعلمون أن من يعتزمون قتاله هو المهدي، ويدل عليه إن جيشاً، يقطع بيداء شاسعة بين الشام ومكة، لابد أن تكون حركته من أجل أمر خطير مثل علمهم أن من بويع له في مكة هو المهدي، الذي من شأنه تحطيم عروش الظالمين، فمن غير المعقول أن يتحرك جيش من الشام قاصداً بلاداً أخرى، فقط لأن بضعة أشخاص بايعوا رجلاً مجهولاً. هذا وقد سمّى ابن حبان الباب، الذي روى تحته حديث الخسف الوارد عن أم سلمة، بعبارة (ذكر الخبر المصرح بأن القوم الذين يخسف بهم إنما هم القاصدون إلى المهدي في زوال الأمر عنه) [2] ولعل هذا إشارة منه إلى أن جيش الشام يعلمون أن من يتجهون لقتاله هو المهدي، وهدفهم زوال الأمر عنه.

٣- الخسف لن يحدث – على الأرجح – بوصفه الخسف الذي تحدثت عنه الروايات، أي إن الإعلام، بعبارة أخرى، لن يوصل الواقعة إلى الناس بهذه الصورة. خاصة في ظل ظروف مضطربة بالفتن كالتي تعصف بالمنطقة آنذاك، ولعل القوى المسيطرة على الإعلام، سترى من مصلحتها أن لا تنقل الحقيقة، كما هي، هذا إذا كانت تؤمن، أصلاً، بوقوع معجزات إلهية، ولم ترَ الأمر على أنه حدث طبيعي، أو حدث سيتصدى كثيرون لتفسيره بما يسلب عنه صفة الإعجاز. بالنتيجة، إذن، لا يمكن الاعتماد على حادثة الخسف كنقطة مفصلية في معرفة المهدي.

لم يتفق العلماء السنيون على علامة الخسف، فهناك آراء أخرى، كنا قد سمعنا منها فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية [*] بأن معرفة الإمام المهدي لن تتاح لأحد، ولا حتى للمهدي نفسه، إلا بعد أن ينجز مهمته كاملة، ببسط العدل في جميع أرجاء المعمورة، وهو رأي ليس فاقد الدليل فقط، وإنما أيضاً، وبدرجة أكبر، يعبر عن عجز المنظومة العقدية السنية عن تقديم أجوبة حقيقية. فالقول بأنهم لا يمكن أن يعرفوا المهدي إلا بعد أن يحقق كامل أهدافه يعني أنهم يعترفون،

١. الأنفال: جزء من آية ٤٢.
٢. صحيح ابن حبان/ ج١٥: ١٥٨.
(*) ينظر المبحث السابق.

بطريقة ملتوية، بأنهم لا يملكون جواباً. ولا أدري إن كانوا قد سألوا أنفسهم: كيف يمكن للمهدي أن يحقق كامل أهدافه إذا لم يكن هناك من يعرفه، ويطيعه، ويقاتل معه أعداءه؟ هؤلاء، بمثل هذه الفتاوى، يغيّبون القضية المهدوية، ويسقطونها تماماً من دائرة الاهتمام، فلسان حال فتاواهم يقول: "لا حاجة إلى أن نشغل أنفسنا بأمر المهدي"، على الرغم من الاهتمام النبوي الكبير بأمره.

وهناك رأي آخر عبر عنه التويجري، بقوله: (ويقال أيضاً: إن المهدي المنتظر إنما يخرج في آخر الزمان قرب خروج الدجال وعند انتشار الفوضى والفتن، ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام فيصلي خلف المهدي أول ما ينزل كما جاء ذلك في حديث جابر الذي تقدم ذكره، ثم يذهب إلى الدجال فيقتله، وحينئذ يكون قيام الساعة قريباً جداً، وعلى هذا فمن ادَّعى من المفتونين أنه المهدي المنتظر، ولم يخرج الدجال في زمانه، فإنه دجال كاذب) [١].

التويجري يجعل من خروج الدجال الفيصل في معرفة المهدي، على الرغم من تقدم خروج المهدي على خروج الدجال، فهل سأل نفسه – ومثله كذلك من يقول بأن علامة الخسف بجيش الشام هي الفيصل في معرفة المهدي -: إذا كان الأمر كما يقولون فلماذا لم يتأخر ظهور المهدي عن العلامة التي تعرِّف به، أليس هذا ما يفترضه المنطق، أم إنهم يعتقدون أن الله عز وجل يريد بهم العسر؟ كلام التويجري يتضمن معنى أن المهدي نفسه لا يمكن أن يعرف نفسه إلا بعد ظهور الدجال، وفي هذه الحالة من يضمن أن المدعي هو المهدي الحقيقي، ألا يمكن أن يستغل الظرف مدعٍ كاذب ؟

الحمد لله، إن المؤمنين لا يلتفتون إلى كلام أمثال التويجري، وسينصرون المهدي ويقاتلون معه قبل خروج الدجال، كما ورد عن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قال: (ستكون فتنة يحصل الناس منها كما يحصل الذهب في المعدن فلا تسبوا أهل الشام وسبوا ظلمتهم فإن فيهم الأبدال وسيرسل الله إليهم سيباً من السماء فيفرقهم حتى لو قاتلهم الثعالب غلبهم ثم يبعث الله عند ذلك رجلا من عترة الرسول صلى الله عليه وسلم في اثني عشر ألفا إن قلوا وخمسة عشر ألفا إن كثروا. أمارتهم أو علامتهم أمت أمت على ثلاث رايات يقاتلهم أهل سبع رايات ليس من صاحب راية إلا وهو يطمح بالملك فيقتتلون

١. إقامة البرهان: ٢٣ – ٢٤. وينظر: نهاية العالم للعريفي: ٢٠٥.

ويهزمون ثم يظهر الهاشمي فيرد الله إلى الناس ألفتهم ونعمتهم فيكونون على ذلك حتى يخرج الدجال) [١]. هؤلاء يؤمنون بأن من يتبعونه ويقاتلون معه هو المهدي، وليس من شك في أن الرواية تساعد على فهم هذا المعنى، أو، في الأقل، احتماله.

للتويجري كلام آخر قاله رداً على ابن محمود القطري، جاء فيه: (إنما يُعرف المهدي ويُشتهر بعمله بسنة النبي، وبسطه للقسط والعدل وإزالته للجور والظلم، وهذه الأوصاف نادرة الوجود، ويضاف إلى ذلك كونه من أهل بيت النبي وإن اسمه يواطئ اسم النبي واسم أبيه يواطئ اسم أبي النبي، وإنه يشبه النبي في الخلق بضم الخاء) [٢].

عمله بالسنة، وبسطه العدل والقسط، كل هذه رهينة بوجود من يؤمن به، وينصره، ويمكنه من العمل بما ذُكر، وعليه يكون كلام التويجري قفزاً على نقطة الخلاف. كما إن المسلمين مختلفون في فهم السنة، وكل حزب بما لديهم فرحون، وكل يريد تطبيق السنة على ما يفهم [٣]. أما الاسم والانتساب للنبي (صلى الله عليه وآله) فهو مشترك بين كثيرين، فلا ينفع في التشخيص لمجرده. والشبه في الخلق لا يتاح إدراكه لكل أحد، فلا يمكن الاعتماد عليه في التشخيص، خاصة في ظل واقع ملتبس ضاعت فيه أكثر الحقائق، وعاد الاسلام غريباً، كما بدأ [*].

وهناك رأي يعتمد العلامات، أو الأمارات للتعرف على المهدي، فتحت عنوان "الأمارات الدالة على خروجه"، يسجل ماهر أحمد الصوفي مجموعة نقاط، هي انحسار الفرات عن جبل من ذهب، وانكساف القمر أول ليلة من رمضان، والشمس ليلة المنتصف منه، وطلوع القرن ذي السنين، والنجم ذي الذنب، وظهور نار عظيمة من قبل المشرق، ثلاث أو سبع ليال، وظهور ظلمة من السماء، وحمرة تنتشر في أفقها، ونداء يسمعه كل أهل لغة

---

١. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ٣٤٣. وقال عنه ص٣٤٥: (قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. النتيجة: إسناده صحيح).

٢. الاحتجاج بالأثر: ٢٤٥.

٣. يرى محمد المقدم إن على المهدي أن يتبع ما يسميه بعقيدة السلف. ينظر: المهدي: ٤٥٠. بينما ذهب آخر إلى القول بأن المهدي مجتهد يتجاوز جميع المذاهب المعروفة (والمجمع اليوم عليه الأربعه * وقفو غيرها الجميع منعه/ حتى يجيء الفاطمي المجدد * دين الهدى لأنه مجتهد). متن مراقي السعود: الشيخ عبدالله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي: ٤٨٣. متاح على: https://ia٨٠٢٦٠٧.us.archive.org/٢٦/items/FP٠١٧١/٠١٧١.pdf

(*) عدَّ محمد المقدم الاسم والنسب والأخلاق من الأمارات المتشابهة التي لا تكفي لإثبات صدق المدعي. ينظر: المهدي: هامش ٤٥٢.

بلغتهم [١]. هذه العلامات أضاف لها العريفي انطباق الصفات الخَلقية، وتوفر الظروف التي يظهر فيها، من قبيل الاختلاف الذي يقع بعد موت خليفة، وامتلاء الأرض جوراً، واقتتال ثلاثة كلهم ابن خليفة [٢]. وضم لها محمد المقدم نزول عيسى، وصلاته خلفه [٣].

العلامات، على العموم، لا تشخص المهدي، فمن الممكن للمدعين المبطلين استغلالها لخداع الناس، فحتى أكثر العلامات تميزاً – علامة الخسوف والكسوف (خسوف القمر أول ليلة من رمضان، وكسوف الشمس في منتصفه)، أو النداء الذي يسمعه أهل كل لغة بلغتهم، على سبيل المثال – لا تنطوي على أي شيء يمكن أن يمنع المدعين الكاذبين من استغلالها. أما علامة نزول عيسى وصلاته خلف المهدي فهي يمكن أن تنفع في تشخيص المهدي، إذا استطعنا أن نشخص عيسى على نحو اليقين، وهنا، في الحقيقة، سنواجه مشكلة إضافية عوضاً عن حل المشكلة الأصلية، تتعلق بكيفية تشخيص عيسى ؟

بشأن نزول عيسى وصلاته خلف المهدي روى مسلم عن أبي الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: (سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صل لنا. فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة) [٤].

(٣٨٨٦١- ينزل عيسى ابن مريم عند باب دمشق عند المنارة البيضاء لست ساعات من النهار في ثوبين ممشقين كأنما ينحدر من رأسه اللؤلؤ) [٥].

وروى كذلك عن النواس بن سمعان: (... فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه) [٦].

---

١. ينظر: أشراط الساعة، العلامات الكبرى: ٣٧.

٢. نهاية العالم: ٢٠٣.

٣. ينظر: المهدي: ٤٥٢.

٤. صحيح مسلم/ ج١: ٩٥.

٥. كنز العمال/ ج١٤: ٣٣٨.

٦. صحيح مسلم/ ج٨: ١٩٨.

والروايات كثيرة، ولكن أشكل عليها البعض، كما ذكر أبو رية، بقوله: (وقد قالوا: الروايات ثابتة أن نزول عيسى مع الفجر على منارة دمشق الشرقية، ولكن كيف يقال في رواية أخرى إن النزول كان لست ساعات مضت من النهار! وكذلك المعروف عند أهل العلم أن عيسى إنما يصلي وراء المهدي صلاة الصبح لا العصر) [١]، والأهم إن نزول عيسى هل سيشهده جميع الناس، أم لعله لا يراه أحد، وهل سيحدث بالكيفية التي قد يتصورها البعض من عملية النزول، أم إن ما تصوره الروايات لا يعدو عن كونه صوراً مجازية لحقيقة بعيدة عن قدراتنا التصورية ؟ الأمر، إذن، يدخل في حيز المتشابه الذي لا يمكن الركون إليه في تأسيس العقيدة، أو المعرفة. أما الصفات الخَلْقية، فيكفي أن نعلم أن أتباع مهدي الجهيمان الذي ظهر في مكة عام ١٤٠٠ هـ قد ادعوا انطباقها على صاحبهم [٢]، فهي بالنتيجة غير كافية لتحقيق المطلوب.

طريقة معرفة المهدي بصورة قطعية:

في رسالته "لا مهدي ينتظر بعد الرسول محمد خير البشر" كتب الشيخ عبدالله آل محمود: (أن النبي جاء بجلب المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد والمضار وتقليلها، وأن التصديق بالمهدي والدعوة إلى الإيمان به يترتب عليه فنون من المضار والمفاسد الكبار ... فإن الله سبحانه في كتابه وعلى لسان نبيه لا يوجب الإيمان برجل مجهول في عالم الغيب، وهو من بني آدم، ليس بملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا يأتي بدين جديد من ربه مما يجب الإيمان به، ثم يترك الناس يتقاتلون على التصديق والتكذيب به) [٣].

هذا الكلام، في الحقيقة، يلزم السنيين تماماً، وهو تعبير أمين عن مكنون الضمير، أو العقل السني. فمما لا شك فيه أن ترك مسألة المهدي عائمة، غائمة، بلا ضوابط، ولا حدود واضحة، تشخصه، وتميزه عن غيره، يفتح باب الفتنة والضلال على مصراعيه لمن هب ودب ليدعي ما ليس له، ويحفز الظنون، والأوهام على تخيل أفكار وعقائد ما أنزل الله بها من سلطان، وهو ما تحقق بالفعل، كما اتضح لنا.

١. أضواء على السنة المحمدية: ١٩٢.
٢. ينظر: المهدي للمقدم: ٤٣٣.
٣. مجموعة رسائل الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود: ٢٤٩.

ولا غرابة إن قلنا بأن كلام الشيخ عبدالله آل محمود، نطق بمضمونه كثير من العلماء السنيين، ولكن بكلمات، وعبارات ملتوية تتجنب التصريح. إذ إن من يقول إن السبيل إلى معرفة المهدي منعدم ما لم يتحقق امتلاء الأرض بالعدل، وينتهي كل شيء بالنتيجة، إنما يقول، في الحقيقة، إن مسألة المهدي قد تُركت بلا ضوابط تحكمها، وإن التمييز بين المحق، والمبطل معلق على النتيجة التي عادة ما تختلف فيها الأنظار. فقديماً توهم البعض أن عمر بن عبدالعزيز هو المهدي، لأن العدل، برأيه، قد تحقق على يديه، فقد ورد عن إبراهيم بن ميسرة قال: (قلت لطاووس: عمر بن عبد العزيز المهدي؟ قال: كان مهديا وليس بذاك المهدي. إذا كان زيد المحسن في إحسانه وتيب عن المسيء من إساءته. وهو يبذل المال ويشتد على العمال ويرحم المساكين) [١]. وليس من شك في أن من آمنوا بابن تومرت، والجونبوري، ومهدي السودان [*]، وغيرهم قد توهموا أن العدل تحقق على أيديهم. ولا يخفى أن طريق التأويل، والتقول سالكة لكل ذي أرب وفتنة، فمن يقول: (إن من صفة المهدي الذي يدّعون خروجه، وأن مقامه في الدنيا سبع سنين أو تسع سنين في الحديث الآخر، وهل هو يؤيد بالخوارق والمعجزات أو بالأحلام والمنامات ؟ وهل تنزل معه الملائكة تحارب معه، أو الجن تسخر له كما سخرت لداود ؟ وهل هو أكرم على الله من محمد رسول الله الذي مكث ثلاثًا وعشرين سنة، كلها يجاهد ويجادل ويصبر على اللأواء والشدة، ويتبع السنن الكونية من الطرق الموصلة إلى نجاحه، والقرآن يؤيده والملائكة يمده الله بهم، وقد شُج رأسه، وكسرت رباعيته، ودلوه في حفرة ظنوه ميتًا وذلك في وقعة أحد. ومع هذا كله لم يتمكن من بسط العدل إلا في جزيرة العرب، وهي نقطة صغيرة بالنسبة إلى سعة الدنيا. أفيكون المهدي المنتظر أعز على الله من محمد رسول الله [*] ؟!) [٢]، أقول: من يقول هذا، أو مثله، يمكنه، دائماً، أن يجد تأويلاً مناسباً يلتف به على معنى، أو حقيقة امتلاء الأرض عدلاً. بل حتى من زعم أنه يجيب على ما قاله الشيخ عبدالله آل

---

١. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ٢٢١ – ٢٢٢. وقال عنه ص٢٢٤: "النتيجة. إسناده حسن".

(*) هؤلاء الثلاثة ممن ادعى المهدوية، وآمن به كثيرون.

(*) أقول: كلام الشيخ عبدالله آل محمود فيه مغالطة، فلا ارتباط للأمر بكون المهدي أعز، أو أكرم على الله من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإنما هو مرتبط باستحقاقات الناس وكرامتهم على الله. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الأعراف: ٩٦. وقد وردت في فضل أصحاب المهدي، وبيان منزلتهم العالية أحاديث، سبق أن ذكرناها، بينت استحقاقهم لبسط العدل في زمنهم على يدي سيدهم المهدي. ينظر: الفصل الثاني، مبحث "صلاة نبي الله عيسى (عليه السلام) خلف المهدي".

٢. مجموعة رسائل الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود: ٢٤٦.

محمود لم يجد أمامه من سبيل سوى فتح باب التأويل، فزعم أن عمر بن الخطاب، وعمر بن عبدالعزيز قد ملأ كل منهما الأرض قسطاً وعدلاً [١]، متناسياً أن تركيز الأحاديث على أن المهدي يملأ الأرض قسطاً، وعدلاً يدل على أنه هو وحده من يفعل هذا.

إذا كانت العقيدة السنية قد أوصدت الباب أمام العقل السني ليتلمس طريقه الصحيحة لمعرفة المهدي معرفة حقيقية لا تشوبها شائبة شك، ولا شبهة، فإن الضرورة تقتضي التقصي عن طريق سليمة، ومثل هذه الطريق متوفرة، والحمد لله، وكما يأتي:

ورد في البخاري: (عن ابن عباس قال لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال ائتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده قال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا وكثر اللغط قال قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع فخرج ابن عباس يقول إن الرزيئة كل الرزيئة ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابه) [٢].

وفي مسلم: (عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلم اكتب لكم كتابا لا تضلون بعده فقال عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم)[٣].

حديث الرزية – كما عبّر ابن عباس – يتضمن حقيقة مهمة للغاية، تتمثل بطلب رسول الله صلى الله (صلى الله عليه وآله) ممن حضره أن يأتوه بكتاب ليكتب لهم كتاباً لا يضلون بعده أبداً. أي إن الكتاب المشار إليه يعصمهم، طالما تمسكوا به، من الضلال، فهو كتاب عاصم لمن تمسك به من الضلال، ووصفه بهذه الصفة وارد على لسان النبي

١. ينظر: المهدي للمقدم: ١٧٣.
٢. صحيح البخاري/ ج١: ٣٧. وج٥: ١٣٧، ١٣٨. وج٨: ١٦١.
٣. صحيح مسلم/ ج٥: ٧٦. وكذلك ج٥: ٧٥.

الذي لا ينطق عن الهوى، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[١]، فهو بالتالي قول الله عز وجل.

بالنسبة لما تقرره المنظومة العقدية السنية، رسول الله (صلى الله عليه وآله) توفي ولم يكتب الكتاب، لأن الصحابة الذين حضروا الواقعة اختصموا، وقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، على إثرها: قوموا عني، كما ذكر ابن عباس. ولكن على الضمير، والعقل السني أن يقف متسائلاً، بجدية كاملة: هل من الممكن أن يترك رسول الله كتابة هذا الكتاب العاصم من الضلال ؟ لقد كان لدى رسول الله أيام قبل الوفاة التي حدثت يوم الاثنين، أي لديه، في الأقل، ثلاثة أيام، فهل يترك كتابة الكتاب العاصم من الضلال لأن أفراداً شغبوا، وأكثروا اللغط ؟ وماذا عن أولئك النفر الذين قالوا: "قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابًا لن تضلوا بعده". وماذا عن غيرهم من أفراد الأمة الذين لم يحضروا، وماذا عن أجيال الأمة المستودعين أصلاب الرجال؟ هل يترك النبي هؤلاء جميعاً نهبة للضياع والضلال، فقط لأن أفراداً لا يكادون يُحصون قلةً وقفوا بالضد؟ إذا أجاب العقل السني المحاصر بمنظومته الضيقة بنعم، فعليه أن يجد تفسيراً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٢]، فهل ينسجم مضمون الآية مع ترك الأمة دون عاصم، بل هل ينسجم مع عدم إعطائهم ما يعصمهم، رغم توفره، فقط لأن حفنة قليلة اعترضت ؟ وعليه كذلك أن يجد تفسيراً لآيات أخرى من قبيل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٣].

إن امتناع النبي (صلى الله عليه وآله) عن كتابة الكتاب العاصم لا يتعارض مع مضمون آيات قرآنية، حسب، ولا مع ما ورد في أحاديث كثيرة تحض على كتابة الوصية فقط [٤]، وإنما يعني أنه – وحاشاه – قد فرط بتبليغ ما أمره الله بتبليغه. إذ لا معنى لئن يقول لهم: "ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً"، إذا لم يكن مأموراً بكتابته.

---

١. النجم: ٣ – ٤.

٢. التوبة: ١٢٨.

٣. الأنبياء: ١٠٧.

٤. منها ما ورد في صحيح مسلم/ ج٥: ٧٠: (عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه: إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما حق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه يبيت ثلاث ليال إلا ووصيته عنده مكتوبة، قال: عبد الله بن عمر ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك إلا وعندي وصيتي).

وعلى أي حال ورد في بعض المرويات السنية ما يدل على أن النبي كتب الكتاب، وهذه المرويات، وإن كانوا يضعفونها من جهة السند، إلا أن الضرورة تدل على صحتها، فالنبي (صلى الله عليه وآله) لا يمكن، بحال، أن يترك كتابة الكتاب العاصم. ومن هذه المرويات (يا علي ادع بصحيفة ودواة فأملى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب علي وشهد جبريل ثم طويت الصحيفة. قال الراوي: فمن حدثكم أنه يعلم ما في الصحيفة إلا الذي أملاها وكتبها وشهدها فلا تصدقوه فعل ذلك في مرضه الذي توفي فيه) [١].

إذن، الكتاب العاصم لابد أن يكون قد كُتب، ومن يقول غير ذلك يتهم النبي (صلى الله عليه وآله) بالتقصير، وحاشاه، وأكثر من حتمية كونه قد كُتب، لابد أن يكون موجوداً، ومتاحاً لمن يطلبه، إذ لا فائدة، ولا معنى لكتابته إذا لم يتحقق الغرض منه. وهذا يعني أن الله عز وجل قد تكفل بحفظه ليصل إلى من يطلبه، وتُقام به الحجة. ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٢].

لا يمكن للسنيين ان يعدّوا الوصية الشفوية التي ذُكرت في بعض الروايات [٣] على أنها الوصية المقصودة (الكتاب العاصم)، لأن الرسول (صلى الله عليه وآله) تحدث عن كتاب مكتوب، لا عن وصية شفوية. هذا إن صح أن الوصية المشار إليها قد ذُكرت في الحادثة نفسها، فإن ورودها قد لا يتناسب مع السياق، إذ كيف يطردهم ثم يوصيهم ؟

إن ضرورة وجود الوصية تقتضي من الجميع قبولها إينما وجدت، فضروري الوجود موجود بالضرورة، وأينما عثرنا عليه، وأينما كان موجوداً، يكون هو المطلوب. والكتاب العاصم موجود في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي، وهذه صورته:

وفي مجمع الزوائد/ ج٤: ٢٠٩: (عن أنس بن مالك، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال: يا رسول الله مات فلان. قال: أليس كان معنا آنفاً؟! قالوا: بلى. قال: سبحان الله كأنها أخذة على غضب، المحروم من حرم وصيته. قلت: روى ابن ماجة منه: المحروم من حرم وصيته. رواه أبو يعلى وإسناده حسن).

وفيه/ ج٤: ٢٠٩: (عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ترك الوصية عار في الدنيا ونار وشنار في الآخرة).

١. كشف الخفاء ومزيل الالباس: الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني. دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان. ط٣ ١٩٨٨م/ ١٤٠٨هـ. ج٢: ٣٨٣.

٢. النساء: ١٦٥.

٣. روى البخاري/ ج٥: ١٣٧، ومسلم ج٥: ٧٥: (عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال ائتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا ما شأنه أهجر استفهموه فذهبوا يردون عليه فقال دعوني فالذي انا فيه خير مما تدعوني إليه وأوصاهم بثلاث قال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها).

(عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر، عن أبيه ذي الثفنات سيد العابدين، عن أبيه الحسين الزكي الشهيد، عن أبيه أمير المؤمنين، قال: (قال رسول الله - في الليلة التي كانت فيها وفاته - لعلي: يا أبا الحسن، أحضر صحيفة ودواة. فأملا رسول الله وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع، فقال: يا علي، إنه سيكون بعدي إثنا عشر إماماً ومن بعدهم إثنا عشر مهدياً، فأنت يا علي أول الاثني عشر إماماً، سماك الله تعالى في سمائه: علياً المرتضى، وأمير المؤمنين، والصديق الأكبر، والفاروق الأعظم، والمأمون، والمهدي، فلا تصح هذه الأسماء لأحد غيرك. يا علي، أنت وصيي على أهل بيتي حيهم وميتهم، وعلى نسائي؛ فمن ثبتها لقيتني غداً، ومن طلقتها فأنا برئ منها، لم ترني ولم أرها في عرصة القيامة، وأنت خليفتي على أمتي من بعدي، فإذا حضرتك الوفاة فسلمها إلى ابني الحسن البر الوصول، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابني الحسين الشهيد الزكي المقتول، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه سيد العابدين ذي الثفنات علي، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الباقر، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه جعفر الصادق، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه موسى الكاظم، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الرضا، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الثقة التقي، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الناصح، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه الحسن الفاضل، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد. فذلك اثنا عشر إماماً، ثم يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المقربين، له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، هو أول المؤمنين) [١].

هذه الوصية تذكر المهدي وتسميه "أحمد"، وطالما كانت كتاباً عاصماً من الضلال، فلابد أن تكون مصانة من ادعاء المبطلين لها، واحتجاجهم بها. إذ إن ادعاء المبطلين لها لا يُبقي معنى لكونها عاصمة من الضلال، بل سيجعل منها وسيلة للضلال، والتالي باطل، فالأول مثله [٢].

---

١. الغيبة: الشيخ الطوسي. ت: الشيخ عباد الله الطهراني والشيخ علي أحمد ناصح. مؤسسة المعارف الاسلامية – قم المقدسة. ط١ ١٤١١هـ: ١٥٠ – ١٥١.

٢. للمزيد ينظر: الوصية المقدسة الكتاب العاصم من الضلال: السيد أحمد الحسن. إعداد: علاء السالم. ط١ ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م. متاح على: http://almahdyoon.org/arabic/documents/books-saed/wasiya.pdf

وهذه الوصية قد احتج بها اليوم صاحبها السيد أحمد الحسن، فهو المهدي حتماً وجزماً.

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

المصادر

[١] القرآن الكريم.

[٢] إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة/ ج١، ج٢: حمود بن عبدالله التويجري. مطبعة المدينة – الرياض. ط١ ١٣٩٦.

[٣] الأحاديث الواردة في الملحمة الكبرى. إعداد: وائل إبراهيم العسود. دار الفرقان للنشر والتوزيع – الأردن. ط١/ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨.

[٤] الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر: حمود بن عبدالله التويجري. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض/ المملكة العربية السعودية. ط١ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

[٥] الأحكام السلطانية: علي بن محمد بن حبيب الماوردي. صححه: مقس أنغر. طبعة بُن ١٨٥٣م/ ١٣١٩هـ.

[٦] الأحكام السلطانية: أبو يعلى الفراء الحنبلي. صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي. دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان. ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

[٧] الإحكام في أصول الأحكام/ ج٦: علي بن حزم الأندلسي الظاهري. إشراف: أحمد شاكر. مطبعة العاصمة – القاهرة. ١٣٤٥هـ.

[٨] الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة: صديق حسن خان القنوجي. ت: مسعد عبدالحميد السعدني. مكتبة القرآن - القاهرة.

[٩] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد/ ج٢: د. صالح بن فوزان الفوزان. وكالة الطباعة والترجمة – الرياض/ السعودية. ط٢ ١٤١٢هـ.

[١٠] أسمى المناقب في تهذيب أسنى المطالب: الشيخ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري الدمشقي الشافعي. ت: محمد باقر المحمودي. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

[١١]- الإشاعة لأشراط الساعة: محمد بن رسول الحسيني البرزنجي. مكتبة الثقافة – المدينة المنورة. د.ت.

[١٢] أشراط الساعة، العلامات الكبرى: ماهر أحمد الصوفي. المكتبة العصرية – صيدا/ بيروت. ٢٠١٠م/ ١٤٣١هـ.

[١٣] أشراط الساعة في مسند أحمد وزوائد الصحيحين/ مج١: خالد بن ناصر بن سعيد الغامدي. دار الأندلس الخضراء – المملكة العربية السعودية – دار ابن حزم – بيروت، لبنان. ط١ ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

[١٤] أصول الدين: عبدالقاهر بن طاهر البغدادي. مطبعة الدولة – استانبول. ط١ ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.

[١٥] أضواء البيان/ مج١: محمد الأمين الشنقيطي. إشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد. دار عالم الفوائد. د. ت.

[١٦] أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية. دار المعارف – القاهرة. ط٦ .

[١٧] إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان: حمود بن عبدالله التويجري. مكتبة المعارف – الرياض. ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

[١٨] الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة: عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي. دار طيبة – الرياض.

[١٩] أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي/ ج١: ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي. إعداد وتقديم: محمد عبدالرحمن المرعشلي. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[٢٠] البداية والنهاية/ ١٩: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. ت: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي. دار عالم الكتب ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

[٢١] البداية والنهاية/ ج٦: إسماعيل بن كثير الدمشقي. ت: علي شيري. دار إحياء التراث العربي.

[٢٢] البرهان في علامات مهدي آخر الزمان: علي بن حسام الدين. ت: أحمد علي سليمان. دار الغد الجديد – المنصورة/ مصر. ط١ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

[٢٣] تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي. ت: أحمد إبراهيم. دار الكتاب العربي – بيروت. ط٢ ١٤١٥هـ.

[٢٤] تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي/ ج٦: للإمام الحافظ أبي العلاء محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري. دار الكتب العلمية/ بيروت – لبنان. ط١ ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

[٢٥] تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة. ط٢ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ط٢.

[٢٦] التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان/ ج٩: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. دار باوزير – المملكة العربية السعودية. ط١ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

[٢٧] تفسير الجلالين: العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. قدم له وراجعه: الأستاذ مروان سوار. دار المعرفة – بيروت/ لبنان.

[٢٨] تفسير العز بن عبدالسلام/ ج١: عبدالعزيز بن عبدالسلام. دار الكتب العلمية – بيروت. ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

[٢٩] تفسير الفخر الرازي/ ج١٦: فخر الدين الرازي. دار الفكر – بيروت/ لبنان. ط١ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

[٣٠] تفسير القرآن العظيم/ مج١: ابن أبي حاتم. ت: أسعد محمد الطيب. مكتبة نزار الباز – مكة المكرمة. ط١ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

[٣١] تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)/ ج٢: إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي. دار المعرفة - بيروت/ لبنان. ١٩٩١ م - ١٤١٢ هـ

[٣٢] تفسير القرآن/ مج١: أبو المظفر السمعاني. ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. دار الوطن – الرياض. ط١ ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

[٣٣] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)/ ج٩: السيد محمد رشيد رضا. دار المنار – مصر. ط٢، ١٣٦٧هـ

[٣٤] تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)/ ج١٠: محمد بن أحمد القرطبي. ت: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي. مؤسسة الرسالة – بيروت/ لبنان. ط١ ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

[٣٥] تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)/ ج١: أبو البركات عبدالله بن أحمد النسفي. ت: يوسف علي بديوي. دار الكلم الطيب – بيروت. ط١ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

[٣٦] التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد/ ج٢٠: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي. ت: سعيد أحمد أعراب. بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية بالمغرب العربي ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

[٣٧] جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ ج١: محمد بن جرير الطبري. ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

[٣٨] الجامع الصحيح (صحيح مسلم)/ ج١: مسلم بن الحجاج النيسابوري. دار الفكر – بيروت.

[٣٩] الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين/ ج٤: مقبل بن هادي الوادعي. مكتبة ابن تيمية – القاهرة. ط١ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

[٤٠] الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير/ ج٢: جلال الدين السيوطي. دار الفكر – بيروت. ط١ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

[٤١] جامع العلوم والحكم: عبدالرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب. ت: د. ماهر ياسين الفحل. دار ابن كثير – دمشق – بيروت. ط١ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

[٤٢] الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)/ ج١: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي. ت: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. دار احياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي – بيروت/ لبنان. ط١ ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

[٤٣] الحاوي للفتاوي/ ج٢: السيوطي. دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

[٤٤] حلية البَشر في تاريخ القرن الثالث عشر/ ج٢: الشيخ عبد الرزاق البيطار. ت: محمد بهجة البيطار. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. دار صادر – بيروت. ط٢ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

[٤٥] دائرة معارف القرن العشرين/ مج ١٠: محمد فريد وجدي. دار الفكر – بيروت. د.ت.

[٤٦] رحلة إلى الدار الآخرة. جمع وترتيب: محمود المصري. مكتبة الصفا. ط١ ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

[٤٧] رسالة الجواب المقنع المحرّر في الرد على من طغى وتجبّر بدعوى أنه عيسى أو المهدي المنتظر: الشيخ محمد حبيب بن مايابي الشنقيطي. دار الشروق – جدة. د. ت.

[٤٨] روح المعاني/ ج١: شهاب الدين محمود الآلوسي. دار إحياء التراث العربي – بيروت/ لبنان. د.ت.

[٤٩] زاد المسير في علم التفسير/ ج١: عبدالرحمن بن علي الجوزي. ت: محمد بن عبدالرحمن. دار الفكر – بيروت. ط١ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

[٥٠] سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها/ مج٤: محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف – الرياض.

[٥١] سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأثرها السيء في الأمة/ مج١: محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف – الرياض. ط١ ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

[٥٢] سنن ابن ماجة/ ج١، ج٢: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة. ت: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر للطباعة.

[٥٣] سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني. ت: سعيد محمد اللحام. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - ط١ ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

[٥٤] سنن الترمذي/ ج٣: محمد بن عيسى الترمذي. ت: عبدالرحمن محمد عثمان. دار الفكر – بيروت. ط٣ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

[٥٥] سنن الدارمي/ ج٢: عبدالله بن الرحمن الدارمي. طبع بعناية محمد أحمد دهمان. دار إحياء السنة النبوية – دمشق. ١٣٤٩هـ

[٥٦] السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها/ ج١: عثمان بن سعيد المقرئ الداني. دراسة وتحقيق: د. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري. دار العاصمة.

[٥٧] شرح السنة: الحسن بن علي البربهاري. ت: عبدالرحمن بن أحمد الجميزي. مكتبة دار المنهاج – الرياض. ط١ ١٤٢٦هـ.

[٥٨] شرح صحيح مسلم/ ج٢: النووي. دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان. ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

[٥٩] شرح العقيدة السفارينية: محمد بن صالح العثيمين. مدار الوطن للنشر – الرياض. ط١ ١٤٢٦هـ

[٦٠] صحيح ابن حبان بترتيب ابن لبان/ ج١٥: الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي. ت: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة. ط٢ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

[٦١] صحيح البخاري: إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي. دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

[٦٢] صحيح الجامع الصغير وزياداته/ مج١، مج٢: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي - بيروت. ط٣ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

[٦٣] صحيح سنن ابن ماجه/ مج١: محمد ناصر الألباني. مكتبة المعارف – الرياض. ط١ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

[٦٤] الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهيتمي المكي. مكتبة الحقيقة – استانبول/ تركيا. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

[٦٥] الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة: أحمد بن حجر الهيتمي المكي. خرج أحاديثه وعلق حواشيه وقدم له: عبد الوهاب عبد اللطيف. مكتبة القاهرة – مصر. ط٢ ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

[٦٦] ضحى الإسلام/ ج٣: أحمد أمين. مكتبة النهضة المصرية. ط٧/ القاهرة ١٩٦٤.

[٦٧] العرف الوردي في أخبار المهدي: جلال الدين السيوطي. ت: أبي يعلى البيضاوي. دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان. ط١ ٢٠٠٦م.

[٦٨] عقد الدرر في أخبار المنتظر: يوسف بن يحيى المقدسي. حققه وراجع نصوصه: الشيخ مهيب بن صالح البوريني. مكتبة المنار – الزرقاء/ الأردن. ط٢ ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

[٦٩] عقد الدرر في أخبار المنتظر: يوسف بن يحيى المقدسي. ت: د. عبدالفتاح محمد الحلو. مكتبة عالم الفكر – القاهرة. ط١ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

[٧٠] الغيبة: الشيخ الطوسي. ت: الشيخ عباد الله الطهراني والشيخ علي أحمد ناصح. مؤسسة المعارف الإسلامية – قم المقدسة. ط١ ١٤١١هـ

[٧١] فتاوى الإمام محمد رشيد رضا/ ج١: د. صلاح الدين المنجد، يوسف. ق. خوري. د.ت.

[٧٢] الفتاوى الكبرى/ ج٥: ابن تيمية. ت: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان. ط١ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

[٧٣] فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. جمع وترتيب: أحمد بن عبدالرزاق الدويش. دار المؤيد – الرياض، المملكة العربية السعودية. ط١ ١٤٢٤هـ ج٣.

[٧٤] فتاوى نور على الدرب/ ج١. إعداد: أ. د. عبدالله بن محمد الطيار ومحمد بن موسى بن عبدالله الموسى. مؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيرية. د. ت.

[٧٥] فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني. دار المعرفة – بيروت/ لبنان. ط٢ ج٦.

[٧٦] الفتوحات المكية: ابن عربي. دار صادر – بيروت. د.ت. ج٣.

[٧٧] فقه أشراط الساعة: محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم. الدار العالمية – مصر. ط٦ ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

[٧٨] فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد عبدالرؤوف المناوي. ضبطه وصححه: أحمد عبدالسلام. دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان. ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م. ج٦.

[٧٩] قصة المسيح الدجال: محمد ناصر الألباني. المكتبة الإسلامية – عمان/ الأردن. ط١ ١٤٢١هـ.

[٨٠] القول المختصر في علامات المهدي المنتظر: أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي. دراسة وتحقيق وتعليق: مصطفى عاشور. مكتبة القرآن – القاهرة. د.ت.

[٨١] كبرى اليقينيات الكونية: د. محمد سعيد رمضان البوطي. دار الفكر المعاصر – بيروت/ لبنان. تصوير عن ط٨ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

[٨٢] كتب ورسائل عبدالمحسن بن حمد العباد البدر/ مج٤، مج٧. دار التوحيد – الرياض. ط١ ١٤٢٨هـ.

[٨٣] الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): أبو إسحاق الثعلبي. ت: أبو محمد بن عاشور. دار إحياء التراث العربي – بيروت/ لبنان. ط١ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م. ح٥.

[٨٤] كشف الخفاء ومزيل الالباس/ ج٢: الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني. دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان. ط٣ ١٩٨٨م/ ١٤٠٨هـ.

[٨٥] كنز العمال: المتقي الهندي. ضبطه وفسر غريبه وصححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السقا. مؤسسة الرسالة – بيروت. ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م. ج١.

[٨٦] لسان العرب/ ج٦، ج١٢: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري. نشر أدب الحوزة – قم/ إيران. ١٤٠٥هـ/ ١٣٦٣ش.

[٨٧] لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية/ ج٢: محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي. مؤسسة الخافقين – دمشق. ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

[٨٨] مجمع الزوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي. دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ج٧.

[٨٩] مجموعة رسائل الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود. مج١ (العقائد). ط٣ الدوحة ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

[٩٠] المحلى/ ج١: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. دار الفكر.

[٩١] مختصر سنن أبي داود/ ج٦: الحافظ المنذري. ت: محمد حامد الفقي. دار المعرفة – بيروت/ لبنان. ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م.

[٩٢] المستدرك على الصحيحين/ ج٤: محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري. دراية وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان. ط٢ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

[٩٣] المستدرك: الحاكم النيسابوري/ ج٢. إشراف: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي. دار المعرفة – بيروت/ لبنان.

[٩٤] مسند أبي يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثنى التميمي. ت: حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث – دمشق. ط١ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ج١٢.

[٩٥] المسند: أحمد بن محمد بن حنبل/ ج١٣، ج١٦. شرحه وصنع فهارسه: حمزة أحمد الزين. دار الحديث – القاهرة. ط١ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

[٩٦] مسند الإمام أحمد بن حنبل. دار صادر – بيروت. ج٤.

[٩٧] المسيح المنتظر ونهاية العالم: عبدالوهاب عبدالسلام طويلة. دار السلام. القاهرة/ مصر. ط٤ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

[٩٨] المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي/ ج٨. ضبطه وعلق عليه: الأستاذ سعيد اللحام. دار الفكر – بيروت/ لبنان. ط١. ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.

[٩٩] المصنف/ ج١١: عبدالرزاق بن همام الصنعاني. ت: حبيب الرحمن الأعظمي. المكتب الإسلامي – بيروت. ط٢ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

[١٠٠] المعجم الأوسط/ ج٥: سليمان بن أحمد الطبراني. دار الحرمين – مصر والسودان. ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

[١٠١] معجم المناهي اللفظية: بكر عبدالله أبو زيد. دار العاصمة – الرياض. ط٣ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

[١٠٢] مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الراغب الأصفهاني. ت: صفوان عدنان داوودي. منشورات طليعة النور – قم. ط٢ ١٤٢٧.

[١٠٣] مقالات الألباني. جمعها وصححها واعتنى بها: نور الدين طالب. دار أطلس للنشر والتوزيع – الرياض- المملكة العربية السعودية. ط١ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

[١٠٤] مقدمة ابن خلدون. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: الأستاذ خليل شحادة. دار الفكر – بيروت/ لبنان ١٤٢١هـ ٢٠٠١.

[١٠٥] المهدي: محمد إسماعيل المقدم. الدار العالمية للنشر والتوزيع – الاسكندرية/ مصر. ط١١ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

[١٠٦] المهدي بن تومرت: د. عبدالمجيد النجار. دار الغرب الإسلامي. ط١ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

[١٠٧] المهدي مسبوق بدولة إسلامية: جواد بحر النّشة. مركز دراسات المستقبل – فلسطين. ط١ ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

[١٠٨] المهدي المنتظر: إبراهيم المشوخي. مكتبة المنار – الأردن. ط٢ ١٤٠٥/ ١٩٨٦ سلسلة أمارات الساعة.

[١٠٩] المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة: د. عبد العليم عبد العظيم البستوي. المكتبة الملكية/ دار ابن حزم – مكة المكرمة. ط١ ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

[١١٠] المهدي والمهدوية: أحمد أمين. دار المعارف – مصر. سلسلة (إقرأ) عدد ١٠٣. أغسطس ١٩٥١.

[١١١] المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ابن القيم الجوزية. ت: يحيى عبدالله الثمالي. دار عالم الفوائد.

[١١٢] منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. ت: د. محمد رشاد سالم. ج١.

[١١٣] المواقف في علم الكلام: عبدالرحمن بن أحمد الإيجي. عالم الكتب – بيروت. د.ت.

[١١٤] الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: د. محمد أحمد المبيض. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة. ط١ ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٦م.

[١١٥] نظام الحكم الإسلامي مقارناً بالنظم السياسية المعاصرة: د. إسماعيل البدوي. دار الفكر العربي. ط١ ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦ م:

[١١٦] نظرة في أحاديث المهدي: محمد ناصر الألباني. مجلة "التمدن الإسلامي"، تصدرها جمعية التمدن الإسلامي. دمشق – سوريا ١٣٧٠هـ مج ١٦، العددين ٣٥ و ٣٦ .

[١١٧] نظم المتناثر في الحديث المتواتر: محمد بن جعفر الكتاني. دار الكتب السلفية – مصر. ط٢ د.ت.

[١١٨] النهاية في غريب الحديث: المبارك بن محمد ابن الأثير. ت: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي. ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م. ج٥.

[١١٩] الوجيز في أصول الفقه: د. وهبة الزحيلي. دار الفكر المعاصر – بيروت/ لبنان. إعادة ط١ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

[١٢٠] اليوم الآخر – القيامة الصغرى: د. عمر سليمان الأشقر. دار النفائس – عمان/ الأردن. ط٤ ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

الروابط الالكترونية:

[١٢١] إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون: أحمد بن محمد بن الصديق. مطبعة الترقي – دمشق ١٣٤٧هـ متاح على: http://ia٦٠٠٤٠٨.us.archive.org/٣٢/it...ahm-GHMARI.pdf

[١٢٢] الأربعون حديثاً في المهدي: أبو نعيم الأصفهاني. إخراج وتعليق: أبو يعلى البيضاوي. متاح على:

http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=٧٦٧٣&d=١١١١٥٥٩٥٥١.

[١٢٣] أشراط الساعة: يوسف بن عبدالله الوابل. دار ابن الجوزي. متاح على:

http://www.ktibat.com/download-%D٨%A٣%D٨%B٤%D٨%B١%D٨%A٧%D٨%B٧_%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%B٣%D٨%A٧%D٨%B٩%D٨%A٩-١٥٠٣-٢.html

[١٢٤] إعلانُ الخِلافةِ الإسلاميَّةِ - رؤيةٌ شرعيَّةٌ واقعيَّةٌ: عَلَوي بن عبدالقادر السَّقَّاف. متاح على: http://dorar.net/article/١٧٦٠

[١٢٥] أمارات المهدي المنتظر التي يتميز بها وتبطل أدعياء المهدية: موقع "إسلام ويب". رقم الفتوى: ٢٠١٩٤٠ تاريخ الفتوى: الأربعاء ١٥ جمادى الأولى ١٤٣٤ - ٢٠١٣/ ٣ / ٢٧ . متاحة على: http://fatwa.islamweb.net/fatwa/printfatwa.php?Id=٢٠١٩٤٠&lang=A

[١٢٦] الإمام الصادق حياته وعصره، آراءه وفقهه: الشيخ محمد أبو زهرة. مطبعة أحمد علي مخيمر. متاح على:

https://ia٨٠١٨٠٣.us.archive.org/٢٧/items/abouzohra/sadeq.pdf

[١٢٧] بحث في العصمة: عبدالرزاق الديراوي. إصدارات أنصار الإمام المهدي – العدد: ١١٣. ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م. متاح على: http://almahdyoon.org/arabic/documents/books-Ansar/٣esma.pdf

[١٢٨] سؤال يتداول بين الناس: (بيعة الإمام المجهول): الشيخ عبدالكريم تتان. متاح على: http://www.atattan.com/fatawa/show/٤٢٣.

[١٢٩] الشريعة والحياة/ حول أحاديث الفتن: د. يوسف القرضاوي. متاح على:

https://www.youtube.com/watch?v=sftiYhCvudE

[١٣٠] فرق الهند المنتسبة للإسلام في القرن العاشر الهجري وأثرها في العقيدة/ مج١: محمد كبير أحمد شودري. ١٤٢٢هـ/ ١٩٩٩م. متاح على:

http://b٧oth.com/?goto=https٪٣A٪٢F٪٢Farchive.org٪٢Fdownload٪٢FAQIDAH-theses-٠٣٪٢F٠٢٦٩-١.zip

[١٣١] لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية/ ج٢: محمد بن أحمد السفاريني. متاح على: http://ia٨٠٢٧٠٦.us.archive.org/٢٨/items/lawme٣/labsaa٢.pdf

[١٣٢] متن مراقي السعود: الشيخ عبدالله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي. متاح على: https://ia٨٠٢٦٠٧.us.archive.org/٢٦/items/FP٠١٧١/٠١٧١.pdf

[١٣٣] المفصل في أشراط الساعة وعلاماتها: علي بن نايف الشحود. ط١/ ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م. متاح على: http://www.saaid.net/book/open.php?cat=١١٦&book=١٢٣٦٤

[١٣٤] المهدي: د. محمد أشرف صلاح حجازي. بحث منشور على شبكة الانترنيت متاح على: http://saaid.net/book/٢٠/١٣٣٩٠.pdf

[١٣٥] المهداوية ودعاوى التمهدي: د. عدنان إبراهيم. متاح على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=a٨XS٢٦ZFths

[١٣٦] المهدي المنتظر: عبدالله بن الصدّيق الغماري الحسني. إصدار جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية - فلسطين. متاح على:

http://www.aslein.net/attachment.php?s=٩ad٦٤٢ba٥٦a١٨٣٤b٢١ca٤٢٥٥٧٩e٩c٢٩e&attachmentid=١٩٥١&d=١٢٤١١٢٥١٠١

[١٣٧] المنتقى المختار مما صح في المهدي من أخبار: همام محمد الجرف. متاح على:

http://www.saaid.net/book/٩/٢٧٥٧.rar

[١٣٨] نهاية العالم: محمد بن عبدالرحمن العريفي. متاح على:

http://نهاية-العالم.com/files/file/the-end-of-word-small.zip

[١٣٩] هل أحاديث خروج المهدي صحيحة أم لا: محمد بن صالح العثيمين. متاح على:

http://ar.islamway.net/fatwa/١٣٣٤٥/

[١٤٠] الوصية المقدسة الكتاب العاصم من الضلال: السيد أحمد الحسن. إعداد: علاء السالم. ط١ ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م. متاح على:

http://almahdyoon.org/arabic/documents/books-saed/wasiya.pdf